جامعة اليرموك

كلية الشريعة

قسم الدراسات الإسلامية

طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم

The method of Developing Thinking in glorious Quran

"Educational Study"

إعداد

مروان محمد رشدي شريف

الرقم الجامعي: 2006280009

إشراف

أ.د ماجد زكي محمد الجلاد

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

1435هـ - 2014

© Arabic Digital Library Yarmouk University

طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم

إعداد

مروان محمد رشدي شريف

بكالوريوس فقه وأصول، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة 1415-1995

ماجستير التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، 1998

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، اربد – الأردن

وافق عليها

أ. د ماجد زكي محمد الجلاد ..... مشرفاً ورئيساً

الأستاذ في مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها في جامعة اليرموك

أ. د حسين جابر بني خالد ..... عضواً

الأستاذ في العقيدة الإسلامية في جامعة اليرموك

د. أحمد ضياء الدين حسين ..... عضواً

الأستاذ المشارك في أصول التربية الإسلامية في جامعة اليرموك

د. أحلام محمود مطالقة ..... عضواً

الأستاذ المشارك في التربية الإسلامية في جامعة اليرموك

د. أحمد محي الدين الكيلاني ..... عضواً

الأستاذ المشارك في مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها في جامعة العلوم الإسلامية العالمية- عمان

تاريخ المناقشة: 15/1/ 2014

1435هـ - 2014م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع

إلى روح والدي رحمه الله. . . الذي طالما دعا لنا بالهداية والتوفيق

وإلى والدتي الفاضلة الغالية: (أم شريف) أمد الله في عمرها، وأحسن عملها، وختم بالصالحات أعمالها حيث رعتنا أيتاما، وصبرت علينا صغارا، وأكرمتنا بدعائها كباراً.

وإلى زوجتي الكريمة التي جاهدت وصبرت ودعمت مسيرتي ورعاية أولادي وقت انشغالي، فلها مني كل الشكر والتقدير

الباحث

مروان محمد رشدي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فأتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور محمد أمين بني عامر، الذي بدأ الإشراف على أولى خطوات الرسالة وأسأل الله له المعافاة والشفاء العاجل، ثم أتوجه بالشكر الكبير للأستاذ الدكتور ماجد زكي الجلاد الذي أكمل متابعة الإشراف بكل جد واجتهاد، مبديا ملاحظاته المنهجية، وتوجيهاته التربوية، ورؤيته العلمية، فله مني الشكر الجزيل والعرفان الجميل. وأسأل الله أن يبارك في جهده، وأن يجعل ذلك في صحائف أعماله.

كما أتقدم بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان للأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة وعلى رأسهم: الأستاذ الدكتور حسين جابر بني خالد، والدكتور أحمد ضياء الدين حسين، والدكتورة أحلام محمود مطالقة، والدكتور أحمد محي الدين الكيلاني لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وما أبدوه من ملاحظات قيمة أثرت الرسالة.

فأسأل الله أن يبارك في أعمارهم، وأن يجعل إرشادهم وتوجيههم صدقة جارية في ميزان أعمالهم.

الباحث: مروان محمد رشدي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص باللغة العربية	ي
الإطار العام للدراسة	
مقدمة الدراسة	1
مشكلة الدراسة وأسئلتها	3
أهداف الدراسة	4
أهمية الدراسة	4
مصطلحات الدراسة	6
الدراسات السابقة	6
منهجية الدراسة	13
حدود الدراسة	13
الفصل الأول **مفهوم تنمية التفكير وأهميته وأبرز عملياته وميادينه في القرآن الكريم**	
المبحث الأول: مفهوم تنمية التفكير وأهميته في القرآن الكريم	15
المطلب الأول: الدعوة إلى تنمية التفكير أول آيات التنزيل	15
المطلب الثاني: الاهتمام بمكانة العقل والدعوة إلى إعمال كامل قدراته	17
المطلب الثالث: الثناء على أهل العقول الذكية والوعيد لمن عطلوا عقولهم.	19
المبحث الثاني: أبرز العمليات العقلية في تنمية التفكير في القرآن الكريم	22
المطلب الأول: الألفاظ الصريحة الدالة على العمليات العقلية	22
1- التفكر	22

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2- التدبر	24
3- التذكر	25
4-الاعتبار	28
5-الفقه	29
المطلب الثاني: الألفاظ الحسية الدالة على العمليات العقلية	30
1-النظر	30
2-التبصر	31
3-الرؤية	32
4-السمع	33
المطلب الثالث: العلاقة بين العمليات العقلية والقلب علاقة تذكير واعتبار	35
المبحث الثالث: أبرز ميادين تنمية التفكير في القرآن الكريم	39
المطلب الأول: التّدبّر في لغة كتاب الله ومقاصد هداياته وسر تأثيره	40
المطلب الثاني: التفكر في آيات الله الكونية وما فيها من تسخير وإنعام وإتقان.	44
المطلب الثالث: التفكر في آيات الله النفسية وما فيها من إنعام وإحسان.	48
المطلب الرابع: التأمل والاعتبار في قصص السابقين من أهل الكفر والإيمان.	51
المطلب الخامس: التفكير في الحجج والبينات والبراهين في مجادلة أهل الباطل	54
المطلب السادس: التفكر في حقيقة الدنيا والآخرة وعلاقتهما بالبلاء والجزاء	56
المطلب السابع: التفكر في أسرار وعلل وحكم ومقاصد التشريع	59
الفصل الثاني **مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم**	
المبحث الأول: معرفة الله وتوحيده وزيادة الإيمان به والافتقار إليه	64
المطلب الأول: معرفة الله عز وجل بكمال ربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته	64
المطلب الثاني: توحيد الله على المستوى الفردي والحضاري	66
المطلب الثالث: زيادة الإيمان بالله والافتقار إلى علمه وحوله وقوته	69

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: تحرير العقول وتصحيح منهج التفكير وتعديل السلوك	73
المطلب الأول: تحرير العقول من تقليد الآباء واتباع الظنون والأهواء	73
المطلب الثاني: تصحيح منهج التفكير بالتلقي عن الله	76
المطلب الثالث: تعديل السلوك واستقامته بالاستسلام لشرع الله	78
المبحث الثالث: تقديم رؤية شاملة متوازنة لمقصد خلق الإنسان وعلاقته بالوجود	84
المطلب الأول: توسيع دائرة التفكير وتعميقه ليشمل الوجود كله	84
المطلب الثاني: تقديم عقيدة شاملة متوازنة مع فطرة الإنسان وقلبه وعقله وحواسه.	88
المطلب الثالث: الاعتبار والاتعاظ بالتاريخ الإنساني والعمراني الأممي	91
الفصل الثالث **خصائص الطريقة القرآنية في تنمية التفكير**	
المبحث الأول: ربانية الطريقة وخلودها في توجيه التفكير منطلقاً وغاية.	95
المطلب الأول: ربانية الطريقة القرآنية في منطلقها.	95
المطلب الثاني: خلود الطريقة القرآنية واستمرار عطائها	98
المطلب الثالث: ربانية الطريقة القرآنية في المقصد والغاية.	101
المبحث الثاني: الوضوح والبساطة في الأسلوب والفهم والاستدلال	104
المطلب الأول: الوضوح والبساطة في الأسلوب.	104
المطلب الثاني: الوضوح والبساطة في الفهم والاستدلال	106
المبحث الثالث: الموضوعية في التحقق من الأفكار والعدل في الحكم عليها	111
المطلب الأول: التثبت في نقل الأخبار وصحة الاستدلال على الأفكار.	111
المطلب الثاني: العدل في قبول الأفكار وتقويمها والحكم عليها	114
الفصل الرابع **أدوات الطريقة القرآنية ودورها في تحقيق مقاصد تنمية التفكير**	
تمهيد: تكامل وترابط أدوات الطريقة القرآنية في تحقيق مقاصد تنمية التفكير	119
المبحث الأول: الفطرة الإنسانية مدخل تذكر القلب وإثارة التفكير	121

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: أساليب الطريقة القياسية في تنمية التفكير	204
المطلب الثالث: أثر الطريقة القياسية في تنمية التفكير	219
الخاتمة	223
التوصيات	225
فهرس الآيات	227
فهرس المصادر والمراجع	240
الملخص باللغة الإنجليزية	249

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد: تعريف الفطرة	121
المطلب الأول: التكامل بين فطرة الكون وفطرة الإنسان وأثرها في تنمية التفكير	122
المطلب الثاني: تذكر القلب وتبصره مقصد الطريقة القرآنية لإيقاظ الفطرة	124
المطلب الثالث: سلامة القلب أصل الانتفاع بالتذكير والتفكير والإحساس	126
المبحث الثاني:الحواس الإنسانية مصدر إدراك القلب وتعقله وربطه بعالم الشهادة	130
المطلب الأول: الحواس الإنسانية آلة استقبال العلوم وبوابة وعي القلوب	130
المطلب الثاني: تكامل وسائل المعرفة الحسية والغيبية وأثرها في تنمية التفكير	131
المبحث الثالث: العقل مركز ضبط وربط العلوم والأفكار في القلب والحواس	134
المطلب الأول: معنى العقل وموقعه	134
المطلب الثاني: العلاقة بين العقل والقلب والحواس وأثرها في تنمية التفكير	136
المبحث الرابع: دور أدوات الطريقة القرآنية في توجيه حركة القلب وإرادته	138
المطلب الأول: القلب ميدان لحركة دائبة للخواطر والأفكار والإرادات	138
المطلب الثاني: العمليات العقلية والحواس وسيلة جلب العلم النافع للقلب	140
الفصل الخامس **الطريقة الإلقائية والقياسية والاستقرائية وأثرها في تنمية التفكير**	
المبحث الأول: الطريقة الإلقائية مفهومها وأهميتها وخصائصها وأبرز أساليبها	144
تمهيد	144
المطلب الأول: مفهوم الطريقة الإلقائية وأهميتها في القرآن الكريم	145
المطلب الثاني: خصائص الطريقة الإلقائية في تنمية التفكير	147
المطلب الثالث: أبرز أساليب الطريقة الإلقائية في تنمية التفكير	163
المبحث الثاني: الطريقة الاستقرائية مفهومها وأهميتها وأساليبها وأثرها في تنمية التفكير	179
المطلب الأول: مفهوم الطريقة الاستقرائية وأهميتها في تنمية التفكير	179
المطلب الثاني: أساليب الطريقة الاستقرائية في تنمية التفكير	183
المطلب الثالث: أثر الطريقة الاستقرائية في نشأة التفكير المقاصدي	197
المبحث الثالث: الطريقة القياسية مفهومها وأهميتها وأساليبها وأثرها في تنمية التفكير	201
المطلب الأول: مفهوم الطريقة القياسية وأهميتها في تنمية التفكير	201

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخص الدراسة

مروان محمد رشدي شريف، طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك 1435هـ- 2014، بإشراف (الأستاذ الدكتور ماجد زكي محمد الجلاد).

تناول الباحث في هذه الدراسة طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم، وهدفت الدراسة إلى التعريف بالطريقة القرآنية ومنهجيتها في تنمية التفكير، وتناولت الدراسة ابتداء مفهوم الطريقة ومفهوم التنمية، ومفهوم التفكير في القرآن الكريم.

وتناولت أهمية تنمية التفكير وأبرز مجالاته في القرآن الكريم، وأنواع العمليات العقلية وعلاقتها بالقلب والتفكير، ثم مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم باعتبار أن الطرائق هي وسيلة تحقيق مقاصد تنمية التفكير، كمعرفة الله وزيادة الإيمان، وتحرير العقل، وتقديم رؤية شاملة لعلاقة الإنسان بالكون والحياة، ثم تناولت الدراسة خصائص الطريقة القرآنية في تنمية التفكير، كالربانية، والشمول والوضوح، والموضوعية ثم تناولت الدراسة أدوات الطريقة القرآنية ودورها في تنمية التفكير، وبينت تكاملها عقلاً وقلباً وفطرة، ثم كان التمثيل بالطريقة الإلقائية والطريقة الاستقرائية والقياسية كنماذج لأهم الطرق القرآنية في تنمية التفكير، وقد أستخدم الباحث المنهج الأصولي الاستنباطي.

وخلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب الأول في تعليم مبادئ التفكير وطرائقه ومجالاته وأن للقرآن الكريم طريقة واضحة وشاملة في تنمية تفكير الإنسان تتوافق مع الفطرة والعقل والقلب ويحصل بها التكامل في عقل المؤمن بين كتاب الله المفتوح وكتابه المقروء، ثم يعتدل السلوك ويستقيم لتحقيق غاية خلق الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الطرائق، تنمية التفكير، الآيات الكونية، الآيات النفسية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة:

الحمد لله الذي رفع قدر الإنسان وميزه بالعلم والعقل والتفكير، ويسر عليه طرائق التعليم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جعل الفهم والفقه في الدين علامة على الخير والحكمة والعطاء، اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أنزل الله كتابه العظيم لإنشاء أمة متميزة في عطائها، لتؤدي مهمة قيادة البشرية وإنقاذها من ظلمات الجهل والضلال والتخلف إلى نور الهداية والعلم والرحمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ (إبراهيم: 1)، وكان من إعجاز هذا القرآن الكريم إخراج أمة ربانية في فكرها وسلوكها وغايتها وقد حملت عبر مسيرتها رسالة عالمية، وأنشأت حضارة متكاملة، وصنعت تاريخاً مجيداً ونشرت علماً نافعاً، وقادت أمماً عريقة قوية في نفس مطمئنة واثقة، وخطا ثابتة راسخة، وغاية واضحة وطاقة حيوية مجتمعة، تنظر إلى طبائع الأشياء وحقائقها وتحولاتها بمنظار ومعايير خالقها ومبدعها ومدبرها.[1]

إن المتأمل في تراث الأمة من علوم ومعارف يجده تراثاً عريقاً متشعب الجوانب، لا يوجد له نظير في أي أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، كتب في أزمان سلطان الإسلام وعزه ودولته يوم كان يحكم عالماً مترامي الأطراف، وكانت مراكز العلم منتشرة في كل صقع من أصقاع العالم الإسلامي، وهذه الجهود الكبيرة تشهد للأمة الإسلامية بالقدرة على

([1]) انظر: قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط13، 1995/1415، ص6؛ قطب، محمد: لا يأتون بمثله دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002/1422، ص95.؛ دروس تربوية من القرآن الكريم، المجموعة الإعلامية، جدة، ط1991/1411، ص10؛ شديد، محمد: منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991/1412، ص3.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قيادة البشرية، ومواكبة التطورات والتغيرات المختلفة، كما تشهد لعلماء المسلمين بقدرات عقلية متميزة في الاجتهاد، ومنهج عميق في التفكير الشامل المبدع [1].

وقد تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه العزيز تأكيدا على تنوع إعجازه، واستمرار تأثير طرائقه في تنمية تفكير الإنسان وفق المعطيات الحضارية لكل عصر، وليبق كتاب التربية الأول للأمة الإسلامية ودستور أخلاقها على مر العصور والدهور، يقوّم سلوكها، ويقود مسيرتها ويوجه حضارتها ويجدد عطاءها، ويبعث إيمانها، ولا زالت معجزات هذا الكتاب العظيم تتجدد وتتنوع كلما تطورت وسائل الحياة، وصدقت الأمة في الرجوع إليه عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، فهو كتاب ذكر وتذكير، وكتاب نور وهداية وبرهان في جميع شؤون الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (الإسراء: 9)[2].

ولا شك أن إبداع الأمة لفنون العلم، وتوجيهها لزمام الحضارة عبر تاريخها العريق، كان ثمرة منهج تربوي قرآني شامل متوازن، تميز بطرائق قرآنية أثارت عقولهم، ووجهت تفكيرهم وأيقظت قلوبهم وسيطرت على دوافعهم، فصوبت نظرتهم لأنفسهم وللكون والحياة، ووسعت مداركهم تجاه العلوم عند الأمم، فانضبطت أعمالهم واستقام سلوكهم، فأصبحوا

([1]) انظر: العودة، سلمان بن فهد: ضوابط في الدراسات الفقهية المعاصرة دار الوطن، الرياض، ط 1، 1415-1995، ص15.

([2]) انظر: دراز، محمد عبد الله: دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط10، 1418/ 1998، ص10- 12؛ قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط24، 1995/1415، 2215/4.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعيشون من أجل رسالة يحملونها للأمم في كل مجالات الحياة، وفي كل حركة يقومون بهـا، وسياسة يصنعونها وتعليم ينشرونه وتأليف يبدعونه، على مستوى الفرد والأمة.[1]

وحتى يسير المنهج التربوي الحديث نحو تحقيق أهداف الأمة وتطلعاتها كان لا بد أن يسترشد بمنهج تنمية التفكير في القرآن الكريم: طريقةً، ومقصداً، ومنهجاً، حيث يلاحظ فـي القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بمكانة العقل وقدراته ووظائفه، ودعوة واضحة إلى تصحيح التفكير وتنميته وفق منهجية ربانية متسقة مع فطرة الإنسان وقلبه وحواسه وغرائزه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

لقد تميز القرآن الكريم بطرائق منهجية في تنمية تفكير الإنسان لا زالت تثير عقله نحو التفكر والتذكر والتبصر، والسير والنظر، ليتدبر آيات الله في كتابه المقروء، وليشهد سننه الكونية والنفسية في كتابه المفتوح، ولها من الخصائص والأدوات والأساليب ما يوجه قوى الإنسان الظاهرة والباطنة بتكامل وتوافق لتحقيق عبوديته لربه فكراً وسلوكاً وغاية، بحيث لا تنفصل فيها الحركة عن الإرادة، ولا التفكير عن الإحساس، ولا الاختيار عن الإدراك، ولتكوين الشخصية الإنسانية المؤمنة، القادرة على حمل رسالة القرآن للبشرية والنهوض بالعالم جميعه.

وبناء على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس.

- **ما طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم؟.**

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

([1]) انظر: الدخاخني، عبدالحميد: مقدمة النبأ العظيم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1417- 1997، ص (ج- د).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1- ما مفهوم تنمية التفكير وأهميته وأبرز عملياته وميادينه في القرآن الكريم؟.

2- ما مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم؟.

3- ما خصائص الطريقة القرآنية في تنمية التفكير؟.

4- ما أدوات الطريقة القرآنية ودورها في تنمية التفكير؟.

5- ما أثر الطريقة الإلقائية والقياسية والاستقرائية في تنمية التفكير؟.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان مفهوم تنمية التفكير وأهميته وأبرز عملياته ميادينه في القرآن الكريم.

2- بيان مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم.

3- بيان تكامل أدوات الطريقة القرآنية ودورها في تنمية التفكير.

4- توضيح خصائص الطريقة القرآنية في تنمية التفكير.

5- بيان أثر الطريقة الإلقائية والقياسية والاستقرائية في تنمية التفكير.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

أولاً: تعد الدراسة جزءا من مشروع التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية التي تحتاج لتضافر جهود الأمة لإخراجه وتجليته في ظل موجة التغريب التي لا زالت تعاني منها الأمة.

ثانياً: انطلاقها من كتاب الخالق - عز وجل- في تنمية تفكير الإنسان، وهذا يعني أن طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم تتوافق مع طبيعة خلقته وغاية خلقه، فالله أعلم بما خلق وأبدع وصور.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً: ازدياد حجم تدفق المعلومات، بحكم ثورة الاتصالات، وتطور تقنيات بث ونقل المعلومات مما يشكل تحديا ثقافيا وتربويا يؤثر على الأفكار والعقائد والفلسفات، ويفرض على الأمة الإسلامية الاهتمام بتنمية التفكير وتأصيله وضبطه.

رابعاً: تزايد الاهتمام لدى المؤسسات التربوية الحديثة ببرامج رعاية الموهوبين والمبدعين التي تعتمد على إثارة التفكير وتنميته ورسم خطواته وخرائطه، والمطالبة بإضافة مواد تُعنى بتنمية مهارات التفكير في مناهج التربية والتعليم.

خامساً: يشكل موضوع تصحيح التفكير وتنميته إعادة لهوية الأمة الحضارية، ذلك أن حقيقة العبودية التي دعا إليها القرآن الكريم تعني في الجانب العقلي، تحرير التفكير الإنساني من سيطرة أصنام الآباء، والأعراف، والنظم، والأهواء.

سادساً: تكمن أهمية تنمية التفكير كونه الحلقة الأولى من حلقات تغيير السلوك، ذلك أن القلب ميدان لحركة فكرية دائبة من الخواطر والأفكار، التي تتطور مع اشتدادها وقوتها إلى عزائم وإرادات تحرك همم أصحابها، وتغير سلوكهم.

مصطلحات الدراسة:

- مفهوم طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم:

لما كان موضوع الدراسة متعلقا بالقرآن الكريم، والتفكير عملية عقلية ميز الله عز وجل بها الإنسان عن سائر خلقه، فإن للقرآن خصوصية في معالجة قضية الإنسان وتفكيره ووظيفته تتناسب مع طبيعة خلقته، وغاية خلقه، فالتفكير في القرآن ليس مجرد عملية عقلية واحدة لا غاية لها، بل هو مجموع عمليات عقلية لها ارتباط وثيق بالقلب والإيمان، واستقامة السلوك، ورسالة الإنسان في الحياة، وعليه فإن مفهوم طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعني: مجموعة الأساليب والخصائص والأدوات التي استعملها القرآن الكريم لتوجيه قدرات الإنسان العقلية، وتقويتها، وزيادة إدراكه، وتوسيع رؤيتها، وتعميق تفكيرها، وتركيز نظرها، لزيادة إيمان الإنسان بربه وهدايته وتحقيق مقاصد خلقه.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على عناوين الرسائل العلمية في بعض الجامعات ومراكز البحث العلمي، والمجلات المحكمة، وقواعد البيانات تبين للباحث أن هناك دراسات لها صلة بموضوع البحث من حيث العموم وهي كما يلي:

1- التفكر من المشاهدة إلى الشهود [1]

وهدفت الدراسة إلى توضيح قيمة التفكير كعبادة، واقترحت تصوراً نفسياً إسلامياً لمراحل التفكر من المشاهدة إلى الشهود، أي ابتداء من مرحلة الإدراك الحسي وانتهاء بمنزلة المراقبة والبصيرة الثاقبة.

ثم تحدثت الدراسة عن أهم الأساليب القرآنية في الحض على التفكير في خلق السموات والأرض، ثم تحدث عن الفروق الفردية في درجات التفكر، وذكرت أهم العوامل البيئية والجبليّة التي تجعل بعض المؤمنين أشد عمقا في تفكيرهم من بعض، وهي: (القدرة على التركيز الذهني، الحالة الانفعالية والعقلية للمؤمن، ومستوى معرفته بالشيء الذي يتفكر به، وأثر الصحبة، والقدوة الصالحة)، ثم ختم الباحث دراسته عن التفكر في سنن الكون بالمقارنة مع الطريقة العلمية من حيث اعتمادها على الملاحظة المضبوطة والتجريب للوصول إلى النظريات والقوانين العامة.

([1]) بدري، مالك: التفكر من المشاهدة إلى الشهود، دراسة محكمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الأردن، 1992.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2 – العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية[1]

وهدفت هذه الدراسة إلى تقصى العمليات العقلية التي أشارت إليها الآيات القرآنية الكريمة واستخلاص الدلالات التربوية المترتبة على ذلك، ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث الطريقة التحليلية التي تقوم على البحث عن معاني الألفاظ التي تدل على العمليات العقلية من مصادرها الأولية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم حدد معالم ثمان عمليات عقلية وهي: الإدراك الحسي، الإدراك المعنوي، والتذكر، والقياس، والاستقراء، والاستنباط، والتقويم والتفكير، وقد ذكر الباحث خصائص كل منها، ورتبها ترتيبا هرميا، فجعل الإدراك الحسي الذي يشكل قاعدة الهرم هو أساس العمليات العقلية، وأن التفكير الذي يحتل قمة الهرم هو أعلى العمليات العقلية مرتبة، ولا يصل إلى هذا المستوى إلا الإنسان المؤمن الذي يخشى ربه ويتخذ من عالم الشهادة جسرا ينقله إلى عالم الغيب، وواجب التربية أن تعنى بالعقل، وأن توظف المنهاج التربوي لتنمية التفكير في مراحل التعليم كله.

3– جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم[2]

هدفت الدراسة إلى التعرف على جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم، كما هدفت إلى التعرف على مفهوم العقل والتفكير في القرآن، وعلاقة التفكير بالعمليات العقلية الأخرى. وقد تحدث الباحث عن خمسة قواعد منهجية في تنمية التفكير وهي: (إثارة الدافع، التوجيه المقصود للانتباه، تنمية القدرة على التخيل، تنمية المهارات اللغوية، تحسين البيئة النفسية

---

(1) عبدالله، عبد الرحمن صالح: العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، دراسة محكمة، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، 1995.

(2) الهيشان، محمود محمد: جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، 1996.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمادية، الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير)، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي.

وكان من أهم نتائجه ترابط العمليات العقلية وتكاملها في تحقيق الأهداف، واشتمال القرآن على قواعد منهجية في تنمية التفكير.

4- منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية[1]:

وقد هدفت الدراسة إلى استنباط منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم من خلال عرض أداتها وعلاقتها بالعلم، وبيان أبعادها وأهدافها ومعوقاتها، وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية المعاصرة من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم.

وأما منهج الدراسة فقد تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك من خلال جمع أطراف هذه المنهجية وتصنيفها وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية ؟

وكان من أهم نتائج الدراسة تأكيد القرآن الكريم – وهو يدعو إلى التفكير – على توظيف جميع العمليات العقلية عند مطارحة فكرة أو معالجة قضية، أو بيان مسألة، أو عرض موضوع، حفظاً وتدبراً وفهماً وتطبيقاً وتحليلاً وتركيباً وتصنيفاً واستنباطاً وربطاً وتقويماً.

([1]) الحدري، خليل عبد الله: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2002.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

6- منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان [1]

وقد هدفت الدراسة إلى بيان مسلك القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان وتوجيه مساره الوجهة السليمة وجاءت ضمن ثلاثة مباحث:

وقد وضح في المبحث الأول الضوابط التي تجعل مسار التفكير سليماً وآمناً: كسلامة الأسس التي يقوم عليها، والتركيز، واصطحاب ذكر الله، ودقة المسلك، وعظمة قضاياه، ثم ذكر أن القرآن الكريم قد أثار ملكة التفكير بأساليب عديدة: كأسلوب الاستفهام التقريري، والتذكير بالنعمة، ونصب القدوة والمثل، والإثارة والتشويق، وضرب الأمثال. وتناول في المبحث الثاني: ميادين التفكير وهي: كتاب الوحي، السنن الإلهية، وكتاب الكون، والحياة الدنيا. وبين في المبحث الثالث: أهداف التفكير ومقاصده وهي الاهتداء إلى وحدانية الله، والوقوف على مقاصد الحياة، وإصلاح النفس وعمارة الكون.

7- التفكير الناقد في التربية الإسلامية[2]

وهدفت الدراسة إلى بيان ملامح المنهج العلمي للتفكير الناقد في التربية الإسلامية وأبعاده ومقوماته مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي.

---

(1) الدغامين، زياد: منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان، دراسة محكمة، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، ع2، 2005.

(2) الرشدان، لبنى حسين: التفكير الناقد في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، 2008.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتناولت فيه الفصل الأول: مفهوم التفكير الناقد في الدراسات الحديثة، أهدافه ومعاييره، وخصائصه، ومهاراته، وكيفية تنميته.

وتناولت في الفصل الثاني مفهوم التفكير الناقد في القرآن الكريم والسنة النبوية والتربية الإسلامية، والحاجة إليه، ومظاهر العناية به، والموقف منه، والعقل وعملياته وميادينه في القرآن الكريم، ونماذج من النقد القرآني، وأخطاء ومعوقات التفكير الناقد.

التعقيب على الدراسات السابقة:

أكدت الدراسات السابقة على أهمية إبراز منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم بشمولية وضرورة المتابعة والتوسع والبحث في تفاصيل هذه المنهجية لما لها من أثر كبير في توجيه وتأصيل العلوم الإنسانية والكونية والحضارة الإنسانية.

وأما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة على وجه التفصيل فهو كما يلي:

1- تعد دراسة مالك بدري محاولة رائدة في الجمع بين الأصالة والمعاصرة في قضية التفكير من عالم متخصص في الدراسات النفسية، حيث تناول في دراسته موضوع التفكير كعبادة ترتقي بالمؤمن إلى رؤية قدرة الله وآياته في كل شيء، وتلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحث باعتبار العبودية من أهم منطلقات ومقاصد الطريقة القرآنية في تنمية التفكير، وتتميز الدراسة الحالية بمحاولة إبراز دور الطرائق القرآنية ومنهجيتها في تنمية التفكير بوجه عام دون الوقوف عند المعنى العبادي أو الروحي للتفكير.

2- وأما دراسة عبد الرحمن صالح عبد الله في العمليات العقلية، فقد تحددت في حصر العمليات العقلية في القرآن الكريم، ومحاولة فهم خصائصها ودلالاتها التربوية في سياقها ثم ترتيبها ترتيبا هرميا، حيث جعل التفكير أعلى مراتب العمليات العقلية، والإدراك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحسي قاعدة الهرم، ولكنه لم يبين الطريقة القرآنية في تنمية التفكير وضبط مساره رغم احتلاله قمة الهرم في العمليات العقلية، وقد استفادت الدراسة الحالية في اعتبار بعض العمليات العقلية كالإدراك الحسي والمعنوي منطلقات لتنمية التفكير.

3- وأما دراسة الهيشان فهي دراسة عامة في جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم، وتلتقي في أحد مباحثها مع الدراسة الحالية عند ذكر خمسة قواعد منهجية في تنمية التفكير، والقواعد أشبه بالنظرية العامة التي توجه الطريقة، وتبقي الطريقة أخص من القاعدة العامة في تنمية التفكير، إذ تعد أداة التنفيذ المباشر والدقيق لعملية التفكير.

4- وأما دراسة خليل الحدري فهي تلتقي مع الدراسة الحالية في منطلقات التفكير، وخاصة ما يتعلق بالعقل ومكانته، وهي تمثل إطارا وهيكلا عاما للتفكير العلمي في أبعاده وميادينه وجوانبه وعملياته وأهدافه. ولا شك أن منهجية التفكير العلمي تحتاج إلى طريقة لتنميته وتوجيهه وتحقيقه، وهذا ما تحاول الدراسة إبرازه وبيانه.

5 – وأما دراسة الدغامين، فهي تلتقي من الدراسة الحالية في بيان منطلقات وركائز التفكير ومقاصده، وأبرز ميادينه، وبعض أساليب القرآن في إثارة ملكة التفكير، وتختلف الدراسة الحالية عنها في ذكر الآليات والوسائل والخصائص التي تستند عليها الطريقة القرآنية في تنمية التفكير.

6- وأما دراسة لبنى الرشدان فهي متخصصة في دراسة نوع معين من أنواع التفكير، وهو التفكير الناقد، وقد ذكرت الباحثة برامج تنمية التفكير الناقد في الدراسات التربوية الغربية، وأثر فلسفتها في اعتبار كل شيء خاضع للتفكير الناقد، ولم تذكر كيفية تنمية التفكير الناقد في التربية الإسلامية، وإنما جعلت منهجية التفكير الناقد محورا عاما لدراستها موضحة تميز وخصوصية التفكير الناقد في التربية الإسلامية عن المدرسة الغربية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والخلاصة أن الدراسات السابقة تحدثت عن منهجية التفكير في القرآن الكريم من جهة قواعد ومبادئ وميادين ومنطلقات عامة وكلها جادة في مجالها، ولكنها لـم تبـرز الطريقـة القرآنية وخصائصها وأسلوبها في بلورة وتنفيذ منهجية التفكير، وقد جاءت هذه الدراسة لوضع إطار منهجي يخص الطريقة القرآنية ضمن المنهجية العامة للتفكير، لإبراز خصوصية طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم وتفردها في تحقيق العبودية لله عز وجل في ميـادين التفكيـر المختلفة.

منهجية الدراسة:

تستخدم الدراسة المنهج الأصولي الاستنباطي، الذي يقوم على جمع النصوص القرآنية المتعلقة بموضع البحث، والرجوع إلى كتب التفسير لبيان معانيها، واستنباط الطرائق القرآنية والمبادئ التربوية وفق ضوابط وقواعد محددة [1].

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على تناول أهم الطرائق القرآنية وأبرزها: وهي الطريقـة الإلقائيـة لوضوحها وشمولها، والطريقة الاستقرائية، والطريقة القياسية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(1) انظر: عبد الله، عبد الرحمن صالح، فودة، حلمي محمود: المرشد في كتابة البحوث التربوية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط5، 1408- 1988، ص43؛ يالجن، مقداد: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط1،1419-1999، ص 20 -22؛ مطالقة، أحلام وآخرون: دليل كتابة البحوث ومشاريع الرسائل العلمية في الدراسات الإسلامية، دار عماد الدين للنشر، عمان، ط 1، 1433- 2012، ص 20.

الفصل الأول

مفهوم تنمية التفكير وأهميته وأبرز عملياته وميادينه في القرآن الكريم

تمهيد: مفهوم تنمية التفكير.

المبحث الأول: أهمية تنمية التفكير في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أبرز العمليات العقلية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أبرز ميادين التفكير في القرآن الكريم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

مفهوم تنمية التفكير وأهميته في القرآن الكريم

التنمية لغةً: هي الزيادة والكثرة والعلو والرفع. ونميته: رفعته على وجه الإصلاح[1].

وتنمية التفكير في الاصطلاح التربوي: تقوية التفكير وترقيته وتحسينه ومضاعفة القدرات والمهارات العقلية لدى الطلاب [2] .

وفي المجال القرآني فإن تنمية التفكير تعني: تقوية القدرات العقلية ومضاعفتها، وتوسيع عملياتها وإبراز ميادينها، وتحديد مجالات اختصاصها، وتوجيه غاياتها بما يحقق مقاصد خلق الإنسان.

المطلب الأول: الدعوة إلى تنمية التفكير أول آيات التنزيل

إن المتأمل في أول آيات القرآن الكريم نزولا يجد أن الله عز وجل افتتح إنزال كتابه العظيم بالآيات التي تحث على التفكر من خلال الأمر المتكرر بالقراءة باسم الرب الخالق الأكرم، وتذكّر بعموم نعمة الخلق والإيجاد، وتخص التفكير في خلق الإنسان، وتذكره بمرحلة

---

(1) انظر: ابن منظور: تحقيق عبد على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي: دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1401-1981، 6 /4551-4552

(2) انظر: إبراهيم، مجدي عزيز: تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1427- 2006، ص297، 343؛ الجلاد، ماجد: دراسات في التربية الإسلامية، دار الرازي، عمان، ط1، 1424-2003، ص21؛ طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، ط1، عمان، 1430- 2009، ص 326؛ معمار، صلاح صالح: علم التفكير، ديبونو للطباعة النشر، عمان، ط1، 2006؛ الكيلاني، ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، 1419-1998، ص57.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تكوينه وضعفه، وحاجته إلى ربه، ونعمة الله عليه ورعايته وتعليمه الكتابة بالقلم، الذي به تخلد العلوم، وتتناقل المعارف والخبرات بين الأمم والحضارات.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق: 1-5).

فليس المراد بالقراءة مطلق قراءة الحروف لأن السياق يدل على قراءة خاصة غير تلك المعهودة، أي قراءة تدبر وتفكر تبدأ باسم الرب الخالق، وتسير مع العقل في تأمل أفعاله وصفاته وتدبيره وتصريفه وإنعامه وإحسانه، وذلك يكون بإعمال الحواس في الكون، وملاحظة الظواهر وتتابعها لاكتشاف العلاقات والقوانين والسنن، التي تحكمها وتسيرها، ثم فهمها وتفسيرها وتسخيرها في خدمة الخلق.[2]

وتنتهي هذه القراءة بتعديل سلوك الإنسان ليكون عابداً للخالق، معترفاً بكمال إلوهيته وربوبيته، متفكراً بآياته الكونية، شاكراً ذاكراً لنعمه، مستسلماً منقاداً لشرعه وأمره في خلقه وحضارته فهي قراءة إيمان وإسلام، وقراءة شكر وعرفان، وقراءة خضوع وتلقي.[3]

وهذه هي حقيقة رسالة القرآن التربوية، وخلاصة معاني التربية وتنمية التفكير في أول خطاب رباني للإنسان، فلا فصل في الأمر بالقراءة بين التربية والتفكير، ولا بين قراءة كتاب الله المسطور (الوحي)، وكتابه المنظور (الكون)، وكتابه المأثور (التاريخ)، ولا بين

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424- 2003، ص389.

([2]) ملكاوي، فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 1432-2011، ص225.

([3]) انظر: النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، دار المكتبي، دمشق، ط 1، 1426- 2005، ص 31- 38.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التفكير وخضوع القلب، واستقامة السلوك [1]. قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ (العلق: 6 – 8).

المطلب الثاني: الاهتمام بمكانة العقل والدعوة إلى إعمال كامل قدراته

إن المتدبر لكتاب الله عز وجل يجد اهتماماً بالغاً بمكانة العقل ووظائفه وقدراته، فهو أداة التفكير وعملياته، نظراً وتدبراً، وتفكراً، وتذكراً، وتبصراً [2] (وهو تلك القوة والغريزة التي تمكن الإنسان من إدراك المعاني والحقائق) [3]، وموقع هذه القوة في القلب.

وفي القرآن الكريم دعوة واضحة إلى تنميته وإعماله قدراته في كل ميادين عالم الشهادة: في السماء وزينتها وشمسها، وقمرها، ونجومها، وكواكبها، والأرض ونباتها وجبالها وبحارها وأنهارها، والرياح وتصريفها، وفي الإنسان ونفسه، وأطوار خلقته، ومراحل القوة والضعف في مسيرة حياته..[4] الخ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الحديد: 17)، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ (الروم: 21).

([1]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دار القلم، دبي، ط 1، 1427- 2006، ص270-273.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424- 2003، ص 254- 255؛ الحدري، عبد الله خليل: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1425- 2005، ص61.

([3]) ياسين، محمد نعيم: مباحث في العقل، دار النفائس، عمان، ط 1، 1432- 2011، ص 130، وسيأتي تفصيل معنى العقل ومكانه في الفصل الرابع.

([4]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 261-396.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(والقرآن مملوء من الأمر بتدبر القرآن، والتفكر فيه، والتذكر له، وعقله، ومن الأمر باستماعه، وتلاوته، والبكاء والوجل واقشعرار الجلد منه).[1]

وقد جاءت الدعوة للتفكير بألفاظ عملية فعلية، وبأساليب تحضيضية دعوية، وأخرى استنكارية توبيخية تعجبية، تدل على الجدال بالحق، والمطالبة بالبراهين، وإبطال حجج الخصوم[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنبياء: 67)، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأنعام: 50)، ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (الأنعام: 80) ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران: 118)، ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر: 21)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82).

فالله عز جل (لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه على وجوب العمل به، الرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه)[3].

([1]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1432، ص35.

([2]) انظر: انظر: الحدري، خليل عبدالله: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، ص 142- 144؛ سفر الحوالي، سفر: الأشاعرة عرض ونقض، كتاب البيان، 113، 1430، ص49.

([3]) العقاد، عباس محمود: التفكير فريضة إسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ص 7.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويظهر ذلك جلياً من خلال الآيات الكثيرة الصريحة التي تدعو العقل والقلب معا بكل طاقتهما وقدراتهما إلى التفكر والتدبر في آيات الله المقروءة، والتبصر في آيات الله النفسية والكونية والتأمل في الظواهر الاجتماعية المتجددة والمتغيرات الكبرى في تاريخ المسيرة الإنسانية، والنظر في آلاء الله ونعمه الظاهرة والباطنة على الإنسان، والاعتبار بقصص الأنبياء والصالحين وآثار المكذبين، وتذكر بحقيقة الدنيا والآخرة وما بينهما من حياة وموت وبعث وحساب، والسير في الأرض لمشاهدة قدرة الله المعجزة، ودقة صنعته المبهرة، وكمال علمه وحكمته وقدرته في خلقه وأمره [1].

إذا فالقرآن ينظر للعقل وعملياته نظرة إيجابية، وأنه قابل للتنمية والترشيد والتعليم من خلال التأمل والتفكير في الآيات الكونية والنفسية والسنن الاجتماعية والقوانين المادية[2].

المطلب الثالث:الثناء على أهل العقول الذكية والوعيد لمن عطلوا عقولهم

لقد أثنى الله عز جل على أولي الألباب، وهم أهل العقول الكاملة الذكية الخالصة من الشوائب، فقلب الشيء خالصه [3]، وهي العقول التي تدرك الأشياء بحقائقها على تجلياتها[4]، وهم أهل الفهم والاستنباط الصحيح، لكونهم يُعملون عقولهم في استنباط المعاني والعلل[5]، وخصهم الله عز وجل بتذكر فضله عليهم عندما يتفكرون بالحكمة التي منحها الله لهم، وهي الفهم والعلم

([1]) انظر: الجليل، عبد العزيز بن ناصر: أفلا تتفكرون، دار طيبة، الرياض، ط2، 1429- 2008، ص21-31

([2]) انظر: بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن الكريم دار الفكر، دمشق، ط1، 1428- 2008، ص9-10.

(3) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1418- 1998، 446/1.

(4) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الرياض، 1420- 1999، 184/2.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1409، 289/1.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والصواب في الفعل، ومدحهم في تفكرهم في آيات الله الأرضية والسماوية والزمانية، فينتفعون بعقولهم وحواسهم، ويخضعون لعظمة الله وجلاله فيتعظون ويسبحون ويتضرعون دعاء وافتقارا، ويزدادون يقينا وخشية وخوفا ورجاء، فينتقلون من رؤية السبب إلى رؤية المسبب فيتذكرون عظمة ربهم وجلاله[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة: 269)، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (آل عمران: 190 – 191)، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء: 83)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الرعد: 19).

وفي المقابل فإن الله عز جل قد ذم الغافلين المعطلين لقلوبهم وحواسهم عن التفكر والتبصر والنظر والانتفاع، فأعرضوا واستكبروا عن أمر الله ورسله، واتبعوا أهواءهم، وشنع عليهم أشد التشنيع، وتوعدهم بأن مصيرهم النار، ووصفهم بأنهم أضل من الأنعام.

فالذي يعطل عقله وسمعه وبصره عن آيات الله وعظاته وحججه وبيناته، أشبه بالأنعام التي لا تعقل، فالله عز وجل أنعم على الإنسان بنعمة العقل والحواس، لكي يتعرف على ربه

---

[1] انظر: الرازي، محمد بن عمر التميمي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421– 2000، 61/1، 155/7.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بقلبه وعقله وحواسه، بالنظر في آياته وتدبر كلامه وسماع براهينه، وتحقيق غاية خلقه، وهذا الأمر لا يحصل إلا بالعلم، وأبواب العلم ومداخله هي السمع والبصر والعقل، فالمعطل لحواسه قد أقفل على قلبه منافذ العلم، وحرم نفسه من الهداية والنور والرحمة، لذلك وصفهم الله بـــأنهم أضل من الأنعام بل شر الدواب عند الله، ومثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنفال: 22)، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: 179)، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ (الملك: 10)

([1]) انظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 86.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

أبرز العمليات العقلية في تنمية التفكير في القرآن الكريم

لا شك أن القرآن الكريم مليء بالطرائق والألفاظ والأدوات الدالة على معاني العمليات العقلية الصريحة وغير الصريحة [1]، وضرورة إعمال العقل في آيات الله الكونية والنفسية تفكرا ونظرا واعتبارا، وإعماله في آيات الله القرآنية تدبرا لشرع الله ودينه وأفعاله وأمره ونهيه، لمعرفة علل أحكامه، ومقاصد تشريعه وأسراره خلقه، للوقوف على كمال علم الله، وكمال حكمته، ولطفه بعباده، وإحسانه إليهم، ورعايته لمصالحهم في العاجل والآجل.

وقد كان التعبير بالحواس عن عملية الإدراك في القرآن الكريم مقصودها القلب وتعقله ورؤيته والتفاته وبصيرته وسيره وفهمه، وليس مجرد الإدراك المطلق بالحواس[2].

المطلب الأول: الألفاظ الصريحة الدالة على العمليات العقلية

من أبرز هذه الألفاظ الصريحة الدالة على العمليات العقلية في القرآن الكريم ما يأتي:

1-التّفكّر:

والتفكر كما يلاحظ من أقوال أئمة اللغة يدور حول التأمل، والنظر في الشيء، وإعمال الخاطر فيه، قال الجوهري في مادة (فَكَرَ): " التَّفَكُّر: التأمل والاسم: الفِكر والفِكرة" [3].

([1]) انظر: الحدري، عبد الله خليل: التفكير العلمي في القرآن الكريم، ص140.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص255.

([3]) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404، 783/2.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال ابن منظور: الفِكر: إعمال الخاطر في الشيء[1].

وقال الأصفهاني في مفردات القرآن: "الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب... ورجل فكِّير: كثير الفكرة"[2].

ويعد التفكر المدخل لكل العمليات العقلية التي تليه، فهو يبدأ عمله وتسلسله من أمر مدرك محسوس مشاهد، فالحواس الإنسانية تنقل للقلب ما تراه وتسمعه وتحس به، والعقل ينشط في الفهم والتحليل والنظر والتصور، والقلب يتأثر ويخشع ويريد ويطلب ويتطلع، والجوارح تتحرك بما يريده القلب ويرغبه امتثالاً أو اجتناباً.

لذلك عرف العلماء التفكير من الناحية القلبية وآثاره السلوكية والفكرية بأنه (إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة) [3]، كاستحضار حقيقة الدنيا وقصر لذتها وزوالها وحقيقة الآخرة وبقائها وخلود لذتها، ثم وإيثار الدار الآخرة لدوام نعيمها وبقائه، وقالوا أيضاً: (المتفكر ينتقل من المقامات والمبادئ التي عنده إلى المطلوب الذي يريده، فإذا ظفر به وتحصل له، تذكر به وأبصر مواقع الفعل والترك، وما ينبغي إيثاره وما ينبغي اجتنابه)[4].

وقد وردت تصريفات كلمة التفكير في القرآن الكريم في ثمانية عشرة موضعا من آيات الذكر الحكيم[5]، وأكثر هذه السياقات ورودا سياق التذكير بآيات الله الكونية والنفسية،

([1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، 65/5.

([2]) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: مفردات القرآن، ص386.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، ص 253.

([4]) انظر: المرجع السابق، 297- 298.

([5]) انظر: محمد زكي محمد خضر: معجم كلمات القرآن الكريم، 1426- 2005، 7/2.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونعمه على خلق، وتسخيره لهم ما في السموات وما في الأرض لصلاح أحوالهم ومعايشهم، حيث ورد ذلك في سبعة مواضع، ثم جاءت بقية المواضع في سياق التذكير بأسرار التشريع وعلله، وحكمته، والاعتبار بأمثله القرآن الكريم، وبيانه وتفصيله، ووعظ الكفار للتفكر في شأن النبي -ﷺ- وحقيقة دعوته منفردين ومجتمعين، والرد على زعمهم أن القرآن الكريم من كلام البشر، وأنه سحر يؤثر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الرعد: 3)، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم: 21)، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ (البقرة: 219). ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأنعام: 50)، ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المدثر: 18-19).

2-التدبر:

والأصل في التدبر النظر والتفكر في دابر الأمور وعاقبتها [1]، ومعلوم أن خاصية العقل هي النظر إلى عواقب الأمور وغاياتها[2].

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 151/10.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص444

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال ابن منظور: (دبر الأمر وتدبره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره)[1] ، وقال ابن القيم (تدبر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل، كالتجرع والتفهم والتبين)[2].

وقد وسع الشيخ محمد رشيد رضا مفهوم تدبر كتاب الله ليصبح (النظر والتفكر في غاياته ومقاصده، التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به، والمخالف له)[3].

وقد ورد التدبر في أربع آيات قرآنية، وجاءت ثلاثة مواضع منها في سياق الحديث عن الكفار والمنافقين، ووصف أفعالهم، والتحذير منهم، وحضهم على تدبر القرآن الكريم، وتفهم معانيه والتحذير من معارضته وترك تدبره، وورد الأمر للأمة في الآية الرابعة بالتدبر في مقاصد تنزيل كتاب الله العظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82)، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد: 24)، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (المؤمنون: 68)، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: 29).

3-التّذكر:

التذكر هو استحضار ما يحفظه الإنسان من المعارف، وجريانه على لسانه، أو تصوره بقلبه، أو استحضار ما فطر عليه القلب من اعتقاد، وعلى هذا المعنى دلت أقوال أهل العلم.

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1995/1415، 273/4.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 255.

([3]) رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، 233/5.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(والذِّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنّفس يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذّكر ذكران: ذكر بالقلب. وذكر باللّسان. وكلّ واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان. وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ). [1]

(والتَّذَكُّرُ: تَذَكُّرُ مَا أُنسيته، وذَكَرْتُ الشَّيْءَ بَعْدَ النِّسْيَانِ، وذَكَرْتُه بِلِسَانِي وَبِقَلْبِي، وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غَيْرِي..). [2]

وذكر الإمام الغزالي أن (التذكر ضربان: أحدهما: أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه، لكن غابت بعد الوجود، والآخر: أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة)[3].

وقيل (هو حضور صورة من المذكور في القلب، فإذا استحضره القلب، وشاهده على وجهه أوجب له البصيرة)[4] .

وتذكر القلب في القرآن الكريم: هو استحضار عظمة الرب وجلاله، واتعاظ القلب وخشيته وخوفه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ (ق: 45)[5] .

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 184

([2]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على: لسان العرب، 309/4.

([3]) الغزالي: محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 87/1.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د. ت)، 194/1.

([5]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420 - 1999، 184/2، 412/7.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتّذكر من أكثر ألفاظ العمليات العقلية وروداً في القرآن الكريم[1]، ولعل ذلك يعود لأهمية هذه الكلمة ودلالاتها، فقد سمى الله عز وجل كتابه العظيم بالذكر، فهو كتاب ذكر وذكرى وتذكير للقلب والفطرة بكل ما فيه من هداية وأحكام وتشريعات، وقصص وعبر وأمثلة، وآيات كونية ونفسية مقروءة، ومواعظ ووعد ووعيد، وجدال وحجج وبينات وبراهين، وقد مدح الله عز وجل في خمس آيات أولي الألباب، وخصهم بالتذكر والانتفاع والاتعاظ، وهم أولو العقول والأفهام والنهى، الذين يعرفون العواقب[2].

وقد اشتملت آيات التذكير الحديث عن الأحكام الشرعية، وما فيها من علم ورحمة وعدل وحكمة، وأخبار الأمم السابقة، وسير الصالحين والمكذبين، وقصص الأنبياء والمرسلين، وما فيها من عبر وعظات وسنن وتقلبات، وبيان آيات الله الكونية وما فيها من إتقان وإبداع وإحسان وإنعام ودلائل وبراهين على ربوبية الله واستحقاقه للعبودية وحده مقصداً وطاعة واتباعاً، ثم الحديث عن جدال الكفار، وإبطال حججهم، ودعوتهم للحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: 9)، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة: 269)، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (يونس: 3)، ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا

---

(1) وقد بلغت مشتقات جذره (292) مئتان واثنان وتسعون كلمة، وعدد كلماته المختلفة (107) انظر: محمد زكي محمد خضر: معجم كلمات القرآن الكريم.

(2) انظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421- 2000، 50/5؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1405- 1985، 329/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعراف: 2 – 3)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: 90)، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الزمر: 27).

4-الاعتبار:

من العبرة: وهي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان، ويعمل به، فيعتبر بما مضى ليستدل به على غيره، ومنه قولـه تعـالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: 2) أي تَـدَبَّرُوا وانظُروا فِيمَا نَزَلَ بقُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، فقايسوا فِعالَهم واتَّعِظُوا بِالْعَذَابِ الَّذِي نَزَلَ بِهِـم، وقيـل لِعَابِرِ الرُّؤْيَا: عَابِرٌ لأنه يتأمل ناحيَتي الرُّؤْيَا فيَتَفَكَّرُ فِي أَطرافها، ويتدبَّر كُـلَّ شَـيْءٍ مِنْهَـا وَيَمْضِي بِفِكْرِهِ فِيهَا [1].

وقيل هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة المُشاهَد إلى ما ليس بمُشاهَد،[2] ، أو هو النظر في دقائق الأشياء، وجهات دلالتها، ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها.[3]

وقد جاءت آيات الاعتبار الدالة على التفكر والتأمل في سبعة مواضع، وكان الأكثر ورودا سياق الحديث عن قصص السابقين وما في خزيهم وإهلاكهم بسبب كذبهم وتكبرهم وإعراضهم من عبرة وموعظة وحكمة في أقدار الله وأفعاله[4]، والسياق الآخر كان في بيان آيات الله في الكون والدعوة إلى تأملها والتفكر في تسخير الله لها قال تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى

([1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، 530/4- 531.

([2]) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 323.

([3]) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 245/29، 168/7

([4]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، 18/2، 57/8.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ (المؤمنون: 21)، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ (النازعات:)﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ (آل عمران: 13).

5-الفقه:

والفقه لغة: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ، والفهمُ له، [1]، وقيل هو أخص من العلم[2]، إذ يفيد مزيد فطنة وقوة وذكاء [3].

وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر عشرون كلمة[4]، وورد هذا اللفظ صفة للكفار والمنافقين، واليهود في ثمانية مواضع، وجاء مرتين في الحديث عن آيات الأنفس والآفاق،، وجاء مرة في سياق الحديث عن فقه القلب وعلمه، وذم الغافلين الذين لا ينتفعون بعقولهم وأسماعهم وأبصارهم. قال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ (المنافقون: 7)، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء: 78)، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ (الأنعام: 98)، والحديث عن نشأة الإنسان من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، وانتقاله من صلب أبيه (المستقر) إلى رحم أمه، (المستودع) وتقلب أحواله في الدنيا بين إيمان وكفر، يحتاج لمزيد تدبر وقوة فهم وفطنة، لذلك كان ختام الآية بقوله تعالى (لقوم يفقهون) بخلاف الآية السابقة التي ختمت بقوله تعالى (لقوم يعلمون) لأن الاهتداء بالنجوم في السماء آية واضحة لجميع الناس ولا تحتاج لفطنة كبيرة[5].

([1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، 522/13

([2]) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، 384/1

([3]) انظر: الرازي، محمد بن الحسين: مفاتيح الغيب، 147/10، 13/ 85

([4]) انظر: محمد زكي محمد خضر: معجم كلمات القرآن الكريم.

([5]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 82/13

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: الألفاظ الحسية الدالة على العمليات العقلية

وهي ألفاظ يفهم من سياقها الدعوة لإعمال العقل والتفكر والتأمل، ولا شك أن عملية الإدراك في القرآن تعني اشتراك العقل والقلب والحواس، وهذا ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، لذلك جاء ذم الغافلين في القرآن الكريم رغم سلامة حواسهم كونها لم تنفعهم في الإيمان بالله، والإخلاص في عبوديته، والنجاة من النار قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: 179).

ومن الألفاظ الحسية الدالة على العمليات العقلية ما يلي:

1-النظر:

والنظر لغة: حِسّ العين، والتأمل في الشيء، وإذا قيل نظرت إليه فالمراد العين الجارحة، وإذا قيل نظرت في الأمر، فالمراد تفكرت فيه وتدبرته بالقلب [1].

وقد جاءت الدعوة في القرآن الكريم إلى النظر الاعتباري القلبي، وهو النظر بالبصر الظاهر إلى الآيات الكونية وتجاوزه إلى البصيرة الباطنة، أي التأمل في حكمة الله في خلقه[2]، والتفات القلب إلى المنظور فيه، والبحث والفحص، وتقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته[3].

([1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 215/5، 217.

([2]) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص 499-500.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 276.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ورد النظر في سياق التفكر في آيات الله الكونية في عشرة مواضع، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ (يونس: 101) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ ﴾ (الغاشية: 17).

وورد النظر كثيرا مقترنا بالسير في الأرض، والتفكر في عاقبة المكذبين، والمفسدين والظالمين حيث بلغت واحد وعشرين موضعا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ ﴾ (آل عمران: 137)، وورد لفظ النظر أيضاً في سياق المجادلة، والمحاجة بالحق، والتوبيخ، وذلك في تسعة مواضع، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾ (المائدة: 75).

2-التبصر:

التبصر لغة: التأمل والتعرف، والبصر نفاذ في القلب، وبصر القلب: نظره وخاطره والبصيرة: عقيدة القلب، وقيل الفطنة، والعبرة، والحجة [1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤ ﴾ (الأنعام: 104)، والبصائر: جمع بصيرة (هي اسم للإدراك التام الحاصل في القلب، والبصر اسم للإدراك التام الكامل الحاصل بالعين التي في الرأس).[2]

([1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، 65/4.

([2]) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، 104/13.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأصله من البصر، يقال للجارحة الناظرة، وجمعه أبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الملك: 23)، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة، وجمعه بصائر[1]، ومنه قوله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج: 46).

وقد ورد أيضاً ما يدل على استعمال القرآن الكريم لهذه الحاسة للدلالة على التفكر والتعقل لآيات الله الكونية، وسننه في نصرة أوليائه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ (النور: 44) ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ (آل عمران: 13) وأولو الأبصار أي أولو العقول، أي إن في ذلك لمعتبرا لمن له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وأقداره[2].

3-الرؤية:

الرؤية لغة: (النظر بالعين والقلب) [3]، أي إدراك المرئي بالحاسة أو بالقلب، وإذا عُدّيت بإلى تقتضي النظر المؤدي إلى الاعتبار، وهي رؤية القلب، فيكون معنى ألم تر: أي ألم تعلم[4].

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، ص 59.

([2]) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 550/1.

([3]) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب 291/14.

([4]) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 189- 190؛ الرازي، محمد بن عمر التميمي: مفاتيح الغيب، 77/24.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جاءت الدعوة إلى الرؤية العقلية القلبية في سياق الحديث عن آيات الله الكونية، وبيان رحمة الله، وعظمته، وإنعامه على خلقه وحفظه، وكان سياقها يبدأ بالاستفهام التقريري (ألم تر)، وقد بلغ عدد مواضعها عشر مواضع، وجاءت أيضا في سياق جدال المنافقين، وأهل الكتاب، والكفار ومحاجة المتكبرين، والمنكرين للبعث والنشور، وكان مطلع آيات الجدال، وإبطال الشبهات، التوبيخ، والإنكار ودعوة النبي -ﷺ- إلى جدالهم، وبيان ضعف حججهم كما في قوله تعالى: قل أرأيتم (أربعة عشر موضعا) - ألم تر (ثلاثة عشر موضعا) - ألم- أولم يروا (اثنا عشر موضعا) - قل أرأيتكم (موضعان) [1] وكلها تدعو إلى إعمال العقل بالتفكر والتأمل والنظر والجدال بالحق.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (الفرقان: 45)، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يس: 77 - 78)، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنعام: 46).

4-السمع:

السمع قوة في الأذن يدرك بها الأصوات، ويأتي السمع بمعنى الفهم كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة: 285)، أي فهمنا وارتسمنا، وكل موضع أثبت الله فيه السمع للمؤمنين، أو نفاه عن الكافرين، أو حث على تحريه، فالقصد

([1]) وقد بلغ عدد الكلمات المشتقة من هذا الجذر (328) كلمة، وكان عدد الكلمات المختلفة (122) كلمة ولعل هذه العملية العقلية هي الأكثر ورودا في القرآن انظر: محمد زكي: معجم كلمات القرآن الكريم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

به تصور المعنى والتفكر فيه كقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (فصلت: 44)[1].

وقد أثبت الله عز جل للكفار أسماعاً وأبصاراً وأفئدة في الدنيا، ولكنهم لم ينتفعوا بها لكونهم لم يسمعوا ولم يبصروا الحق بقلوبهم وعقولهم، بل أعرضوا، وتكبروا، وجحدوا فختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، واستحقوا النار وبئس المصير[2].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأحقاف: 26)، ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾

إن المتدبر لأنواع العمليات العقلية الواردة في القرآن الكريم يجد أنها جاءت بألفاظ مختلفة صريحة وغير صريحة، وكلها تدل على معنى واحد، وهو إعمال العقل والتفكر.. ولكن لماذا جاءت بهذا التنوع والتعدد؟ لا شك أنها دعوة تطبيقية لتنمية التفكير وإثارة العقل لإعادة النظر والتفكر والتدبر بعمق مرة بعد أخرى على مر العصور والدهور، لاستكشاف الحكم، والأسرار والمعاني الدالة على إعجاز متجدد وراء هذا التنوع والتعدد، ولا يكتمل ذلك إلا عند استقراء ألفاظ كل عملية عقلية، وعرضها في سياق الموضوع الذي وردت فيه، ثم تصنيف هذه الموضوعات لمعرفة الحكمة من ورود هذه اللفظة بهذه الصورة وفي هذا السياق بالذات[3].

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 242

([2]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، 178/8

([3]) انظر: الحدري، عبد الله خليل، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، ص 48

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: العلاقة بين العمليات العقلية والقلب علاقة تذكير واعتبار

بالرغم من تعدد مسميات العمليات العقلية واختلاف صيغها، إلا أن القلب هو مرجعها ومنتهاها، والحواس هي منفذها وأداتها، والعقل وعملياته هو الواسطة بين طرفي القلب والحواس.

فالتفكر هو مدخل العمليات العقلية ومفتاحها وبوابتها الكبرى، ومقصوده زيادة العلم وتكثيره واستجلابه على القلب عبر الحواس، وتعقل القلب وبصيرته ونظره في العلم هو المرحلة الوسطى في مسيرة التأمل القرآني، وأما تذكر القلب واعتباره بتكرار العلم ورسوخه فهو ثمرة التفكر والتعقل، والغاية العظمى من هذه العمليات الحسية والعقلية والقلبية المتداخلة هو تعديل السلوك واستقامته[1].

قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: 46)، وقال -ﷺ- (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).[2]

وقد تحدث أهل العلم عن علاقة بعض العمليات العقلية بالقلب من حيث المبدأ والأثر والمقصد فقالوا:

(وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه، ليرسخ فيه، ويثبت، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير

([1]) انظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 255، وانظر تفصيل العلاقة إحصائيا بين القلب والعمليات العقلية (العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم)؛ بركات، صالح سلامة: رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة اليرموك، كلية التربية والفنون، 1995، ص50-90.

([2]) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52)، 1/ 52.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب، فالتفكر يحصله، والتذكر يحفظه. فالتفكر والتذكر بذار العلم، وسقيه مطارحته، ومذاكرته تلقيحه)[1].

وهذا يتناسب مع سياق عرض الله عز وجل لنعمه وآيات ودلائل ربوبيته على خلقه في سورة النحل، أي بدأ من التفكر إلى التعقل ثم التذكر، الذي هو ثمرة العمليات العقلية ومقصدها كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (النحل: 10- 13).

(فالتذكّر هو مقصود التفكر وثمرته، فإذا تذكر عاد بتذكرة على تفكره، فاستخرج ما لم يكن حاصلا عنده، فهو لا يزال يكرر بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره ما دام عاقلا؛ لأن العلم والإرادة لا يقفان على حد، بل هو دائما سائر بين العلم والإرادة... وإذا عرفت معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى، يتبصّر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته، فان المضاد للعلم، إما عمى القلب، وزواله بالتبصر، وإما غفلته وزواله بالتذكر)[2].

قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (ق: 6 – 8).

([1]) ابن القيم: محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 255.

([2]) المرجع السابق، ص 297، 298 باختصار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جعل الله عز وجل آياته السماوية والأرضية تبصرة وذكرى للقلب، فالتّبصرة: التّعقل والتّذكِرة: التّذكر، والفكر باب ذلك ومدخله، فإذا فكّر تبصّر، وإذا تبصّر تذكّر، ولكن لا يحصل ذلك لكل أحد، بل لكل عبد خاضع رجّاع لله عز وجل، صاحب قلب مؤمن، خائف وجل[1].

وقيل في الفرق بين اختصاص الآيات السماوية بالتبصرة والأرضية بالذكرى أن زينة السماء تبصرة لمن رآها، كونها مستمرة غير مستجدة على مر الزمان، وأما الأرض فإنها تأخذ زخرفها وزينتها كل عام، فهي تَذكِرة أي مذكرة بتجددها، وقيل وكلاهما يصلح أن يكون آيات منصوبة في مقابلة البصائر، وآيات متجددة مذكرة عند التناسي. [2]

وأما علاقة العمليات العقلية بعضها ببعض فبالرغم من كثرتها، وتنوع ألفاظها إلا أنها متقاربة في معانيها، فهي عند افتراقها تتفق في المعنى العام للتفكير وإعمال العقل، وعند اجتماعها تنفرد كل لفظة في معنى يخصها في سياقها.

1- فالتفكر: استعمال الفكرة في العلم.

2- والتذكر: إحضار العلم بعد ذهوله وغيابه عن صاحبه .

3- والنظر: التفات القلب إلى المنظور فيه.

4- والتأمل: مراجعة للنظر مرة بعد أخرى حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

5- والاعتبار: من العبور والتجاوز، أي يَعْبُر من العلم الذي فكر فيه إلى معرفة ثالثة مقصودة من الاعتبار.

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 297؛ ابن كثير، محمد بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 396/7.

([2]) انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: مفاتيح الغيب، 28/ 135.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

6- والتدبر: أي النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها، فينظر في أول الكلام وآخرة مره بعد مرة.

7- الاستبصار: من التبصر، وهو تبين الأمر، وانكشافه، وتجليه للبصيرة. [1]

وهذا الترابط بين القلب والحواس والعمليات العقلية يدل على شمول الخطاب القرآني لكيان نفس البشرية كلها، وتفاعلها بكامل قواها مع ما تبصره، وتسمعه، وتعقله، ثم تحركها بإيمان ويقين واطمئنان القلب نحو غاية خلقها في إطار العقيدة الإسلامية التي تملأ وتهيمن على قلب وعقل صاحبها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 245- 255.

المبحث الثالث

أبرز ميادين تنمية التفكير في القرآن الكريم

بالرغم من كثرة العمليات العقلية التي دعا إليها القرآن الكريم وتفرعها إلا إنها تجتمع في ميادين ومحاور يمكن تصنيفها تصنيفا عاما، كالدعوة إلى تدبر آيات الكتاب المسطور بكل ما فيه من إعجاز بياني وتشريعي ودعوي وتربوي وعلمي ونفسي[1]، ثم **التفكر** في آيات الله الكونية والنفسية في كتابه المفتوح (الكون)؛ **نظراً وتبصراً وتفقهاً** بكل ما فيه من سموات وأرض وجبال وبحار وأنهار وإنسان وحيوان؛ وبيان منة الله على الإنسان بالخلق والرزق والإنعام والإحسان والتسخير، ثم السير في الأرض **قلباً وعقلاً وإحساساً للاعتبار والاتعاظ** بآثار الأمم السابقة في كتاب الله المأثور (التاريخ)، والتأمل في سنن الله في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير[2].

فالقرآن الكريم كتاب دعوة للإنسان كي يتفكر بكل طاقاته وقدراته العقلية والحسية والإيمانية في خصائص ربوبية الله وإلوهيته على خلقه، وكمال أسمائه وصفاته، وضرورة إخلاص العبودية له وحده، ورد وإبطال شبهات الكفار من الملحدين والمشركين والمنافقين.

وسوف نضرب لذلك كله أمثلة ونماذج تدل على تنوع العمليات العقلية والحسية وحشدها في تتبع مقاصد الدعوة إلى التفكر في القرآن الكريم، وهي ليست للحصر والتحديد بل

---

(1) انظر: محمد قطب، لا يأتون بمثله القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1422- 2002؛ الجيوسي، عبدالله: التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط 2، 1427- 2007.

(2) انظر: عبد العزيز بن ناصر الجليل، أفلا تتفكرون، دار طيبة، الرياض، ط2، 1429/2008، ص21-30؛ خليل الحدري: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، دار عالم الفوائد، مكة، ط 1، 1425- 2005، ص 154.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للتمثيل والتأكيد؛ لأن كتاب الله عز جل بكل حروفه وكلماته وجمله ونظمه ومعانيه وأسرره وتشريعاته ومقاصده موضع تدبر، فليس الأمر قاصراً على ألفاظ العمليات الحسية وغير الحسية كما تقدم بل إن سياق الكلام، وفحوى الخطاب، وأدوات التعليل، ودلالات الألفاظ، وبلاغة اللغة وإعجازها أوسع في الحث على التأمل والتفكر والتذكر.

المطلب الأول: التدبّر في لغة كتاب الله ومقاصد هداياته وسر تأثيره

لقد ذكر الله عز وجل أن مقصد تنزيل هذا الكتاب العظيم هو تدبر معانيه وأمثاله، وقصصه، وغاياته، للاستدلال على خصائص ربوبية الله وإلوهيته على خلقه، ليتحقق تذكر القلب، وتزكية العقل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: 29).

أولا: الدعوة إلى تدبر لغة القرآن الكريم لفظاً ونظماً

لا شك أن الآيات الواردة في هذا السياق كثيرة، وخلاصتها دعوة للتفكر في لغة هذا الكتاب العظيم، وبنائه اللفظي، وقوة بيانه وسبكه، ومتانة نظمه، وتنوع أسلوبه، وتحدي أهل الفصاحة والبلاغة على الإتيان بمثله[1].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه: 113).

([1]) انظر: الجرجاني، عبد القاهر: كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413- 1992، ص575-589؛ الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، 200/2، 201.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ (يوسف: 1-2).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨ ﴾ (الإسراء: 88).

ثانيا: الدعوة إلى تدبر مقاصد هداية القرآن العظيم

لقد دعا الله عز جل للتفكر في مقاصد القرآن العامة، وما فيها من رحمة وشفاء وبركة وعدل وحكمة وهداية وأنه كتاب ذكر وتذكير لأولي الألباب، وذكرى ورحمة للعالمين، وموعظة وهدى للمتقين[1].

وقد سمى الله عز وجل كتابه بأسماء كثيرة، ووصفه بصفات عظيمه، وكل اسم وصفة يدلان على مقصد عظيم من مقاصد هدايته، وهي دعوة لمزيد من التدبر والتفكر والتأمل في أثرهما على سلوك الإنسان واستقامته ونجاته، فسماه الله فرقانا، لأنه يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام في تشريعاته وأحكامه، وسماه ذكرا وتذكرة لأنه يذكر عباده بأوامر الله ونواهيه ووعده ووعيده، وسماه الله بالموعظة لقوة تأثيره وتذكيره، وهو حبل الله المتين لأن المعتصم به ينجو من العذاب والضياع كما ينجو المتمسك بالحبل من الغرق والهلاك، وسماه الله روحا لأنه سبب لحياة الأرواح، ففيه الرحمة والشفاء للأمراض البدنية والنفسية كالكفر والنفاق والشك والحيرة، وسماه الله بصائر؛ لأن قوة آياته وجلالتها توجب تبصّر صاحبها

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1409، 5/3؛ اليوبي، محمد سعيد: مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة، الرياض، ط1، 1418- 1998، ص7.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالحق مثلما يرى ببصره طريق الخلاص، وسماه برهانا لوضوح وفصاحة حجته في بيان الحق إزالة الباطل، فهو الحق الذي يقذف الباطل فيزيله، وهو النور المبين الذي تستبين به الحقائق وتنكشف به الظلمات.[1]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنعام: 10).

- ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (النحل: 44).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ (الفرقان: 1).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: 57).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ (النساء: 174).

ثالثا: الدعوة إلى تدبر أسرار تأثير القرآن الكريم

لقد دعا الله – عز وجل– إلى التدبر والتفكر في سر عظمة كتابه، وقوة تأثيره، وعلو قدره بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾ (الرعد: 31)، أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا شأن القرآن؛ الذي أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله مجتمعين [2].

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 104/13.

([2]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، 460/4.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ذكر الله عز وجل تأثر الحجارة الصلبة وخشوعها لسماع كلام الله فقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر: 21)، فهذه الجبال الصم الشاهقة، الغليظة القاسية، لو سمعت كلام الله وفهمته وتدبرته لخشعت وتصدعت خوفا من الله، فكيف يليق بالبشر ألا تلين، ولا تخشع قلوبهم، وقد فهموا وتدبروا أوامر الله وزواجره[1].

لذلك وصف الله أهل العلم من قبل ممن آمن بأنهم لا يتمالكوا أنفسهم إذا سمعوا كلام الله، فيبادروا مسرعين فيخروا سجدا وهم خشعا يبكون، بينما قلوب الكفار من المشركين وأهل الكتاب لا تلين ولا ترق ولا تستجيب [2]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء:107-109).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (النجم: 59 – 60).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحديد: 16 – 17).

([1]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، 78/8.

([2]) انظر: المرجع السابق، 78/8.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ختم الله – عز جل– آية قسوة القلوب بحياة الأرض بعد موتها، وفيه إشارة إلى أن تدبر براهين القرآن ودلائله يرقق القلوب ويلّينها ويحييها بعد قسوتها – وموتها كما يحي الله الأرض الميتة المجدبة بالغيث والماء[1].

المطلب الثاني: التفكر في آيات الله الكونية وما فيها من تسخير وإنعام وإتقان

لقد دعا الله – عز وجل– إلى التأمل والنظر في آياته الكونية وما فيها من تسخير وإحسان وإعجاز، وإتقان، وإبداع، وهي من أعظم الأدلة وأعجبها على الإحساس بوجود فاطرها وخالقها ومدبر أمرها، والشعور بمنته ورحمته وكثرة نعمه[2] ، ووجوب القيام بشكره وحق عبوديته حيث سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ (النحل: 18). فسخر له الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والبحار والأنهار والجبال، والأنعام، والحبوب والزروع والثمار، وكل هذه النعم مذكورة على التفصيل في كثير من سورة القرآن وخاصة سورة النحل، ففيها أصول النعم وفروعها ومكملاتها ومتمماتها، ولا شك أن هذا الميدان من أعظم ميادين تنمية التفكير والإحساس بأثر أسماء الله وصفاته وربوبيته وتدبيره لخلقه[3].

([1]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، 127/5، 128

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 82/13.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص150، ولمزيد من التفصيل حول إتقان صنع الله في كل نعمة انظر: ص 277، 396.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(إن التفكر في خلق الله، والتدبر في كتاب الكون المفتوح، وتتبع يد الله المبدعة، وهي تحرك هذا الكون، وتقلب صفحات هذا الكتاب.. هو عبادة لله من صميم العبادة، وذكر لله من صميم الذكر. ولو اتصلت العلوم الكونية، التي تبحث في تصميم الكون، وفي نواميسه وسننه، وفي قواه ومدخراته، وفي أسراره وطاقاته.. لو اتصلت هذه العلوم بتذكر خالق هذا الكون وذكره، والشعور بجلاله وفضله. لتحولت من فورها إلى عبادة لخالق هذا الكون وصلاة. ولاستقامت الحياة– بهذه العلوم– واتجهت إلى الله). [1]

أولا: نعمة تسخير الشمس والقمر والليل والنهار والبحار والأنهار

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم: 32 – 34).

(فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معايشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر من الضياء والنور والإشراق، وإصلاح الأشجار والثمار والنبات وتجفيف الرطوبات، وإزالة البرودة الضارة للأرض وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات، التابعة لوجود الشمس والقمر، وفيهما وفي النجوم من الزينة للسماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات، وحساب الأزمنة، ما تتنوع دلالاتها وتتصرف آياتها ولهذا جمعها الله في قوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (النحل: 12)[2].

([1]) قطب، سيد: في ظلال القرآن، 545/1

([2]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420- 2000، 437/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: نعمة إنزال الماء وتسخير السحاب وتصريف الرياح وإنبات الحبوب وإخراج الزروع والثمار

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (البقرة: 164).

- قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (النحل: 10- 13).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس: 24 – 32).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (السجدة: 27).

وفي العصر الحاضر ومع تطور وسائل النظر والعرض والتصوير، تعمّق التفكير وتطور من النظر في الأشياء عبر العين المجردة، التي ترى ما تبصره في حدود قدرتها فقط إلى النظر في أدق خلق الله وأبعده، عبر المناظير الإلكترونية التي تبحث في أصل الكون ومادته وتنوع مخلوقاته، والمراكب الفضائية المتطورة التي ترتاد الفضاء، وأجهزة الرصد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتصوير التي تراقب أطوار تخلق الإنسان في أدق مراحل نموه، وتنظر في باطن الأرض، وتغوص في أعماق البحار، وهذا فضلاً عن السير في الأرض وتتبع تاريخ الخلق، مع تطور وسائل النقل والاتصال التي جعلت العالم قرية واحدة[1].

وقد كشفت التقنية الحديثة في الظواهر الكونية عن إعجاز آخر لهذا الكتاب الكريم يتناسب مع ما وصل إليه العلم الحديث من تطور وتقدم في كل ميادين الحياة المادية والنفسية، وصدق الله العظيم إذ يقول ويتحدى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت: 53).

ثالثا: نعمة تسخير الأنعام والدواب للطعام والشراب والمركب والمسكن

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: 5 – 8).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ (النحل: 80).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى

([1]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص294؛ ملكاوي، فتحي حسن: منهجية التكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1432- 2011، ص221- 222.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (النحل: 66 – 69).

المطلب الثالث: التفكر في آيات الله النفسية وما فيها من إنعام وإحسان

لقد دعا الله عز وجل الإنسان إلى التفكر في نفسه التي بين جنبيه، وهي أقرب الأشياء إليه، فقال ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات: 21)، وكرر دعوته إلى النظر في أطوار خلقته، ومسيرة عمره، حيث خلقه في أحسن تقويم، وأنعم عليه بنعمة الهداية والبيان والقلم واللسان والسمع والأبصار والأفئدة، وامتن عليه بنعمة الأولاد والأحفاد، والمنام والمعاش. وكلها نعم تنقضي الأعمار في التفكير بها، واستظهار رحمة الله فيها ، وإبداعه في خلقها.

أولا: التفكر في مبدأ خلق الإنسان ووسطه وآخره وأطوار عمره

- قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ (الطارق: 5 – 8).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ (الأنعام: 98).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ (المؤمنون: 12 – 14).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (غافر: 67).

ثانياً: التفكر في حسن خَلقِ الإنسان واعتداله وتسويته

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (الانفطار: 7 – 8).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (التين: 4).

(إن خلق الإنسان في هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة ، يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم، والحب لرب كريم. الذي أكرمه بهذه الخلقة فضلا ورعاية ومنة... وإن الجمال والسواء والاعتدال، لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء... وإن هذه الأجهزة العامة لتكوين الإنسان الجسدي: الجهاز العظمي، والجهاز العضلي، والجهاز الجلدي، والجهاز الهضمي، والجهاز الدموي والجهاز التنفسي، والجهاز البولي.....كل منها عجيبة لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية التي يقف الإنسان مدهوشاً أمامها، وينسى عجائب ذاته، وهي أضخم، وأعمق، وأدق بما لا يقاس)[1] .

([1]) قطب، سيد: في ظلال القرآن 3848/6؛ وانظر مزيدا من التفصيل في آيات خلق الإنسان، ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ص 261- 272؛ النابلسي، محمد راتب: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي، دمشق، ط5، 1431- 2010، الظلال، 3848/6، 3850

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثالثا: التفكر في نعمة البنين والحفدة والسكينة والمودة في الحياة الزوجية

لقد دعا الله عز وجل إلى التفكر في نعمة الألفة والسكينة والمحبة الناشئة عن رباط الحياة الزوجية وجعلها آية من آيات الله التي تستحق التفكر، وامتن على عباده أيضاً بنعمة البنين والحفدة وحذر من كفر هذه النعم.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم: 21).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (النحل: 72).

(إن سكون الرجل إلى امرأته، وما يكون بينهما من المودة والتعاطف والتراحم، أمر باطن مشهود بعين الفكرة والبصيرة، فمتى نظر بهذه العين إلى الحكمة والرحمة والقدرة التي صدر عنها ذلك، دله فكره على أنه الإله الحق المبين، الذي أقرت الفطر بربوبيته وإلهيته وحكمته ورحمته)[1].

رابعا: التفكر في نعمة الهداية والتعليم والبيان وأدواته وآلاته

وقد أنعم الله عز وجل على الناس بنعمة الهداية والإدراك والإحساس وآلات العلم والتعليم كالأسماع والأبصار والأفئدة، واللسان، والشفتين، والقلم، والبنان، والبيان، ليتدبروا تعاليم ربهم، ويستوعبوا كلام خالقهم، ويتأملوا عجائب قدرته.

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص260.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (النحل: 78).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ (الرحمن: 4)

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد: 8 – 10).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق: 3 –5).

(فالبيان يتناول مراتب ثلاثة، كل منها يسمى بيانا، **أحدها:** البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات، **الثاني:** البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره، **الثالث:** البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ، فيتبين الناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ، فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول بيان للقلب)"[1].

المطلب الرابع:التأمل و الاعتبار في قصص السابقين من أهل الكفر والإيمان

لقد أكثر الله عز وجل من ذكر القصص في كتابه الكريم وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلين والصالحين، ودعا الناس للتفكر بحقيقة ومقصود رسالتهم، وتتابع دعوتهم إلى عبودية ربهم، وما أجراه الله على أيديهم من معجزات، وذلك من أجل الاقتداء والتأسي بهديهم في إيمانهم وصبرهم ودعوتهم وإخلاصهم، وسائر شؤون حياتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: 90). [2]

---

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص290

(2) انظر: الجليل، عبد العزيز بن ناصر: فبهداهم اقتده، دار طيبة، الرياض، 1416- 1996.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ودعا الله عز وجل الرسل عليهم السلام إلى تذكير الناس بأيام الله، وهي وقائعه التي أوقعها بأعدائه ونعمه التي أجراها لأوليائه، للاعتبار والاتعاظ والاستبصار بمصير أهل الكفر والعصيان ممن أعرض عن هدي الله، وخالف رسل الله، واتبع غير سبيلهم، أفرادا وأمما وبلدانا فكان عاقبتهم الهلاك والدمار بالخسف والغرق والصيحة والريح العاتية [1]

قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: 40)، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ (إبراهيم: 5)، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: 111)، ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: 176).

ودعا الله عز وجل إلى التفكر في سنن التدافع بين الحق والباطل على مدار التاريخ، كاستدراج الظالمين المتكبرين وعدم الغفلة عن أعمالهم، وإملاء المكذبين المعرضين وتذكيرهم بأيام الله، وإهلاك الطغاة المتجبرين وقطع دابرهم، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وأن الابتلاء سنة الله في المرسلين والمصلحين، وأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأن العاقبة والنصر للمتقين.[2]

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تحقيق محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393- 1973، 449/1؛ ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، 478/4.

([2]) انظر: السلمي، محمد بن صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1406- 1986، ص190، 235؛ الجليل، عبد العزيز بن ناصر: أفلا تتفكرون، ص 242- 271

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي كل ذلك تسلية وتسرية للنبي -ﷺ- ومن سار على نهجه عما يلاقيه من قومه من إعراض واستهزاء وكيد ومكر[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الفرقان: 31).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (آل عمران: 137).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأنعام: 65).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: 44 – 46).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (القمر: 51).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود: 120)، ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: 2).

وقد أبقى الله عز وجل آثار دمار الأمم المتكبرة وهلاكهم موعظة وذكرى للناس على مر العصور والدهور، لئلا يفعلوا ما فعل من سبقهم من الكفر والتكذيب والإعراض فيصيبهم ما أصابهم[2].

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر التميمي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 141/24.

([2]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 97/19، 98.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمقصود أن كتاب الله يذكر أن التاريخ تحرك فيه موكبان: موكب أهل الإيمان وهم جند الله وعلى رأسهم الملائكة والأنبياء والمرسلون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وموكب أهل الكفر والعصيان وعلى رأسهم الشيطان ومن تبعهم من أهل النفاق والشهوات، ويدعو إلى تأمل سنن الله في تداول الغلبة بينهما، وأسباب النصر والتمكين وأسباب الهزائم والخذلان في مسيرة موكب الإيمان وموكب أهل الكفر والعصيان.[1]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس: 92).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (العنكبوت: 35).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الصافات: 137).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ (الفجر: 6 – 8)، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ (الفيل: 1).

المطلب الخامس: التفكير في الحجج والبينات والبراهين في مجادلة أهل الباطل[2]

لقد جادل القرآن الكريم أصحاب العقائد الباطلة، وعرض عقائدهم، ورد على شبهاتهم، وأجاب عن اعتراضاتهم، وبين ضعف حججهم وخفة عقولهم، ودعاهم إلى التفكر مثنى

---

(1) انظر: عبد الحميد، محسن: المنهج الشمولي في فهم الإسلام، دار إحسان، ط1، 1991، ص 10.

(2) والفرق بين الحجج والبينات: أن الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالأذن، والبينات، جمع بينة، وهي اسم لما يبين الحق من علامة منصوبة، أو أمارة أو دليل علمي معهم ليقوم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ (الحديد: 25)، فالبينات هي الآيات التي أقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات والكتاب هو الدعوة، انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ص 202، 205.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفرادى، وإعمال عقولهم، وعدم إتباع أهوائهم، وتقليد آبائهم فيما هم عليه من زيف وانحراف وضلال وخسران.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة: 170).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (البقرة: 44).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (هود: 24).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (التوبة: 126).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (يونس: 59).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سبأ: 46).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنبياء: 10).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (العنكبوت: 63).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(الروم: 28).

(فالقرآن مملوء بالحجج، والأدلة، والبراهين في مسائل التوحيد، وإثبات الصانع، والمعاد، وإرسال الرسل وحدوث العالم بأحسن عبارة، وأوضح بيان، وأتم معنى، وأبعده عن الإيرادات... ودلالة القرآن البرهانية العقلية التي يشير إليها، ويرشد إليها، أمر تميز به القرآن، وصار العالم به من الراسخين في العلم، وهو العلم الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن إليه النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة... فدلالة القرآن سمعية عقلية يقينية لا تعترضها الشبهات ولا تتداولها الاحتمالات، ولا ينصرف القلب عنها بعد فهمها أبداً)[1].

المطلب السادس: التفكر في حقيقة الدنيا والآخرة وعلاقتهما بالبلاء والجزاء

لقد دعا الله عز وجل في كثير من آياته وأمثلته إلى التفكير والمقارنة بين حقيقة نعيم الدنيا وحقيقة نعيم الآخرة، وذلك باستحضار قصر نعيم الدنيا ومتعتها وزوالها، والتحذير من الاغترار بزينتها، واستحضار حقيقة الآخرة وبيان دوام نعيمها ولذته وخلوده وفضله على نعيم الدنيا.

([1]) ابن القيم: محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1424- 2003، ص203، 204 باختصار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا شك أن استحضار هاتين المعرفتين في القلب للوصول إلى منهما إلى معرفة ثالثة وهي عدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها، هو ثمرة تنمية التفكير التي يدعو إليه القرآن في هذا الميدان، فإذا جزم القلب بتلك الحقيقة وتيقن، أثمر للعاقل علم ثالث ينعكس على صاحبه، فيوثر في سلوكه الاستعداد لنعيم الآخرة وطلبه، والسعي الجاد في تحصيله[1].

وحينئذ تصبح الدنيا في قلب صاحبها دار ابتلاء واختبار ومزرعة ووسيلة لبلوغ دار الجزاء والحساب، فسينعكس ذلك على سلوكه الظاهر، فيكثر من الأعمال الصالحة واغتنام الأوقات ويخلص في عمله خوفا من ضياع سعيه وحذرا من خسران عمله، ويتجنب العصيان والظلم والطغيان لأنه موقن بالحساب والوقوف بين يدي العزيز الجبار، ويزهد في متاع الدنيا الزائل، ويقنع بما أعطاه الله، ولا تذهب نفسه حسرات على ما فات من مال كثير أو لذة عاجلة، فينشغل تفكيره ونشاطه العقلي في الكيفية التي يحقق فيها عبوديته لربه، فيختار في حركته وسعيه ونشاطه السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يشبع رغبته، ويرضي ربه، ورائده في ذلك كله، قوله تعالى:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: 77)[2] .

والآيات التي تدعو للتفكر في حقيقة الدنيا والآخرة والمقارنة بين نعيمهما كثيرة ومنها ما يأتي:

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ (البقرة: 219 – 220).

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحشر: 18).

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 253

([2]) راجع: الجليل، عبد العزيز بن ناصر: أفلا تتفكرون، ص327، 335.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (القصص: 60).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يونس: 24).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (الكهف: 7).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الملك: 2).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحديد: 20).

وهكذا تختلف أيضاً الموازين والمعايير الفكرية في الحكم والتقييم والتصور لشؤون الحياة والأحداث والقيم والأحوال بين من يوقن بالله واليوم الآخر، وبين من هو في غفلة ولهو عن الموت والحساب والجزاء. (فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال، هذا يرى ظاهرا من الحياة الدنيا، وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة للظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، الماضي والحاضر والمستقبل، وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء)[1].

([1]) قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2759/5.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب السابع: التفكر في أسرار وعلل وحكم ومقاصد التشريع

لا شك أن تدبر مقاصد الأحكام الشرعية، وما فيها من عدل ورحمة ومصلحة وإحسان للخلق في حفظ ضرورات وجودهم، من دين وعقل ونفس ومال وعرض من أجل أنواع التفكير لدلالته على كمال علم الله وحكمته ورحمته في رعاية مصالح الخلق في العاجل والآجل.

(وجميع مسائل الشريعة آيات بينات، ودلالات واضحات، وشواهد ناطقات بأن الذي شرعها له الحكمة البالغة، والعلم المحيط، والرحمة، والعناية بعباده وإرادة الصلاح لهم، وسوقهم بها إلى كمالهم وعواقبهم الحميدة) [1].

وقد ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة محاسن الشريعة، ويسرها، ودعوتها لما يوافق الفطرة السليمة، والعقول الراشدة، والأخلاق الكريمة، وهذا ما جعل كثيرا من الناس يدخلون في الإسلام لما رأوا من جمال الصفات والأفعال، وحسن الأوامر والنواهي التي يدعو إليها هذا الدين من الإحسان، والتواضع، والصدق، والعفة، العدل والخير، بذل المعروف، والكرم، والبذل، والعفو وحسن الجوار، والصلة، والبر وتحريم الكذب، والإساءة، والظلم، الفواحش، والفجور، والبغي، والعدوان والقتل المنكر، البخل، والكبر، ولذلك لما سئل أعرابي بم عرفت رسول الله -ﷺ- ؟ فقال: ما أمر بشي فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه: وهذا يؤكد أن الأحكام الشرعية جاءت معللة بما هو مستقر في عقول الناس وفطرهم ومصالحهم من قبول الحسن وجماله، ورد القبيح وبغضه[2].

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية أهل العلم والإرادة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424، 2003، ص457.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 456، 433.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ختم الله عز وجل آيات الوصايا وغيرها من آيات الأحكام بالتعليل لأسرارها ومقاصد تشريعها، وبالحث على التعقل والتذكر في وصاياها، وبما يقتضيها ويناسبها من أسماء الله العليم الحكيم الرحيم، وهذا يعني ضرورة إعمال العقل والتأمل في السبب والمقصد والغاية من التشريع والتعليل بعد ذكر جملة من الأوامر والنواهي[1].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: 90).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام: 151).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام: 152).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الإسراء: 38).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (البقرة: 179).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء: 32).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (البقرة: 183)

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت، 254/1، 256.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالقرآن يدعو إلى التفكير الأصولي المقاصدي التعليلي، الذي تظهر فيه محاسن الشريعة ويتجلى فيه علم الله رحمته وحكمته في أمره ونهيه، وبه تستمر جهود العلماء على مر العصور في استنباط القواعد والأصول التي تعين الفقيه على اجتهاده، ومن هذه القواعد العامة والأصول الجامعة التي استمدت الشريعة الإسلامية خلودها وثباتها أمام النوازل المتجددة، أنها جاءت في عموم مقاصد أحكامها بتحصيل المصالح الخالصة والراجحة أو تكميلها بحسب الإمكان، وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها وإن فاتت أدناها، وتعطيل المفاسد الخالصة والراجحة أو تقليلها بحسب الإمكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فسادا باحتمال أدناها[1].

ففي آيات القرآن الكريم تنبيه على مقاصد التشريع، وعلل الأحكام، وذكر الأوصاف المؤثرة في ثبوتها، وبيان المصالح المترتبة عليها، مما يجعل عقل الفقيه في كل زمان منشغلا في السعي لتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ الدين، والعقل، والمال، والنفس، والعرض، في فتواه واجتهاده لكل نازلة، ويجعل العبد عند إخلاصه واستسلامه لشرع الله في تفكير دائم بمحاسن هذه الشريعة وجمال ثمارها، وتبقى الأمة كذلك أمة رحمة للبشرية، وهي تقود الأمم بمقاصد شرع الله الحكيم، وتسعى بكامل عقول أبنائها إلى نشر حضارة الرحمة والعدل والاطمئنان في كل سياساتها. وهذا كله ثمرة من ثمار دعوة القرآن الكريم لتنمية التفكير بالتدبر والتأمل في أسرار ومقاصد التشريع والتنزيل[2].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 443.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص 455.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمقصود أن الله يفتح أمام هذا العقل ثلاث كتب ربانية متطابقة متعاضدة، لتنمية تفكيره وتوجيه قدراته العقلية نحو معرفة خالقه: وهي كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، وكتاب الله المنظور (كتاب الكون)، وكتاب الله المأثور (كتاب الاجتماع البشري: التاريخ وآثار الأمم الغابرة في الأرض) وكلها متوافقة مع فطرته، وشاهدة على قضية واحدة كبرى هي توحيد الله وإخلاص العبودية له وحده، والاستسلام لدينه، والخضوع لعظمته، والتفكير في سننه الاجتماعية والنفسية التي لا تتبدل ولا تتحول.

وهذه الكتب الثلاث تعبر عن مظاهر العبودية الشاملة التي دعا الله عز وجل عباده لتكاملها وتوازنها لتحقيق اليقين في القلب، والاستقامة في السلوك، والسلامة في التفكير، وهي المظهر الشعائري القلبي، والمظهر الكوني العقلي، والمظهر الاجتماعي التاريخي[1].

وقد سمى الله كل كتاب منها (بالآيات) تأكيداً على مقصودها، فالجزء المرتل من القرآن (آيات) والمشهد الكوني (آيات)، والحدث التاريخي (آيات)؛ لأنها كلها تشترك وتتكامل في الدلالة على الله والخضوع لعظمته والاستسلام لدينه، وجعل الحديث عن هذه الآيات مبثوثاً في أكثر سور القرآن الكريم، ودعا إلى النظر إليها وتعقلها والتفكر بها[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (الجاثية: 3 – 6).

([1]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص89، 267- 268.

([2]) انظر: الحوالي، سفر: الأشاعرة عرض ونقض: كتاب البيان، الرياض، 1430، ص 50.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصـــــل الثانـــــي

مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: معرفة الله وتوحيده وزيادة الإيمان به والافتقار إليه.

المبحث الثاني: تحرير العقول وتصحيح منهج التفكير وتعديل السلوك.

المبحث الثالث: تقديم رؤية شاملة متوازنة لعلاقة الإنسان بالوجود.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

معرفة الله وتوحيده وزيادة الإيمان به والافتقار إليه

لا شك أن العمل والنشاط والإنجاز هو ثمرة أفكار وعزائم وإرادات قلبية متجهة نحو غاية واضحة، والتفكير لا يتطور ولا ينمو ولا يستقيم ولا يتسلسل إلا إذا جعل له غاية ينطلق منها ويسعى إليها، بحيث تشد همة صاحبها نحو تحقيقها سواء أكانت قريبة أم بعيدة.

ولا شك أيضاً أن صحة العقيدة وتحديد الرؤية، هي بداية توجيه التفكير نحو الهدف والغاية التي ينبغي ألا تفارق الإنسان طيلة حياته، وخاصة ما يتعلق بالجانب العقلي في كيانه.

المطلب الأول: معرفة الله عز وجل بكمال ربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته

ولا ريب أن أعظم العلوم وأنفعها وأشرفها هو العلم بالله الحي القيوم، فالقرآن أنزل لتعريف الناس بربهم وبصراطه الموصلة إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه، والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، وقد تجلى الله عز وجل فيه لعبادة بصفات الجمال والكمال والإبداع والتصوير في وصفات البر واللطف والإحسان لعباده، وصفات والسمع والبصر والإحاطة بكل خلقه، والعلم والرحمة والعدل والحكمة في أمره ونهيه، وصفات العلو والإجلال والعظمة والكبرياء في ذاته، وصفات العز والقهر والغلبة والانتقام لأعداء رسله وأوليائه. [1]

وهذا التجلي يقود عقل الإنسان وتفكيره لليقين بهذه المعرفة، ويدفعه لزيادة البحث والنظر والتأمل في أثر هذه الصفات الربانية على مخلوقاته، كبيرها وصغيرها، ودقيقها

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، دار النفائس، بيروت، ط7، 1406- 1986، ص 13، 91، 122.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجليلها، فيسير في الأرض متتبعا سنته الله أفعاله في خلقه، ويصعد الجبال الشاهقة والخاشعة لخالقها ليشهد جبروت الله وقوته، ويرتاد الفضاء ليرصد الشمس والقمر والنجوم، ويستشعر جلال الله وكبريائه وعظمته، ويركب الفلك ويغوص في أعماق البحار، ليتأمل جمال خلق الله وإبداعه، وينظر بعين المجهر دقائق تصوير الله لأصغر الخلايا الحية، فيما لا تراه عينه المجردة فيسجد قلبه لله، وهو يرى تدبير الله وتسييره لأدق عمليات الخلق والرزق والحفظ والعناية. [1]

والآيات القرآنية التي تعرف بالله وعظمته وآياته كثيرة جدا، بل إن القرآن الكريم كله تجليات لله رب العالمين، والبشرية كلها مطالبة بأن تسخر كل إمكاناتها المادية والعلمية في إظهار تجليات الله عز وجل ووحدانيته في أفعاله الكونية والنفسية؛ لأن الخطاب القرآني خطاب عام للبشرية كلها في أن تبحث وتبصر وتنظر وتفكر وتجرب وتقيس.

(فالرب تعلى يدعو في القرآن إلى معرفته من طريقين: أحدهما: النظر في مفعولاته والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المعقولة). [2]

قال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (البقرة: 163 – 164).

([1]) انظر: الزنداني، عبد المجيد: الإيمان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط4، 1413- 1993، ص55، 58.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، دار النفائس، بيروت، ط7، 1406- 1986، ص31.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهذه الآيات هي دعوة للتعرف على الله عز جل، وذلك بالتفكر في أفعاله، وعظمة خلقه، ودلائل وحدانيته، وهي كثيرة في القرآن الكريم ومن أعظمها: السماء في ارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة والثابتة، والأرض في انخفاضها وانبساطها وجبالها وبحارها وقفارها ومنافعها وعمرانها، وتعاقب الليل والنهار واختلافهما بانتظام دون تأخر أو انقطاع، والشمس والقمر والنجوم وجريانها وخضوعها، وإنزال الماء والرزق من السماء وإحياء الأرض بعد موتها بإنبات الزروع والثمار والحبوب على اختلاف الأنواع والألوان والمذاق، وتسخير البحار لحمل السفن لانتفاع الناس ومعاشهم، وبث الدواب في الأرض على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وتصريف الرياح بين يدي السحاب شمالاً وجنوباً وشرقاً وغارباً، بالرحمة تارة، وبالتلقيح تارة، وبالعذاب تارة أخرى، فتبشر، وتجمع وتفرق، وتسوق، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تعرف الناس بربهم وخالقهم ومدبر شؤونهم. وهي تمثل المظهر الكوني لمعنى العبودية الشاملة لله عز جل[1].

المطلب الثاني: توحيد الله على المستوى الفردي والحضاري

لقد بين الله عز جل في كتاب الكريم غاية خلق الإنسان، ومقصود إنزال الكتب، وإرسال الرسل بأوضح آية وأبلغ بيان، فقال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: 56)، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: 36)، وخلاصة هذه العبودية وتفسيرها تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهي الشهادة التي يدخل فيها الإنسان في الإسلام، ويخرج بها من الدنيا،

---

(1) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، الرياض، دار طيبة، ط4، 1428- 2007، 478/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسيحاسب على تحقيق مقتضاها في حياته وسيسأل عنها في قبره، فيقال له: من ربك؟ ما دينك؟ من رسولك؟.

لقد كانت مقصود القرآن الكريم توجيه عقل الإنسان وقلبه وحواسه نحو معرفة الله وعبادته وتوحيده، لينمو تفكيره ويستقر الإيمان في قلبه تجاه هذه الغاية العظيمة، ثم يجتهد في تحقيقها في كل أنشطته والنفسية والعقلية والمادية والاجتماعية والحضارية، وهذا يربي عقل المسلم على التفكير الغائي، وهو نوع من التفكير يجعل المسلم يربط غاية عمله بمرضاة ربه، سواء أكان العمل اقتصادياً أم اجتماعياً أم إعلامياً أم سياسياً[1]. مصداقاً لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام: 162).

أي أن يرتبط قلبه بمراقبة الله، ويفكر كيف يرضى الله، ويسعى مستسلما لشرع الله، ويخطط متوكلا على الله، ويسير في الأرض، وينظر في ملكوت السموات مفكراً معتبراً بآيات الله وأفعاله وأقداره ولطفه، ومستكشفا سنن الله الكونية والنفسية، مستعيناً بالله في تأمله وحركته وسعيه، مفوضا حوله وقولته وفهمه إليه وحده، مفتقراً إلى علم الله ووحيه في كتابه الكريم [2].

وقد جاء الوحي من الله عز وجل على ألسنة أنبيائه ورسله لينير الطريق أمام الإنسان في هذا الكون الفسيح، وليضع البشرية في خاتمة الرسالات بكل أنشطتها وشؤون حياتها في إطار غايات القرآن ومقاصده.

([1]) خليل عبد الله الحدري: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1425- 2005، ص161.

([2]) انظر: قطب، محمد: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الوطن، ط1، 1412، ص10.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبهذه الطريقة في التعامل مع الحياة، يصبح المسلم عابدا لله، وهو يمارس كل أنشطته الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فليس هناك لحظات عبـــادة، ولحظـــات خارج العبادة، فهو ينتقل من عبادة إلى عبادة طالما أنه مستحضر للغاية في كل عمل يقوم به، ويتوجه إليه. وهذا المعنى هو ما يعبر عنه بمفهوم العبودية، وهو مفهوم شامل لكـــل نـــشاط فكري أو تربوي اجتماعي أو حضاري على مستوى الفرد والأمة، يقصد به تحقيق مرضـــاة الله، ويصحبه الاستسلام لشرع الله، والشعور بمراقبته [1].

والمقصود أن الأمة التي تعيش بلا غاية صحيحة يعيش أبناؤها كالأنعام في كل مجالات العلم والحياة، لا ينتفعون بأسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم إلا بالقدر الذي يعودون فيه للفطرة ورغم أنهم يجوبون الأرض بفضائها، وبحارها، وأدغالها، إلا أن انتفاعهم انتفاعاً مادياً صرفاً ليس له علاقة بالآخرة والجزاء والمصير، ولو ملكوا الدنيا بحذافيرها، ذلك أن الإنتاج الحضاري لهذه الأمم ليس له غاية سوى مزيدا من الاستكبار والتمرد على الفطرة، لأن أفكارهم، وخططهم، ونظمهم محدودة، ببقعة جغرافية، أو عرق، أو جنس، أو لون، أو فكرة أرضية وضعية، ومعلوم أن التفكير أساس العمل وباعثه وموجهه ومحركه، وأما الأمة الربانية التي أخرجها الله عز وجل، وقادت البشرية في كل علومها ونظمها، وكان من ثمارها الإنسان الصالح، فقد كان غاية تفكيرها وقبلة قلبها في البحث والنظر والعلم والعمل والتربية والحياة هي مرضاه الله، والخضوع لشرع الله، والخوف من الله، لذلك نمى تفكيرها وتطور بهذا الاتجاه، وأصبحت عالمية في انجازاتها، وإنسانية في رسالتها؛ لأن الله عز جل هو غايتها، وهو رب الناس والخلق أجمعين، وشريعته وهدايته رحمه للعالمين.[2]

([1]) قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص113

([2]) انظر: قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط8، 1408- 1988، ص13-14.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: زيادة الإيمان بالله والافتقار إلى علمه وحوله وقوته

لا شك أن عبادة التفكر في آيات الله الكونية من أعظم العبادات التي تزيد القلب إيمانا ويقينا بعظمة الله وقدرته، ولما كان القلب مقر الإيمان والعقل، ومورد الخواطر والأفكار، فإن زيادة الإيمان تسدد التفكير وتوجهه نحو فاطره، فإذا غلبت على القلب معرفة الله وعظمته، فإن العمليات العقلية التي تنطلق من القلب سوف تصطبغ بصبغة إيمانية، وبالتالي يصبح تفكير المؤمن تفكيراً إيماناً، أي تفكير ينطلق من الإيمان بالله، ورؤية كل شي في الوجود بيد الله. وانشغال الحواس بتتبع آيات الله في الأنفس والآفاق، والسعي إلى مرضاة الله[1].

إن القرآن الكريم يدعو الإنسان للتفكر والتبصر والسير في الأرض بقلبه وحواسه وعقله ليسمع ويشاهد ويتأمل، ويبحث ويتفحص الآيات الكونية والنفسية التي يشير إليها الوحي، وينبه العقل عليها، ثم تبدأ عمليات الإدراك والوعي والفهم تقارن بين آيات الكتاب المفتوح، وما أرشد إليه الكتاب المسطور، فيحصل التوافق والتناسق بين الكتابين، فيزداد العقل نوراً وانتفاعاً ورقياً ويزداد القلب بصيرة واطمئناناً وسكينة [2].

إن هذه النتيجة تقود الإنسان إلى حضارة الرحمة، بسبب التفكير الإيماني في البحث والكشف والنظر، والاختراع والصناعة والإنتاج، واستعمال منجزات الحضارة في رقي الإنسان وعودته لفطرته، فهو تفكير منضبط بالخوف من الله، والمسؤولية والحساب والحلال والحرام.

([1]) انظر: النحوي، عدنان رضا: النهج الإيماني للتفكير، دار النحوي، الرياض، ط1، 1421- 2001، ص89-90.

([2]) انظر: ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص297 – 298.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: 36).

وهو تفكير ليس من ثماره عبث بخلق الله في تغيير الجنس، أو خلط للأنساب والأعراض في استئجار الأرحام، أو تغيير للفطرة بزواج مثلي، أو إنتاج لأسلحة دمار شامل للشجر والحجر والبشر، أو استغلال منجزات الحضارة المادية للسيطرة والهيمنة والتجسس على عباد الله، وكل ذلك يجري تحت شعار البحث العلمي، وحرية التفكير، وتصرف عليه مليارات الأموال، بينما يموت الناس جوعا ومرضا وفقرا في كثير من بلاد العالم، فأي تفكير هذا الذي يخرج من قلب وعقل حضارة بعيدة عن الله ورحمته ومرضاته[1].

وقد مدح الله عز جل المؤمنين في هذه العبادة الجليلة – التفكير الإيماني – حيث قادهم التفكر في خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات وعبر ودلائل إلى مزيد من الإيمان وذكر الله تعظيما، ودعائه افتقارا، وتسبيحه تنزيها، وخوفه ورجائه طلباً وسعياً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (آل عمران: 190 – 191).

وقد روت عائشة رضي الله عنها في سبب نزول هذه الآية: أن النبي –ﷺ– قام ذات ليلة فبكى كثيراً حتى طلع عليه الفجر. ثم قال: لقد نزلت علي الليلة آية (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)[2].

([1]) انظر: خليل الحدري: التفكير العلمي في القرآن الكريم، ص 432- 433.

([2]) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التوبة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408- 1988، رقم (620) 387/2، وقال المحقق: إسناده على شرط الشيخين

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(ولو اتصلت العلوم الكونية، التي تبحث في تصميم الكون وفي نواميسه وسننه، وفي قواه ومدخراته، وفي أسراره وطاقاته بتذكر خالق هذا الكون وذكره، والشعور بجلاله وفضله. لتحولت من فورها إلى عبادة لخالق هذا الكون وصلاة. ولاستقامت الحياة بهذه العلوم واتجهت إلى الله)[1].

ولا شك أن زيادة الإيمان بعلم الله الشامل وإحاطته بخلقه، تربي في القلب والعقل عبادة الافتقار إلى وحيه وتوفيقه وهدايته، وحكمته وعدله، وإحسانه وإنعامه، وبره ولطفه، ورحمته وعظمته وقوة سلطانه ونصرته، فيشكره على إحسانه، ويسبحه على إبداعه، ويرجوه في دعائه، ويفتقر إليه في حاجته وتوفيقه، ويخشع لعظمته، ويخضع لسلطانه، ويتوكل على قوته. فتتجمع وتتركز طاقته الإيمانية والعقلية والفكرية نحو غاية صحيحة تستوعب كل مجالات الحياة.

وبذلك يتداخل التفكير الإيماني مع التفكير العلمي، ويمتزجان ويسيران في خطين متوازيين جنبا إلى جنب دون تضاد أو تناقض، وتظهر الشخصية المؤمنة المتزنة في التفكير والتحليل والتقييم وهي شخصية انشغل فكرها وإحساسها بآيات الله، وتعلق قلبها بتدبر كتاب الله، واعتبر عقلها بتتبع سنن الله في خلقه، فتعلقت روحها بحب الله، واستسلمت جوارحها لشرعه، فاجتمع نشاطها في تماسك وانضباط، ليصب في غاية واحدة دون تعارض أو تناقض فلا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الأمر القرآني بالبحث العلمي، والنظر إلى السموات ورفعها، والجبال ونصبها، والإبل وخلقتها وتركيبها، يشبه الأمر بالصلاة والزكاة وسائر شعائر الإيمان، لأن مقصوده

([1]) سيد قطب: في ظلال القرآن: دار الشروق، بيروت، ط 17، 1412- 1992، 543/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زيادة هذا الإيمان، وترسيخه وتثبيته ورعايته في القلب ليستقيم سلوك الإنسان، أينما كان موقع صاحبه واختصاصه وعمله[1].

وحتى يتوثق هذا الإيمان ويقوى في النفس ويزداد، فإن الله يدعو دائما إلى تدبر كلامه والتفكر في آياته الكونية والنفسية، وأفعاله في خلقه، ليرتبط قلب المؤمن بربه في كل أحواله أينما اتجه فكره، وكيفها توجهت حواسه، وأينما تحركت أقدامه، فالأحداث اليومية التي ينفلق عنها الصباح، هي في علم الله، وفي تقديره السابق، وتحت هيمنته، فالموت والحياة بيد الله والرزق من مال وجاه وصحة وعافية بيد الله، وقيام الناس وحركتهم وسعيهم بحول الله وقوته وإشراق الشمس وغروبها، وصفاء السماء وزينتها من نعم الله.[2]

وإذا نظر المؤمن إلى أفعال الله اليومية في خلقه كحركة الرياح والبحار الأنهار،وتغير الأحوال المناخية والأجواء من حرارة وبرودة وأمطار وجفاف وفيضان، تذكر قدرة الله وعظمته وقهره وسلطانه، وإذا قرأ القرآن الكريم تجلت له معاني أسمائه وصفاته، وإذا تأمل أفعال الله في خلقه موتا وحياة وسعياً وقياماً ورزقاً وتدبيراً اعتبر بحكمة الله ورحمته، فهو في كل حاله مع الله في آياته وأفعاله وأقداره، يسأله اللطف، ويرجوه ويخافه ويدعوه[3].

([1]) ماجد عرس الكيلاني: أصول التربية الإسلامية، دار القلم، دبي، ط1، 1427، 2006، ص295.

([2]) انظر: قطب، محمد: دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، 1415، 1995، ص58، 59.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص 32.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

تحرير العقول وتصحيح منهج التفكير وتعديل السلوك

المطلب الأول: تحرير العقول من تقليد الآباء واتباع الأهواء والظنون

لقد جاءت دعوة الله عز جل للناس إلى إتباع ما أنزل الله، والتلقي عن الله، وتحكيم شرع الله، وطاعة رسول الله -ﷺ-، في ثنايا ذكره لتفاصيل وآثار أسمائه وصفاته وأفعاله في الكون الدالة على كمال ربوبيته وإلوهيته على خلقه، من دقة في الصنع، وإعجاز في الخلق وجمال في التكوين، وإبداع في التصوير، وعلم وحكمة ورحمة في الأمر والنهي والتشريع ورزق وتدبير وتصريف لشؤون الخلق، ومقصود هذه الدعوة أيضا تذكير الناس بأن تحقيق العبودية المطلقة لله يشمل الجانب الفكري كما يشمل الجانب العملي والشعائري، وذلك بالتزام الأدلة والبراهين، والحجج، والبينات في التفكير والتصور والاعتقاد بعيدا عن تقليد الآباء، وإتباع الأهواء، والسير خلف الظنون الباطلة، والابتداع في الدين.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البقرة: 21-22)، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس:3).

([1]) انظر: الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين تحقيق محمد أبو بكر، دار الريان، القاهرة، ط1، 1408-1988، ص30 ؛ الرازي، محمد بن الحسن: مفاتيح الغيب 333/2 ، 71/13 ، 80-82 ؛ بكار، عبد الكريم: تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، دار الأعلام، عمان، ط3، 1430- 2009، ص30-31

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعراف: 3).

فالقرآن الكريم بكل أحكامه وقصصه وسننه، يعد شرحا مفصلا لمقتضيات وآثار أفعال الله وأسمائه وصفاته في الأنفس والآفاق، ودعوة للناس لعبودية الله وحده، بكل مظاهرها الفكرية والشعائرية والكونية والاجتماعية، وهي كمال الحب والذل والخضوع لعظمته وسلطانه، والتلقي والانقياد والإتباع والطاعة لأمره ونهيه في القلب، والفكر، والمشاعر والسلوك، ثم الانطلاق في التفكير، والتغيير، والتعمير، لتحقيق منهج الله في الأرض في المبادئ، والقيم، والموازين، والنظم، والسلوك، والحضارة على مستوى الفرد والأمة[1].

ومن لوازم تحقيق العبودية لله في الجانب الفكري، استسلام العقول لله، وتحريرها من إتباع غير شرع الله، وحمايتها، وصيانتها من تأثير أصنام الآبائية، والأهواء النفسية، والوساوس الشيطانية، والأعراف، والظنون الباطلة، والآراء الخاطئة، والأفكار الضالة التي لا تستند إلى بينات واضحة، وحجج وبراهين ساطعة، وتصحيحه وإطلاقه، وإزالة العوائق التي تقف أمام عقل الإنسان، فتأسر تفكيره، وتضيق رؤيته، وتقيد حركته وانطلاقه وتفسد فطرته وعقيدته.[2]

(فإن إتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن إتباع الحق، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر أو التفكر أو بالموعظة)[3].

([1]) انظر: قطب، سيد: مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1427- 2006، ص18- 19.

([2]) انظر: بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن الكريم ص 68، 76، 204، 205؛ مطالقة، أحلام محمود: المنهج القرآني في تربية العقل، دار اليازوري، عمان، ط1، 2012، ص88.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين، 449/1

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة: 170)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجاثية: 23)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (يس: 60 – 61)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النجم: 23).

إن تحقيق العبودية في الجانب الفكري ليس مقتصراً على عامة الناس حال تقليدهم، بل ينبغي للعلماء أن يبذلوا ما في وسعهم من الجهد العقلي والفكري في فهم الدليل وتقليبه وتدبره؛ لأن الإتباع يعني قبول الحق بالدليل والحجة، والبرهان والسلطان، أما التقليد الذي ذمه الله وذم أصحابه، فهو تعطيل للعقل والحواس عن التفكير والنظر والاعتبار حتى لو كان المقلّدين من الأئمة والعلماء، فهم معذورون في اجتهادهم، بل مأجورون رغم خطئهم؛ لأنهم اجتهدوا في إطار شرع الله، فاشغلوا عقولهم بحثا ونظرا وتدبرا وفق ميزان الله وأدلته.[1]

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: 31)، ﴿ وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (الأنعام: 121).

([1]) انظر: الرازي، محمد بن الحسن: مفاتيح الغيب 5/ 189؛ وانظر أيضا في تفاصيل أحوال المقلدين والمجتهدين: الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الاعتصام، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، جدة، ط1، 1992، 113/1، 125، 335/2، 336.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وينعكس هذا المقصد أيضاً على البحث العلمي، والعمل الفكري، حيث ينبغي للباحث والكاتب أن يخلص في البحث عن الحقيقة والجد في طلبها ونشرها، والموضوعية في معالجتها بعيدا عن هوى النفس، والتعصب، وحب والظهور، والتجريح، والخوف من رهبة المجتمع.[1]

المطلب الثاني: تصحيح منهج التفكير بالتلقي عن الله

لا شك أن تصحيح منهج التلقي بإتباع ما أنزل الله، هو تصحيح لمنهج التفكير في إصدار الأحكام، ومعايير القيم، وموازين الأخلاق، وتمييز الحلال من الحرام، فالذي يعبد هواه فإنه يتلقى منهج تفكيره ومعايير قيمه وموازينه مما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء من غير حجة ولا برهان، وبالتالي فهو ينقاد لغير دين الله، ويقيس الأمور ويحكم على الأشياء بغير ميزان الله، وأما الذي يعبد الله، فإن تفكيره ينطلق من حقائق الوحي، ونور الله، وبصائره، ويتبع ما أنزل الله، ويستسلم لشرعه وهدايته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنعام: 104)، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (الأنعام: 106)، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ (البقرة: 168).

(فالتوحيد وإتباع الهوى متضادان؛ فإن الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً).[2]

([1]) انظر: السامرائي، فاروق: منهج البحث في العلوم الإسلامية، دار الفرقان، عمان، ط1، 1416- 1996، ص16.

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1987- 1407، ص478.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالقلب إذا تعبد لهواه، استسلم عقل الإنسان وفكره لذلك الهوى الذي يصده عن طاعة الله، ويدفعه للتفلت من شرع الله، وقد يكون الهوى فكرة سيطرت على قلب صاحبها، وحالت بينه وبين فهمه لمعنى العبودية الفكرية لله، وقد يكون مفكرا صاحب نظرية اجتماعية أو تربوية أو اقتصادية في تفسير شؤون الحياة، ولكنه لم يهتد إلى نور الله، ولم ينظر في أحوال من سبقه من الأمم، وأسباب قيامها وتمكنها، ثم عوامل انهيارها وهلاكها كما قصها الله وأمر بالاعتبار.

لذلك أمر الله عز وجل الإنسان بتوجيه القدرات العقلية نحو استقراء آيات الله الكونية، وسننه النفسية والاجتماعية، ليزداد العقل نوراً وفهماً وتفكراً، ويزداد القلب يقيناً واطمئناناً وسكينة بوحدانية الله في العلم والخلق والرزق والتدبير، وتتزكى الحواس في إدراكها وإحساسها بعظمة الله وتستسلم الجوارح لشرع الله استقامة وثباتاً وسيراً وتعميراً[1].

وقد حذر النبي -ﷺ- من صورة أخرى من صورة العبودية لغير الله، وذلك عندما ينشغل العقل والقلب بكامل مشاعره وأحاسيسه بمحبوب يطغى حبه على حب الله ورسوله، فالنفس الإنسانية عابدة للشيء أو المقصد الذي يستغرق مشاعرها وأحاسيسها وخواطرها وإراداتها هماً وعزماً وحركتها عملاً وإتباعاً[2].

فقال: {تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس...}[3].

([1]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص290- 291.

([2]) انظر: قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية 127/1،128؛ الحوالي، سفر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، مكتبة الطيب، القاهرة، 1405 – 1406، 152/1

([3]) رواه البخاري، صحيح البخاري (مع الفتح)، كتاب الجهاد، باب: الحراسة في الغزو، رقم 2887، 95/6.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فعبد الدرهم والدينار: هو طالبه، الحريص على جمعه، القائم على حفظه بحيث أصبح خادماً للمال، أي أصبح المال غاية قلبه، ومنتهى حبه، وليس وسيلة عبوديته، ولم يقل مالك الدينار أو جامعه، إذ المذموم من الملك والجمع هو الزيادة على قدر الحاجة[1].

فكل من عبد غير الله حقيقة، فسينشغل فكره في خدمة معبوده، فلا يفكر إلا به، ولا يتذكر إلا كلامه، ولا تتوسع مدارك عقله إلا في حدود معبوده، فإن كان عبدا للمال، فلا فكر له إلا جمعه، وحفظه، والحرص عليه، والخوف من فواته، وإن كان المعبود بقعة جغرافية مصطنعة فلن يتجاوز تفكيره في تربيته وإعلامه ومشاعره تراث وتقاليد حدود بقعته.

(فكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ... فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة، وكل إنسان له إرادة دائما، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب إما المال وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلها من دون الله، كالشمس والقمر والكواكب والأوثان ...أو غير ذلك مما عبد من دون الله)[2].

المطلب الثالث: تعديل السلوك واستقامته بالاستسلام لشرع الله

لا شك أن صحة التفكير وانضباطه، واستقامة السلوك وثباته، هو ثمرة لفطرة سليمة وعقيدة صحيحة، وإيمان راسخ مستقر في القلب، يعلو وينمو ويستمر مع كثرة الشواهد والبراهين التي تحيط بالقلب والحواس، وزيادة التدبر والتفكر في آيات الله الكونية والقرآنية[3].

([1]) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، 306/11

([2]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 196/10، 197.

([3]) انظر: النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، ص 35- 36.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أكد القرآن الكريم على قوة العلاقة بين استقامة الأفكار في القلب واستقامة السلوك في الخارج من خلال تقسيم الناس في القرآن الكريم تبعا لأحوال قلوبهم واستقامتها، فهي ما بين قلب مؤمن مطمئن متفكر، وقلب جاحد معرض، وقلب مريض مرتاب متردد بينهما[1].

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: 28)، ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (البقرة: 10)، ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف: 179).

ونظراً لهذه المكانة العظيمة للقلب في الانتفاع بالعلم وضبط سلوك الإنسان، أمر النبي -ﷺ- أمته باستفتاء القلوب السليمة اطمئنانا للشعور الفطري العميق بالحق، بل جعل شعور القلب بالتردد والكراهية، ونفور النفس من سلوك معين علامة على الإثم والحرج، فعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله -ﷺ- فقال: (جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، فقال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)[2].

ولما كان القلب موطن انبعاث الإرادات، وانطلاق النيات، وانعقاد العزائم والهمم نحو غاياتها، ومحل توارد الخواطر من أحاديث النفس، ووساوس الشيطان، فهو بلا شك يعد مركز نشأة وتشكيل وتوجيه سلوك الإنسان، ذلك أن الإرادة الجازمة هي أصل السلوك الظاهري،

([1]) انظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992- 1402، 237/7، 580/12؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992- 1412، 91/1.

([2]) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم (3553).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنية هي غايته ومقصده، والتصورات والعزائم هي المراحل الوسطى في سير واتجاه إرادته. وما السلوك الظاهري والخارجي للإنسان إلا ثمرة ونتيجة لقوة وغلبة نوع من الأفكار على القلب[1].

ومن أعظم مقاصد الطريقة القرآنية في تنمية التفكير تغيير اتجاه حركة الخواطر وطبيعة الأفكار والتصورات في القلب ليثمر ذلك تغييراً في السلوك الخارجي، ولا يكون ذلك إلا بإيقاظ القلوب من غفلتها، وتذكيرها بفاطرها، ونعمه عليها، وحكمته ورحمته في خلقه وأمره ونهيه، وسائر معاني أسمائه وصفاته، وتوجيه القلوب نحو خالقها، وفتح نوافذ قلبها (الحواس) للنظر والسير والاعتبار بآيات الله الكونية والنفسية وسننه الاجتماعية، لتنمو بذرة الإيمان في القلب وتتغذى وتستقي من مأدبة الله، فيزداد اليقين بوحدانية الله وربوبيته، وتستقيم الخواطر والأفكار التي تحرك كيان الإنسان باستقرارها وتمكنها[2].

إذ من المعلوم أن لكل حركة إرادة، ولكل إرادة دافع يدفعها ويوجهها نحو الغاية التي تسعى إليها وهذا الدافع يحكمه ويضبطه وينميه تصور معين مستقر في القلب، فإذا استطعنا تغذية القلب عبر الحواس بالأفكار والعلوم النافعة، والعقائد والتصورات الصحيحة، وبطريقة فطرية عقلية تزيد القلب إدراكاً ويقيناً وثباتاً أمكننا بعد ذلك السيطرة على اتجاه الدوافع، وبالتالي يصبح سلوك الإنسان سلوكا فطريا منضبطا ذا هدف وغاية. [3]

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص 225.

([2]) راجع: الشنقيطي، سيد محمد ساداتي: القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1414 - 1993، ص18.

([3]) من أعمق الدوافع في النفس الإنسانية (دافع الحب)، فالحب يحرك إرادة القلب نحو المراد بحسب قوته، وخاصية العقل تضبط هذه الحركة بإيثار أعلى المحبوبين على أدناهما وأيسر المكروهين على أقواهما انظر: ابن تيمية: العبودية ص 28، 30؛ ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق: علي الحلبي، ص 238، 239، 279، 295، 296، 300، 307، 310

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتستمر هذه اليقظة والاستقامة في الخواطر بتعاهد تلاوة كلام الله وتـدبره، والعمـل بمحكمة، وقيام الأمة التي تنطلق في تربيتها وسياستها واقتصادها من سنن الله وشرعه، أي أن التفكر في كتاب الله المفتوح، وتدبر كتابه المقروء، عملان متوازيان يكمل بعضها بعضا فـي تغذية القلب بما يصلح، ويوجه إرادته نحو خالقه، بعيدا عن هوى النفس، وعبـث الـشيطان، وظنون الإنسان.

(إنك إذا تفكرت علمت، وإن علمت نشأ في قلبك حال، هذا الحال يدفعك إلى العمـل فالفكر أساس المعرفة، والمعرفة أساس الانفعال، والانفعال أساس السلوك، فإن صحت فكرتك صح إدراكك، وصح انفعالك، وصح عملك، ودخلت الجنة).[1]

وهكذا ينضبط ويتحدد اتجاه السلوك الظاهري تبعا لطبيعة التصورات التي تملأ القلب فتوجه إرادته، فمن كان منتهى إرادة قلبه وقبلته هو الله، كان معيار الحسن والقبح في أفكاره وسلوكه وتصرفاته، ومآل أفعاله هو ما يرضى الله أو يغضبه، وليست الأهواء النفسية، ولا الوساوس الشيطانية، ولا الآراء البشرية. فالمصلحة والمفسدة في أفكاره وأفعاله يقررها إيمانه بالله، وإتباعه لشرعه ودينه، فهو في الحقيقة عابد لله عز وجل، ومن كان غير ذلك فهو عابد لهواه بالضرورة، ولا يضر شكل الصورة التي يعبد فيها هواه، فهي تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، فالعبرة بالجواهر لا بالمظاهر، وبالحقائق لا بالمسميات.

(ومن تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى)[2].

([1]) النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، ص35.

([2]) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، 34/1.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وبذلك يتشكل سلوك الإنسان في عمارة الأرض وسيلة وغاية، فيرجو في سلوكه كل فكرة تعينه على تحقيق غايته، حباً ورضا وطمعاً ورغبة، ويخاف ويتجنب كل فكرة تعرقل غايته كرهاً وبغضاً ونفوراً، سواء أكان هذا السلوك اجتماعياً أم تربوياً أم اقتصادياً أم غير ذلك.

وهذا هو خلاصة عمل الطريقة القرآنية في تعديل السلوك وتعاهده للمحافظة على استقامته واتجاهه، فهي تبدأ من تنمية التفكير في عقله، وتصحيح اتجاهه في قلبه على قاعدة الإيمان بالله والتفكر في آيات الله، وإتباع شرع الله، وهي وسيلة التربية الإسلامية في تحقيق مقاصدها الكلية أي (عملية إعداد الإنسان لعمارة الكون، وفق منهج الله، عن طريق مراعاة فطرته، وتنمية مواهبه، وقدراته وطاقاته، بطرق متدرجة وفق مراحل لتحقيق عبوديته لله)[1] .

وهكذا تتوافق الطريقة القرآنية مع طبيعة الخلقة الإنسانية، ومقاصد خلق الإنسان ووظيفته في الحياة، فيحصل التكامل والتوافق بين التربية العقلية والتربية القلبية في تعديل السلوك واستقامته وثباته دون تناقض أو تخالف[2].

وبناءً على ذلك فإن الطريقة القرآنية في تنمية التفكير تسعى دائماً وأبداً إلى توجيه الإنسان نحو فاطره وخالقه بكل كيانه عقلاً وقلباً وإحساساً وإحاطته برحمة ربه ورعايته، وتؤكد على الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، ومحاسبة النفس على حظه منها في كل شؤون حياته.

([1]) انظر: الباني، عبد الرحمن: مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام المكتب الإسلامي، د. م، ط2، 1983، ص19.

([2]) مدكور، على أحمد: منهج التربية في التصور الإسلامي دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422- 2002، ص 34.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعمل على التذكير الدائم بعظمة الله وكبريائه وعزته وقوته، وعلمه، وحكمته، وسائر معاني أسمائه وصفاته في تصريف أقدرا خلقه، والشعور بمراقبته، بحيث يكون الله هو غاية إرادة القلب في كل أعماله وأقواله، وغاية البحث في آياته وسننه الكونية والنفسية. وغاية التخطيط لمستقبل حياته، فيعتدل بعد ذلك سلوك الإنسان باتضاح المنطلق الذي ينطلق منه تفكيره، والغاية التي يسعى إليها قلبه، والراية التي يتبعها، وليست هذه الراية إلا راية العبودية التي هي مقصد خلق الإنسان وبعثة الأنبياء قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: 56) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: 25).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

تقديم رؤية شاملة متوازنة لمقصد خلق الإنسان وعلاقته بالوجود

المطلب الأول: توسيع دائرة التفكير وتعميقه ليشمل الوجود كله

إن من أعظم مقاصد تنمية التفكير في القرآن الكريم تقديم عقيدة إيمانية صحيحة، ينبثق عنها تفسير شامل ورؤية واضحة متكاملة للوجود، تقرب للإنسان الحقائق الكبرى التي تحيط به وما بينهما من علاقات وارتباطات، كحقيقة الإلوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان، وغاية خلقه، ودوره في الحياة، ومصيره بعدها، مما يوسع ويعمق له دائرة تفكيره وحدود نظره، فيعرفه بمركزه ودوره ليسهل عليه فهم وظيفته في الحياة وعلاقته بهذا الوجود الكبير، وحسن التعامل معه[1].

وهذه العقيدة الشاملة لتفسير حقائق هذا الوجود الضخم وعلاقته بالإنسان وامتداده عبر الزمان لا يمكن أن تكون صحيحة ودقيقة إلا إذا صدرت عن خالق هذا الوجود، وخالق الإنسان، ومدبر رزقه، ومسير أمره، ومبدع نظامه، ولا شك أن وضوح هذا التصور بخصائصه الربانية لدى الإنسان ينمي في عقله التفكير الشمولي، ويجعله عنصرا صالحا في بناء أمة الإيمان والقرآن[2].

(فالله اللطيف الخبير الذي يعلم حقيقة النفس البشرية وتكوينها، ويعلم كذلك أن العقيدة التي هي تَصوّر شامل للكون وللإنسان، وعلاقاتها بالخالق، وعلاقات بعضها ببعض، هي

([1]) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط13، 1415- 1995، ص5.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص6.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

محور ارتكاز الإنسان كله وموجه نشاطه، فهي التي ترسم للإنسان أفكاره ومشاعره وأنماط سلوكه، وتحدد له علاقته بالخالق، وعلاقته بالكون والحياة)[1].

وهكذا تتسع دائرة تفكير الإنسان طولاً وعرضاً من النظر إلى نفسه ومحيطه الصغير إلى النظر في الكون كله، بكل ما فيه من سموات، وأرض، وبحار، وجبال واختلاف بين الناس في الألسن والألوان، ويتعمق تفكيره أيضا في التاريخ الغابر للـــأمم والمجتمعات، وهو يرى بقايا آثارهم الضخمة الشامخة القوية قد جعلها الله عز وجل آية للتذكر والاعتبار عبر الأجيال أن يصيب الناس ما أصاب غيرهم، فالله عز وجل يؤكد على ثبات السنن والكونية الاجتماعية في خلقه وأمره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (فاطر: 43)[2].

والله عز وجل يعلل في آيات كثيرة الحكمة من أفعاله، وينبه العقل على أسرار تشريعاته وأنه لا يساوي بين المختلفين ولا يفرق بين المتماثلين، ويذكره بفهم مقاصد الخلق، وأسرار والوجود فهو لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم ينزل عليه الكتب، ويرسل إليه الرسل، ويسخر له ما في السموات والأرض لهواً ولعباً بل نزه سبحانه أفعاله أن تكون عارية عن الحكمة خالية من المقصد، فهو الحكيم العليم، واللطيف الخبير.[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المؤمنون: 115 – 116)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

([1]) محمد، قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، 1415- 1995، ص 24، 25 باختصار.

([2]) انظر: النحوي، عدنان رضا: النهج الإيماني للتفكير، ص140، 144.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 455؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت، 77/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ (ص: 27 – 28).

وهذه الآيات وغيرها كثير في كتاب الله تقودنا لمجموعة من الأسئلة المنهجية المتسلسلة حول مقاصد تنمية التفكير في القرآن وعلاقته بوجود الإنسان، أي لماذا يجب على الإنسان أن يفكر؟ وبماذا يفكر؟ وبأي منهج أو اتجاه يفكر؟ وما طرائق تنمية تفكيره؟ وما علاقة تنمية تفكيره بسلوكه وغاية وجوده؟.

فهذه أسئلة جزئية لا يمكن الإجابة الدقيقة عنها إلا إذا وضعت في إطار أسئلة فطرية منهجية كبرى، وعقيدة صحيحة تبين للإنسان حقيقة نفسه، غاية خلقه، ومركزه في الوجود، وتعمق نظرته لبدء الخلق، ومسيرة التاريخ، وتوضح علاقته بربه وبالكون والحياة والمصير، بل وترسم للدراسات الإنسانية على اختلاف اختصاصاتها الطريق الصحيح للانطلاق.

ومن أمثلة هذه الأسئلة المنهجية الكبرى:

ما الكون؟ ما مصدره ؟ وما نشأته ؟ وما وطبيعته ؟ وكيف حركته؟.

ما الحياة ؟ وما مصدرها. ونشأتها. وطبيعتها. وخط سيرها. والمؤثرات فيها.

ما الإنسان؟ ولماذا خلق؟ ومن خلقه؟ وما الذي يميزه عن المادة؟ وما طبيعة العقل الذي يميزه، وما وظيفته في الحياة؟ وما علاقته بالكون؟ وإلى أين مصيره؟ [1]

فهذه هي الأسئلة الفطرية الحقيقية السابقة لكل تساؤل يتعلق بمقاصد تنمية التفكير.

([1]) انظر: قطب، محمد: دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، 1394- 1974، ص43، 44؛ دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، 1415،1995، ص489؛ بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن، ص214.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أجاب الله عز وجل عنها في كتابه الكريم من خلال تقديم رؤية شاملة لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالوجود من حوله بما يؤكد على العلاقة القوية والدائمة بين التفكير وغاية الخلق، التفكير وزيادة الإيمان، التفكير والاستقامة، التفكير وعمارة الكون، التفكير وتقويم السلوك، التفكير والاعتبار، التفكير وسنن الله في التغيير.

وخلاصة هذه العلاقات أن العبودية هي علاقة الإنسان بربه منهجاً وفكراً وسلوكاً: وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأفكار والمشاعر في حياة الأفراد والأمم وفي كل ميادين الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتسخير هي علاقة الإنسان بالكون، وتعني: أن الله مكن الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة في مجالات حياته المختلفة دون ثمن، والعدل والإحسان هي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والابتلاء والامتحان هي علاقة الإنسان بالحياة الدنيا، وتعني: اختبار طاعة الإنسان لله تعالى وإتباع تعاليمه، والمسؤولية والجزاء والحساب هي علاقة الإنسان بالآخرة[1].

لقد كانت رحمة الله عز وجل واسعة بهذا الإنسان (حين لم يدعه بجهله بحقيقة ذاته يصنع تصوره الاعتقادي، الذي يشتمل تفسيرا شاملا – لا لحقيقة الإنسان المجهولة له فحسب – ولكن كذلك لحقيقة الإلوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وسائر الارتباطات بين هذه الحقائق جميعا... وحين لم يدعه بجهله يصنع منهج حياته وشكل نظامه وشريعته)[2].

وهكذا وجهت الطريقة القرآنية مقاصد تفكير الأمة نحو ربها تعظيماً وإجلالاً لشأنه وتدبرا وفهما لكلامه، وتفكراً وتبصراً في آياته، وخضوعاً وانكساراً لسلطانه، ورجوعاً

([1]) انظر: عرسان، ماجد: أصول التربية الإسلامية ص 87، 128، 148، 188 وانظر: تفاصيل هذه العلاقات والسنن التي تحكمها، ص 85، 264.

([2]) قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص58، دار الشروق، القاهرة، ط31، 1415- 1995 بتصرف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستسلاما لشرعه وقدره، فصححت رؤيتها للكون والحياة والإنسان وما بينهما من علاقات وارتباطات، ورسخت الإيمان في قلبها، ودفعتها نحو البحث والنظر والسير في الأرض قلبا وعقلا وخلقا. فأبدعت الأمة الإسلامية علومها المتميزة، وحققت إنجازاتها الحضارية بفضل الطريقة القرآنية المتميزة في التوجيه والتأثير وتوسيع دائرة التفكير[1].

وظهرت شخصيتها المستقلة القائمة على توحيد الله في تكامل بين العقل والنقل، وتوافق بين كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، وكتابه المنظور (الكون) وكتابه المأثور (التاريخ) لأن فاطر الكون والإنسان، ومنزل الدين والكتاب، ومسير السنن الاجتماعية والتاريخية هو العزيز العليم الحكيم الوهاب، وقد أكد على ذلك في كتابه الكريم: فقال: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر: 43)[2].

المطلب الثاني: تقديم عقيدة شاملة متوازنة مع فطرة الإنسان وقلبه وعقله وحواسه

ويعود الأثر الكبير الذي تحدثه الطريقة القرآنية ولا زالت في الفطرة والعقل والقلب والسلوك كونها قائمة على تقديم عقيدة شاملة متوازنة مع طبيعة الخلقة الإنسانية، مما يجعل الإنسان ينطلق في تفكيره منضبطا مع فطرته دون حيرة، أو خوف، أو قلق، منسجم مع عقله دون تعارض أو تناقض، متسق مع حواسه دون شك أو ظن، وخلاصة هذا التفسير: عقيدة تملأ قلبه يقيناً واطمئناناً، وتتوافق مع فطرته وقدراته الحسية والعقلية، وتقرب له طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها ويحس بها في تناسق وتكامل وتوازن. [3]

([1]) انظر: راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط2، 1430- 2009.

([2]) انظر: ملكاوي، فتحي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط1، 1432- 2011، ص146.

([3]) انظر: النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1426- 2005، ص26.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا التفسير الشامل المتوازن للوجود يجعل طاقة الإنسان الفطرية والقلبية والعقلية والحسية والحركية منسجمة ومؤطرة ومصروفة في حدود اختصاصه، وعلاقته بخالقه.

فالفطرة أصل مركوز في القلب، ويقين القلب يزداد بقوة الإحساس وتلاوة القرآن الكريم والقلب السليم يعقل الآيات ويتدبرها، وعقيدة التوحيد تربط بين الفطرة والقلب والعقل والكون، وعندما يقوى الإحساس والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية يزداد الإيمان ويرسخ في القلب ويستقر، ثم تتحرك الجوارح خوفا ورجاء ومحبة لإرضاء خالقها في تفكيرها وبحثها ونظرها، فيستقيم السلوك وتنضبط المسيرة، وهذا يدل على قيمة العقيدة المستقرة في قلب صاحبها، وأهميتها في توجيه العقل وقدراته ووظائفه من تدبر وتبصر وتذكر ونظر، لذلك كان من أعظم مقاصد الطريقة القرآنية ترسيخ هذه العقيدة في القلوب والعقول بكل الوسائل والأساليب.

وبذلك تقدم الطرائق القرآنية رؤية شاملة متوازنة تقابل كل عناصر الطبيعة الإنسانية، وتلبي كل جوانبها، وتتعامل مع كل مقوماتها، فالحواس تستقبل الآيات الكونية، والقلب مفطور على معرفة الله، والعقل في قوة تفكيره يربط بين القلب والحواس في زيادة الإيمان، وحركة الإنسان واستقامته هي ثمرة ومحصلة التفاعل بين القلب والعقل والحواس[1].

وهكذا نجد أن الطريقة القرآنية في تنمية التفكير متوافقة ومتسقة مع الخلق، والشرع، والفطرة والعقل، فهي تدعو إلى توحيد الله في ربوبيته وإفراده بالخلق والملك والرزق والتدبير، وتدعو إلى التفكر في تجليات وحدانية الله في خلقه، وتوحيد منهج التلقي منه وحده، وإفراده بالإتباع والاستسلام والتشريع والتحليل والتحريم، وتوحيد توجه القلب له وحده، ورد

([1]) قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط31، 1415- 1995، ص6.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأمور كلها لمشيئته وتقديره قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأنعام: 17). [1]

ومن هنا كان على المعلم صاحب الرسالة الربانية، مهما كان اختصاصه ومجاله أن يتنبه لطريقة القرآن ومنهجه في وضع إطار عام للتفكير، ورؤية واضحة وصحيحة ينطلق منها وينتهي إليها عقل الطالب ونظره، وتكون عبارة عن مقدمة شاملة لعلاقة الإنسان بالله وبالوجود من حوله، فيعرف الطالب معنى علاقة التسخير التي تربطه بالكون وسننها، وكيف يتفاعل مع الكون مدركا رحمة الله وإنعامه وإحسانه لخلقه، وعلاقة الابتلاء التي تربطه بالحياة وسننها وكيف يتصرف ويستجيب لها في الخير والشر. وعلاقة العدل والإحسان التي تربطه بالإنسان وكيف يعدل في أقواله وأفعاله مع العدو والصديق، وعلاقة العبودية بمظاهرها الثلاث، وكيف يحققها في الشعائر وفي الكون والاجتماع.[2]

وينبغي أن يفهم الطالب أيضاً أن ما يحدث في العالم من قهر وتسلط واستبداد، وضرر وجوع وخراب ومصائب وفساد في البر والبحر، ما هو إلا نتيجة لغياب علاقة العبودية بصورتها الشاملة وعلاقة العدل والإحسان بين البشر، وحلول علاقة الكفر والظلم والبغي والعدوان[3].

([1]) انظر: النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، ص 153

([2]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 88، 89.

([3]) انظر تفاصيل السنن التي تحكم علاقات الإنسان بالكون وبالإنسان والحياة وأثر غيابها في مناهج التعليم: ماجد عرسان الكيلاني: أصول التربية الإسلامية، 128- 129.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: الاعتبار والاتعاظ بالتاريخ الإنساني والعمراني الأممي

إن من أعظم مقاصد الطريقة القرآنية في تنمية التفكير تعميق نظرته للتاريخ، وأخذ العبرة والموعظة من أحداثه، وقصصه، وتعاقب الأمم وآثارهم في الأرض، واستمرار رحمة الله وعنايته بخلقه، في إنزال الكتب، وإرسال الرسل، فكتاب الله عز وجل يحكي قصة مسيرة الإنسان في الكون من مبدأ خلقه، حتى استقرار مصيره، وما يعتريه من صفات وأحوال وتغيرات حال استقامته على الفطرة، أو حالة انحرافه، منفردا أو مجتمعا بقومه، ثم عناية الخالق بتعليمه وتربيته وتنمية تفكيره مما يعطي العقل والقلب شمولا ودقة وعمقا في النظر والاستقراء والقياس عند دراسة الظواهر الإنسانية ومحاولة تفسيرها وفهمها[1].

فهناك قوانين تحكم الظواهر الإنسانية كما تحكم الظواهر العلمية، ولكن الظواهر الاجتماعية تحتاج إلى زمن لمتابعتها ورصدها، والقرآن الكريم يكشف عن هذه السنن عبر التاريخ ويضعها في عناوين كبيرة عند التعقيب على القصص وبيان العبرة منها، فمن أسباب هلاك الأمم والمجتمعات كما أخبر القرآن الكريم الكفر والظلم والفسوق والترف والعصيان والكبر والإعراض، وقد أكد القرآن الكريم كثيراً على تكررها وثباتها وجعلها سننا كونية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأعراف: 96)، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (يوسف:90)، وهناك دعوات في القرآن الكريم للاعتبار بأثر الطغيان المالي، واعتبار بأثر الطغيان السياسي، واعتبار بأثر الطغيان المادي، وكلها أساليب يتعلم من خلالها الإنسان التفكير الشامل والعميق في تقلبات النفس البشرية وطبائع المجتمعات الإنسانية، وجريان سنن

([1]) انظر: قطب، محمد: دراسات قرآنية، ص498-499

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الله في الكون، وقوة الله وقدرته، وقهره، وإحاطته وحكمته في أمره ونهيه، واستحقاقه للعبودية وحده لا شريك له[1].

مما يكسب عقله أيضا عمقا ومنطقا في تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية والعلمية حيث لا يبدأ بحثه ومحاولة فهمه للظاهرة وأسباب انتشارها وتمكنها وطرق علاجها من الصورة الخارجية، أو العرض السطحي بل لا بد من النظر في الظاهرة ابتداء من أعماق النفس وأغوارها حيث العقائد والتصورات التي تستقر في القلب، فتوجه العقل والحواس وتحرك الجوارح، ثم تتبع بدايات هذه الظاهرة وتشكلها واستمرارها، والاعتبار بالسنن الاجتماعية التي تحركت مع مسيرة هذه الظاهرة في التاريخ.[2]

لقد جمع الله عز وجل بين دفتي كتابه العظيم علوماً متنوعة، متعلقة بأحوال الإنسان وأنشطته المختلفة، ومسيرته في الكون، منذ بدئ الخليقة حتى قيام الساعة، واستقرار مصيره، حيث عرضها القرآن الكريم بأسلوب منظم، محكم مترابط، تصلح أن تكون منهجا تربويا في تعليم أسس ومنطلقات التفكير في العلوم الاجتماعية على اختلاف اختصاصاتها بما يشكل في مجموعه مادة التربية الإسلامية. وعليه فإن كل مادة منتزعة من كتاب الله لابد أن تسترشد بخصائص الطريقة القرآنية ومنطلقاتها ومقاصدها في تنمية التفكير، التي تتميز بإثارتها لعقل الإنسان، وفطرته ووجدانه، والنظر بعمق في البحث والتفكر والسؤال.

(فالمعرفة في التربية الإسلامية وحدة واحدة مهما تشعبت فروعها وتوسعت ميادينها، وهي تشتق هذه الصفة من ثلاثة أمور: الأول، وحدة مصدر المعرفة، وهو الخالق سبحانه

([1]) انظر: السلمي، محمد صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار الرسالة العلمية، الرياض، ط2، 1418-1998، ص59-60.

([2]) انظر: بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن، ص217.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعالى، والثاني: وحدة ميدان المعرفة وهو الخلق، أو الوجود القائم، والثالث: وحدة الغاية من المعرفة، وهي معرفة الله تعلى، ومن هذه الصفات الثلاثة تتفرع وحدة أدوات المعرفة، ووحدة العاملين في ميدان المعرفة)[1].

وأخيراً، فإن القرآن يربي العقل المسلم على التفكير الشمولي، وهو ذلك التفكير الذي يتميز بالإحاطة بالظاهرة الاجتماعية من جميع جوانبها والعلم بتفاصيلها: النفسية والفكرية والتاريخية والعوامل المؤثرة في نموها وتطورها، والحذر من إتباع الظنون والأهواء عند تقييمها والحكم عليها، وتتبع مسيرتها فالقرآن الكريم عندما يعرض ظاهرة معينة فإنه يعرضها بشمول وتفصيل من جميع جوانبها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يونس: 39).

وقد ذكر الله عز جل في كتابه ظواهر اجتماعية كثيرة كالترف والظلم والاستقرار والبركة، وقيام البلدان وهلاكها، وقدم لكل ظاهرة عبراً من القصص والأحداث والسنن، ومن ذلك أيضاً ظاهرة النفاق، حيث عرضها بطريقة شاملة، تناولت نفوسهم وعقولهم وسلوكهم، وفصل القرآن الكريم سلوكهم العبادي والاجتماعي والأمني والتربوي، فضلاً عن وصفه لتفكيرهم، ومرض قلوبهم ومكرهم، وتآمرهم.

---

(1) الكيلاني: ماجد عرسان، أصول التربية الإسلامية، ص 301

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

خصائص الطريقة القرآنية في تنمية التفكير

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: ربانية الطريقة وخلودها في توجيه التفكير منطلقا وغاية

المبحث الثاني: الوضوح والبساطة في الأسلوب والفهم والاستدلال

المبحث الثالث: الموضوعية في التحقق من الفكرة والعدل في الحكم عليها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

ربانية الطريقة وخلودها في توجيه التفكير منطلقا وغاية

لا شك أن القرآن الكريم هو خطاب الله عز وجل لهذه النفس الإنسانية التي خلقها بيده ونفخ فيها من روحه، وفطرها على معرفته، ودعاها لتوحيده، وميزها بالعقل على سائر خلقه، وقد انعكس ذلك كله على كيانه وسعيه وطريقة تفكيره، فهو حر مكلف، صاحب إرادة، وإدراك، يتحرك بوعي، واختيار، وتفكير، لبلوغ قصده ومراده.[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (ص: 71 – 72)، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (البقرة: 31).

المطلب الأول: ربانية الطريقة القرآنية في منطلقها

فالخطاب القرآني في حقيقته هو طريقة العليم الخبير في تنمية تفكير الإنسان، فالله عز وجل أخبر وأعلم وأحكم وأرحم بما خلق وفطر وشرع وقدر. فالنفس الإنسانية هي خلق الله الخبير بخفاياها، الحكيم بما يصلح شأنها، العليم بما يناسب أصل فطرتها وطبيعة خلقتها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: 30)، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (البقرة: 140)، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: 50)، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: 14).

---

(1) انظر: قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية ص 32؛ النابلسي، محمد راتب: مقومات التكليف، ص11.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو جل جلاله أيضاً أعلم بما يثير فطرة الإنسان، وينمي عقله، ويفتح قلبه، ويقوي إرادته ويوسع مداركه، وأقدر على تحرير عقله وتفكيره من الظنون الخرافات، وإطلاق قدراته العقلية والحسية فيما يفيده وينفعه في تحقيق رسالته، فهو مصدر المعرفة ومقصدها، وأخبر بالحواجز العقدية، التي تقيد تفكيره، وتضيق رؤيته، وتعيق انطلاقه في الحياة، ليحقق غاية خلقه، وليعمر الكون بمقتضى منهج خالقه.

فالله عز جل في كتابه الكريم يوجه العقل للمجال النافع الذي ينبغي أن يفكر فيه، والمسار المنضبط الذي لا بد أن يستقيم عليه، والغاية الصحيحة التي يرتكز إليها، فلا يضل ولا يشقى، بحثاً ونظراً في غيبيات خارجة عن قدرته وطاقته، فيضيع جهده، ويتشتت تفكيره دون ثمرة أو فائدة تعود عليه، فهو بذلك يحفظ عقله من الوهم والخرافة والعُجب والكبر؛ لأنه يمد العقل بالخبر الصادق، ويجعله في يقظة دائمة لخالق الكون، ومصدر المعرفة وهو الله[1].

والطريقة القرآنية في تنمية تفكير الإنسان ليست صادرة عن تجربة بشرية متقلبة يعتريها النقص والجهل والقصور، أو مقيدة بحدود الزمان والمكان وضعف العلم والإدراك، أو متغيرة بسبب الشهوات والانفعالات والغرور، بل هي منفتحة ومتسعة للوجود كله، كونها منبثقة عن تصور شامل للوجود، ممن أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأتقن كل شيء صنعا، فلها من خصائص الشمول في تنمية التفكير، والثبات في أصولها، والواقعية في مقاصدها، والعالمية في غاياتها، والاستمرارية في عطائها بما يتناسب مع ربانيتها وخلودها في إعداد الإنسان لحمل رسالة الخالق على مر العصور الدهور، مهما تغيرت وقائع

([1]) الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 296- 297

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الحياة، تعقدت إفرازاتها، وتطورت وسائلها فسيبقى الإنسان في عقله وتفكيره ونظره هو الإنسان.[1]

فهي منبثقة عن (تصور رباني جاء من عند الله بكل خصائصه وبكل مقوماته ... وهو تصور غير متطور في ذاته، إنما تتطور البشرية في إطاره، وترتقي في إدراكه وفي الاستجابة له، وتظل تتطور وترقى، وتنمو وتتقدم، وهذا الإطار يسعها دائما، وهذا التصور يقودها دائما؛ لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصور، هو نفسه المصدر الذي خلق الإنسان، الخالق المدبر، الذي يعلم طبيعة هذا الإنسان وحاجات حياته المتطورة على مدى الزمان)[2].

وهكذا تضع الطريقة القرآنية إطارا شاملا وكاملا وواضحا لتنمية تفكير الإنسان ينطلق من خلاله وفي إطاره، وتحت هيمنته. وحينئذ تنطلق طاقاته العقلية والقلبية باتجاه خالقه وفاطره ورازقه للكشف عن سننه النفسية والكونية في الجانب المادي، والاجتماعي والاقتصادي والعلمي والسياسي..الخ فينضبط اتجاه تفكيره، وحدوده، ومساره، متحرراً من رواسب الجهل والضلال والتخبط مستمدا معرفته لحقائق الوجود من تعليم الخالق، لا من ظنون البشر، وتلك رعاية كريمة من الله الغني الرحيم، تستحق الشكر والامتنان، والتوجه بكل قوة وعزيمة نحو نور الله، ووحيه، وهدايته في التفكير والبحث والنظر[3].

([1]) انظر: قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص 40- 41.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص 40- 41.

([3]) انظر: المرجع السابق، ص15.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: خلود الطريقة القرآنية واستمرار عطائها

لقد ارتبطت الطريقة القرآنية بالله الحي القيوم، الذي أنزل كتابه العظيم مهيمنا ومصدقا لما بين يديه من الكتب، فنسخ الله عز وجل به الشرائع السابقة، وحفظه من التحريف والتبديل والضياع فبقي أصدق وثيقة للحقيقة، ومصدرا صادقا للمعرفة التاريخية، والعلمية، والكونية، والاجتماعية ومورداً لاكتشاف تنوع الإعجاز في مضمونه وهدايته، وموجها دائما لعقل الإنسان وحواسه نحو البحث والنظر والسير في كل زمان ومكان[1].

فهو نور الله ووحيه، الذي يخرج الناس من ظلمات الموت والجهل والهوى والضلال، إلى نور العزة والبصيرة والهداية والحياة، فينير الطريق أمام عقولهم، وقلوبهم، وحواسهم. لينطلقوا في البحث من فكرة صادقة، وحقيقة ثابتة، وعقيدة صحيحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ (النساء: 174 – 175)، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (الأنعام: 122)، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾(الشورى: 52).

وقد تعهد الله عز جل بحفظ كتابه العظيم، ليبقى أثره في تنمية التفكير مستمراً، ودالاً على تنوع إعجازه، رغم تقدم الحياة، وتطور وسائل الإدراك، وتوسع العلوم، وتعمق

([1]) انظر: قطب، محمد: دراسات قرآنية، ص 15

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اختصاصها، وتنوع مجالاتها، وليقدم للإنسان عقيدة وتصوراً وتفسيراً شاملاً للوجود. فيقرب لعقله وحواسه وفطرته الحقائق الكبرى التي تحيط به، وعلى رأسها حقيقة الإلوهية، وحقيقة العبودية، ممثلة في حقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، وحقيقة الحياة، وما بين هذه الحقائق من علاقات وارتباطات، ودور الإنسان في التأثر بها، والتفاعل معها. ومعرفة موقعه منها، ومركزه فيها[1].

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد صدق أثر الطريقة القرآنية واستمرار عطائها في تنمية التفكير بكل أنواعه، فقد أبدع علماء الأمة الإسلامية كثيرا من العلوم المتخصصة، وألفوا المؤلفات الضخمة، والموسوعات الكبيرة، وكلها تدل على أنواع من التفكير أرشدهم إليها القرآن الكريم كالتفكير الاجتماعي، والتفكير الأصولي المنطقي، والتفكير المقاصدي، والتفكير السنني القياسي والتفكير الناقد، والتفكير المستقبلي[2].

وقد جاءت مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع مثالاً على أثر الطريقة القرآنية في تنمية التفكير الاجتماعي المتعلق بأسس فهم أحوال الدول والأمم والمجتمعات، وأسباب تقلبها ورقيها وانخفاضها واضمحلالها مستنبطاً ذلك من سنن الله في كتابه الكريم، ومستنداً إلى أحوال العمران، وطبائع البشر، وخصائص الزمان.

---

(1) انظر: قطب، محمد: لا يأتون بمثله، ص 204،205

(2) انظر: كتاب الموافقات للشاطبي مثال على التفكير المقاصدي، وكتب العلل في علوم الحديث مثال على التفكير الناقد، وكتب أصول الفقه وعلى رأسها الرسالة للإمام الشافعي، أمثلة للتفكير الأصولي والقياسي.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهكذا يجد المفكر، والأديب والحقوقي والفلكي، وعالم النفس وعالم الاجتماع والمؤرخ، والطبيب مجالاً لاختصاصه ودليلاً على أن القرآن الكريم نوراً ورحمة وهداية للعالمين[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت: 53).

ويذكر صاحب كتاب معجم البلدان في مقدمة كتابه أن من أسباب وبواعث تأليفه لهذا الكتاب الرائد في علم الجغرافيا هو تدبره للقرآن الكريم، وتأثره بطريقته في الدعوة للسير في الأرض والاعتبار.

يقول: (أما بعد، فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران،..... لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه، لهوا ولا لعبا.... ولكن رأيت التصدي له واجباً، والانتداب له مع القدرة عليه فرضا لازما، وفقني عليه الكتاب العزيز الكريم، وهداني إليه النبأ العظيم، وهو قوله عز وجل، حين أراد أن يعرف عباده آياته ومثلاته ويقيم الحجة عليهم في إنزاله بهم أليم عقابه.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: 46))[2].

([1]) الطنطاوي، علي: تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة، جدة، ط 7، 1422- 2001، ص 235.

([2]) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399- 1979، 7/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: ربانية الطريقة القرآنية في المقصد والغاية

إن من أهم ما يميز الطريقة القرآنية في تنمية التفكير هو قيامها على عقيدة التوحيد الواضحة في مقصدها وغايتها ومسيرتها، وخلاصتها إفراد الله عز وجل بخصائص الإلوهية والربوبية وصفاتها، وتفرد من سواه بالعبودية وخصائصها، والتوحيد ليس كلمة تقال باللسان، ولكنه عقيدة وشريعة منهج حياة، يبدأ من تصور واعتقاد في القلب، وينتهي بنظام يحكم ويوجه الإنسان والكون والحياة. [1]

وهذا ينعكس على مقاصد تفكير الإنسان وحركته وإقباله، فيخلص في توجيه أعماله كلها لله مبتغيا وجه الله وهو يصلي ويذبح خلافا لمن يعبد غير الله ويتجه قلبه وفعله لغير الله[2]، ويصبح عابداً لله مخلصاً وهو يفكر في جلب طعامه والنفقة على عياله، وعابداً لله وهو نائم يقصد الاستعداد ليوم جديد من العمل لمرضاه الله، وعابداً لله وهو يخلص في اختيار زوجته وتربية أولاده وعابداً لله وهو يحقق العدل بين رعيته بشرع الله ويفكر كيف يرفع أمته، ويعلي شأنها بين الأمم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (الأنعام: 162) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ ﴾(الزمر: 2–3).

(إنه التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة بالصلاة والاعتكاف وبالمحيى والممات. بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه. إنها

([1]) انظر: قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص190

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب 191/14؛ ابن كثير، إسماعيل بن محمد: تفسير القرآن العظيم 382/3.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تسبيحة (التوحيد) المطلق، والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيى والممات، وتخلصها لله وحده. لله رب العالمين. القوام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين..).[1]

ثم تتابع الطريقة القرآنية أيضاً تعريف الناس بحقيقة العبودية وخصائصها ممثلة بالكون الذي يحيط بهم، والحياة التي يحيون فيها، والأرض التي يمشون في مناكبها، فيدعوهم إلى التفكر في تجليات ربوبيته وإلوهيته وآثارها في الكون، والإنسان، والحياة، وعلاقة بعضها ببعض وخضوعها كلها لله، ودعوة الناس في كل زمان ومكان، إلى مزيد من إظهار هذه التجليات في الكون بقدر استطاعتهم ومستوى تقدمهم، وفهم هذه العلاقة المتوازنة بين إلوهية الله وحده، وعبودية من سواه، من خلال السير في الأرض، والنظر في الكون، والتفكر في الخلق، والتدبر في السنن الاجتماعية.

ونلاحظ في كثير من الآيات القرآنية الوضوح في التعبيرات الواردة في رد الأمور كلها لله خلقا وشرعا وقدرا ومشيئة قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر:49)، ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾(طه: 50)، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: 89).

وهذا يعني أن تنمية تفكير الإنسان تسير باتجاه توحيده لخالقه في كل فكرة ونظرة وخطرة وحركة وانبثاقه، فالغاية من خلق الإنسان هي تحقيق عبوديته لربه فكرا وسلوكا واعتقادا وشعورا وذلك برد الأمور كلها لمشيئة الله، وشمول إرادته وتدبيره وهيمنته على كل شيء، والتلقي والاستسلام لدينه وشرعه وحده لا شريك له.

([1]) قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1240/3، 1241

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مما يجعل تفكير الإنسان شاملاً متسعاً عميقاً ممتداً للوجود كله منذ نشأته، كونه دالاً على وحدانية الله، وعظمته في نشأته وحركته، وابتدائه وانتهائه، فهو في تفكيره ينطلق وينتهي عند هذه الوحدانية، يجتهد في إثباتها، وينظر ويفكر من خلالها، ويسعى لاستكشافها، ويستقيم على هدايتها، ويسعى لتصحيحها، والدعوة إليها، ورد البشرية لميثاقها، ويربط كل ملاحظاته ومشاهداته لتصب في غاية واحدة تتوافق مع فطرته وتصدقها حواسه[1].

ولا شك أن عقيدة التوحيد وما تتضمنه من تفرد رب العزة بخصائص الإلوهية والربوبية وكمال الأسماء والصفات، وتجرد من سواه عن هذه الخصائص، هي العقيدة الصحيحة الوحيدة التي يتفرد بها الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب والفلسفات، وعليه فالطريقة القرآنية هي الطريقة الوحيدة التي تتفرد بإثارة وإيقاظ فطرة الإنسان، وترسيخ التوحيد في قلبه، وتحديد مسار عقله والاستدلال عليه بحواسه، وقد فتحت هذه الطريقة القرآنية على الأمة آفاق التفكير المنضبط بتوحيد الله المتناسق مع الفطرة، والمتوافق مع غاية الخلق، وقدرة العقل، وحدود الإدراك ومجاله.[2]

ويبقى بعد هذا البيان لخاصية الربانية في المنطلق والمقصد والغاية، أن نؤكد على أثره على القلب والعقل والسلوك في الحياة الإنسانية العامة، فهو بلا شك ينشئ استقامة في السلوك والتفكير والحركة، لاستقامة الجهة التي يتجه إليها العقل في تفكيره، والقلب في إرادته، والسلوك في استسلامه، والحياة في مصيرها، ويولد اتزاناً واعتدالاً وقوة في السير، وجداً واجتهاداً في العمل واطمئنانا في القلب. وراحة في الضمير؛ لأن الجهة التي يتعبد لها القلب واحدة لا يشاركه فيها أحد. وصدق الله العظيم ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الزمر: 29)[3].

([1]) انظر: قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص190.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص194.

([3]) انظر: المرجع السابق، ص 201.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثاني

الوضوح والبساطة في الأسلوب والفهم والاستدلال

المطلب الأول: الوضوح والبساطة في الأسلوب

إن من أهم ما يميز الطريقة القرآنية السهولة، والبساطة، والوضوح في أسلوب خطاب النفس الإنسانية ودعوتها للتفكر والتذكر، خلافاً لتعقيدات القوالب والطرق الفلسفية، التي تعرض العقيدة الإسلامية بأسلوب جاف وجامد وميت، وتخاطب النفس الإنسانية في جانبها العقلي فقط.[1]

فالخطاب القرآني في أسلوبه يجذب النفس الإنسانية ويدخل إليها بيسر، وبساطة وسهولة من جميع منافذها: الفطرة والعقل والقلب والحواس، ومعلوم أن هناك ارتباطا وتناسبا بين طبيعة الموضوع والأسلوب أو الطريقة التي يعرض فيها.[2]

وموضوع القرآن هو تجليات وحدانية الله في إلوهيته، وربوبيته وأسمائه وصفاته وشرعه وقدره وآثارها في النفس والكون والحياة والحركة، والسلوك، والشعور، وهي خلاصة عقيدة التوحيد التي يصورها القرآن ويدعو إليها، والطريقة التي تعرض فيها تجليات هذه العقيدة، تزيد القلب إيماناً واطمئناناً، وتزيد التفكير انطلاقاً وسعة ووضوحاً، وتعطي النظر، عمقاً وشمولاً وتركيزاً، لبساطتها وسهولتها وفطريتها في أسلوبها.

---

(1) انظر: دراز، عبد الله: دستور الأخلاق في القرآن، ص 14 .

(2) انظر: قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي، ص 16

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهي (تخاطب الكينونة الإنسانية بأسلوبها الخاص، وهو أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع واللمسة المباشرة والإيحاء. الإيحاء بالحقائق الكبيرة، التي لا تتمثل كلها في العبارة. ولكن توحي بها العبارة. كما يمتاز بمخاطبة الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وطاقاتها ومنافذ المعرفة فيها. ولا يخاطب "الفكر" وحده في الكائن البشري..)[1].

ويتضح ذلك أكثر من خلال المقارنة بين قاعدة انطلاق التفكير في الدين الإسلامي وبين غيره من الأديان المحرفة والفلسفات الغامضة، إذ تتميز الطريقة القرآنية بالوضوح في عرض عقيدة التوحيد، وهي القاعدة التي ينطلق منها التفكير، ويرجع إليها ويحوم حولها، ويقوى وينمو في إطارها، وتحت هيمنتها بعيدا عن تشويهات الأديان المحرفة، والعقائد الملحدة، التي تمسخ الفطرة، وتنشئ عداوة وتصادما بين القوانين العقلية والعقائد القلبية، فلا تعارض في الطريقة القرآنية بين العقل والنقل، ولا تضاد بين كتاب الله المفتوح، وكتابه المسطور[2].

ولا شك أن ذلك يُعد انعكاساً لطبيعة العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تدعو دائماً إلى توحيد الله، وهي قاعدة الانطلاق الكبرى في التفكير الإيماني ومقصود الدعوة إلى النظر والتدبر في آيات الله الكونية والتشريعية، فبها يستقيم العقل والقلب والسلوك مع الفطرة نحو معبود واحد لا إله إلا هو العزيز الحكيم[3].

([1]) سيد، قطب: خصائص التصور الإسلامي دار الشروق، القاهرة، ط 13، 1415، 1995، ص 16،17 باختصار.

([2]) انظر: قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية 15/1؛ النابلسي؛ راتب، محمد: مقومات التكليف، ص161.

([3]) انظر: النحوي، عدنان رضا: النهج الإيماني للتفكير، ص 161.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(يدرك هذا كله من يوازن بين التصور الإسلامي القائم على التوحيد، وبين التصور الكنسي للأقانيم الثلاثة للإله الواحد والبنوة، التي لا سبيل للنجاة إلا بالاتحاد بهما، والخطيئة الموروثة التي لا يغفرها إلا الاتحاد بالابن الذي هو المسيح عليه السلام! ... ومثل هذا يقال عمن يتعامل مع "الطبيعة!" التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تنهى ولا تأمر، ولا تطالب عبادها بفضيلة ولا عمل، ولا تنهاهم عن رذيلة ولا خلق!)[1].

المطلب الثاني: الوضوح والبساطة في الفهم والاستدلال

ومن وضوح وبساطة ويسر الطريقة القرآنية في الاستدلال أنها تخاطب العقل بمنطق السببية، وهو منطق فطري أصيل، أي لكل سبب مسبب، ولكل حدث محدث، ولكل نتيجة مقدمة وذلك في ألفاظ محددة يسيرة واضحة، ولكنها دقيقه وعميقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الطور: 35).

(فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق، ولا هم الخالقون لأنفسهم، تعين أن لهم خالقا خلقهم سبحانه وتعالى. فمن المعلوم بالضرورة إذن أن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدث وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان) [2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (عبس: 24 – 28)، ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (الطارق: 5 – 8)، وقد برهن الله عز جل على صحة البعث، وإخراج

([1]) سيد، قطب: خصائص التصور الإسلامي، ص 202

([2]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، الرئاسة العامة للبحوث، 1415، ج9، ص223.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموتى وكمال علمه وقدرته بالاستدلال على خروج النبات من الأرض وإحيائها بعد موتها، وهو دليل فطري تكرر ذكره في القرآن الكريم لوضوح مقدماته ونتاجه، وقربه من فهمهم وحواسه[1].

ومن بساطة الطريقة القرآنية أيضا أنها تخاطب العقول بما فطرت عليه من التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، أي لا يستوي الكافر والمؤمن في الحال والمآل، ولا المؤمن والفاسق، وهذا من أوضح الأدلة العقلية التي فطر عليها الإنسان [2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (القلم: 3)، ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (السجدة: 18)، ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحشر: 20).

وهذا هو أصل القياس، وتداول السنن الكونية في حياة الناس، فلا مجال للصدفة والعبث في أفعال الله عز وجل وتشريعاته، فهناك حكمة وعدل في أفعال الله، ونظام محكم منضبط لمسيرة الإنسان في الكون، وهي سنن نفسية واجتماعية واقتصادية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفتح: 23)، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المؤمنون: 115).

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 193/1

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بين أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين 1/ 187، 197؛ محمد جمال عبد الهادي: منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين التوحيد والبعث والنبوة، دار الإيمان، مصر، ط1، 1415، 1994، ص 53، 56.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد دعا الله عز وجل الناس للتفكر في أنفسهم وأطوار خلقهم، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام، وتنقلاتهم من ضعف إلى قوة ثم ضعف وشيبة، وهي أدلة عقلية حسية واضحة وكثير من الآيات القرآنية فيها دعوة للتسلسل في التفكير في هذه الأدلة السهلة الميسرة كمقدمة للاستدلال على القضايا الكبرى كالإيمان والتوحيد واستحقاق العبودية لله وحده، ولا شك أن هذا المنطق الفطري العقلي البسيط في الاستدلال والتفكير، يفتح للإنسان آفاقا واسعة للبحث العلمي في كل اتجاهات الحياة الكونية لتعليل أسباب نشأة الظواهر الاجتماعية والعلمية، وهي دائما وأبدا تنمي عقل الإنسان وتثيره نحو البحث والتجربة، والتتبع للظواهر الكونية والاجتماعية، للكشف عن لوازمها وثباتها في الحياة الإنسانية واستشراف المستقبل في ضوئها[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ (الحج: 5-6)، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ (فصلت: 39).

([1]) انظر: عبد الهادي، محمد جمال: منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين التوحيد والبعث والنبوة، دار الإيمان، مصر، ط1، 1415، 1994، ص 53- 56.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأخيراً، فإن الطريقة القرآنية يستطيع أن يفهمها ويتدبرها الإنسان الأمي البسيط، والمتعلم الدارس، والعالم المختص، على اختلاف مواطن الاستقرار، وسبل العيش، ومقدار التحضر ومستوى التفكير، ومجالات العلم؛ لأنها تخاطب الفطرة الربانية أصل الخلقة، والقلب السليم مقر الإيمان، والعقل الصحيح أداة التفكير السليم، وكلها حقائق يشترك فيها بنو الإنسان، فالله عز وجل لا يأمر إلا بكل طيب نافع فيه خير ورحمة وبركة، وعدل وحكمة وإحسان، ولا ينهى إلا عن كل خبيث ضار، فيه شر وضرر وفساد، وظلم وبغي وعدوان، وهذا أمر متفق عليه بين العقلاء أصحاب الفطرة السليمة، وهو مقصود شرع الله، وخلاصته جلب وتحصيل المصالح الشرعية، ودفع ودرأ المفاسد عن الإنسان في العاجل والآجل[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء: 10)، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ (النحل: 90).

ومن ثم كانت الاستقامة والوضوح والبساطة في الأسلوب والفهم والاستدلال في الطريقة القرآنية (هي السمة التي تجتذب الأفراد الذين يدخلون في هذا الدين من الأوروبيين والأمريكيين المعاصرين، فيتحدثون عنها، بوصفها أول ما طرق حسهم من هذا الدين. وهي ذاتها السمة التي تجتذب البدائيين في أفريقيا وآسيا في القديم والحديث.. لأنها سمة الفطرة التي يشترك فيها الناس أجمعين متحضرين وبدائيين)[2] .

([1]) انظر: السعدي، عبد الرحمن الناصر: الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 2، 1403، 1983، ص30.

([2]) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي، ص 202.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقديما سئل أعرابي كيف عرفت ربك؟: فقال بسلامة فطرته وبساطة تعبيره وفهمه: البَعَرَةُ تَدُلُّ على البعير، والأَثَرُ يَدُلُّ على المَسير، فَسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، أفلا تَدلُّ على العَلّي الخَبير[1]!. وهكذا نجد في القرآن الكريم الآيات الكثيرة التي تعرّف الناس بطبيعة الكون الذي يعيشون فيه، ودلالته على خالقهم، بأسلوب مفهوم للعقل والمنطق، متسق مع الواقع المحسوس ومتوافق مع الفطرة، ويبعث اليقين والاطمئنان في القلب[2].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(1) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 91/2.

(2) انظر: عبد الهادي، جمال: منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين التوحيد والبعث والنبوة، دار الإيمان، مصر، ط1، 1415، 1994، ص 39- 42.

المبحث الثالث

الموضوعية في التحقق من الأفكار والعدل في الحكم عليها

الموضوعية: هي (مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية)[1].

وهي صفة للتفكير العلمي القائم على العلم، والملاحظة، وتراكم المعرفة والدقة والضبط، وصحة الاستدلال، وعدم التحيز، للأهواء والظنون والأوهام في خطوات البحث وتفسير النتائج، وهي:

والمتأمل في القرآن الكريم يجد التصريحات والإشارات الواضحة لخطوات التفكير العلمي ومقوماته الأساسية، من تثبت وتحقق في النقل إلى عدالة وإنصاف وعدم تحيز للأهواء أو الظنون.

المطلب الأول: التثبت في نقل الأخبار وصحة الاستدلال على الأفكار

لا شك أن التثبت هو أول خطوة من خطوات استقبال الأخبار التي تنشأ عنها الأفكار، فإذا صدق النقل وثبتت صحة الفكرة بالاستدلال، تبدأ عمليات عقلية في محاولة فهم الفكرة واستيعابها كالتحليل والتقويم والتطبيق، ومشاورة أهل الرأي، بحسب طبيعة الفكرة وقوتها، ومآل تأثيرها على الأفراد أو الأمة، وحالة الأمة من سلم أو حرب. وهذا يتطلب قيام مؤسسات

([1]) بكار، عبد الكريم: فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط2، 1419- 1998، ص45.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعنى بالتثبت من الأفكار وصدقها وتحليلها، ومعرفة دوافع نشرها ثم إن التثبت والتحقق من نقل الأخبار، وصحة الاستدلال للأفكار هو أول خطوات تنمية التفكير الناقد في عقل الأمة.

وقد حث القرآن الكريم على التثبت في تلقي الأخبار والأقوال، وعدم التسرع والتعجل في نشرها وعلى التأني والتروي في إصدار الأحكام، فالتعبير عن الفكرة دون معلومات أو حقائق حسية أو عقلية فيه مسؤولية أمام الله، فقد نهى الله عز وجل عن قول ما ليس للإنسان به علم، وذم أتباع الكفار لأهوائهم وآبائهم في عقائدهم الباطلة بغير حجة أو سلطان، وتقليدهم على غير بصيرة، ويدخل في القول على الله بغير علم، الكذب والقذف وشهادة الزور بما لم تسمعه الأذن أو تراه العينان أو يعيه القلب[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: 36)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات: 6)، ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء: 83)، ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النجم: 23).

ولما كانت السنة النبوية مبينة مفصلة لكتاب الله عز جل، فقد وصف النبي -ﷺ- عمل من يحدث بكل ما سمع دون تثبت أو تمحيص بالكذب فقال: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل

([1]) انظر: الرازي، محمد بن الحسين: مفاتيح الغيب، 166/20

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ما سمع)[1] ، ونهي -ﷺ- عن إتيان العرافين والكهنة فقال: (من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد)[2] .

وذلك لأجل حماية منهج التفكير في الأمة، القائم على صدق الأقوال وحقائق الوحي التي لا تتعارض مع صريح العقل والواقع، وقد أنزل الله كتابه بالحق، وسمى نفسه الحق، وجعل بيان الحق مقصد القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ (الإسراء: 105).

وقد أقام علماء الأمة منهجا لتلقي الأخبار، وخاصة أهل الحديث، الذين أبدعوا علوما متنوعة متعلقة بضبط الحديث ورجاله، فدرسوا أحوال الرواة، وعرفوا بلدانهم، ومدى قوة ضبطهم وعدالتهم، وتسلسلهم في تلقي الأخبار، بل تعمقوا في نقدهم للحديث النبوي من جهة خلوه من الشذوذ والعلل الخفية رغم أن ظاهره السلامة، وتتبعوا عقائد الرواة حتى لا يضع أهل العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة أحاديث نبوية تنشر أهواءهم وأفكارهم الضالة[3].

ثم تابع بعدهم أهل الأصول، فأبدعوا علوما متعلقة باستنباط الأحكام الشرعية كالقياس والاستصلاح لضبط الأفهام والعقول، وتوسيع مداركها بما يحقق مقاصد القرآن.

---

(1) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، 107/1، وصححه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، 1011/2.

(2) رواه أحمد: المسند، 204/2، 476. وهو حديث صحيح. انظر: الدوسري، جاسم الفهيد: النهج السديد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد، ص149.

(3) انظر: العمري، أكرم ضياء: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1415- 1994؛ الأعظمي، مصطفى: منهج النقد عند المحدثين، شركة الطباعة السعودية، الرياض، ط2، 1402- 1982.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه الجهود كلها تعد تطبيقاً عملياً للتفكير الناقد الذي أمر الله فيه بالتحقق والثبت من الأخبار وهو ليس فقط معني بتلقي الأخبار بل يمتد إلى صحة الاستدلال للأفكار، وذلك بتحليل النصوص، واستعمال القياس الصحيح، وضبط المصالح المرسلة، وتحقيق مقاصد الشريعة في إطار حقائق الوحي والعقل والفطرة.

المطلب الثاني: العدل في قبول الأفكار وتقويمها والحكم عليها

لقد أنزل الله عز وجل كتابه بالحق، ليكون منهاجا متكاملا يقوّم حياة الناس في كل شؤونها، ويتعلمون منه العدل في الحكم على العقائد والأفكار والآراء، وليس فقط الحكم في مسائل النزاع والخصام والدماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحديد: 25).

ولما كان حب النفس أمرا فطريا، فقد جرت العادة أن الإنسان المغالي في حبه لنفسه، يميل في حكمه على الأفكار والآراء مع ما يحبه هواه، كمدرسته الفكرية، ومحيطه الثقافي، فضلا عن محيطه الاجتماعي، فلا يرى العيب والزلل في أفكاره وآرائه، وربما كره من ينتقده، وإن غلبت عليه عاطفته وهواه فإنه يجور ويظلم، بل إن تغيير ما اعتاد عليه من أطر ثقافية وآراء اجتماعية يصبح صعب المنال، والله عز وجل يدعو عباده إلى تحكيم معايير العدالة في الجانب الحسي والمعنوي وذلك بالتجرد من إتباع الأهواء وتقليد العلماء، ومجاراة العواطف عند محاكمة الأفراد والأفكار والآراء حتى لو كان هناك إساءة شخصية من الخصم، فالتطفيف في الحقوق المعنوية يشبه التطفيف في الحقوق المادية [1].

([1]) انظر: بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن، ص82- 83.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ (النساء: 135)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة: 8)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴿١٥٢﴾﴾ (الأنعام: 152).

فهذه الآيات تنادي أهل الإيمان وتحثهم على أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل، وهي صيغة مبالغة من القيام، وشهداء لله أي لوجه الله، والشهادة في المجال الفكري تعني العدل والإنصاف في التقييم والحكم على الأفكار، فلا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم، وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم، وإن أساءوا إليكم، ولا تعاملوا أحداً إلاّ على سبيل العدل والإنصاف وترك الميل والظلم والإجحاف[1].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد على رفض التعميم في إصدار الأحكام، وهذا من باب العدل الرباني مع أفكار الناس وأحوالهم وعقائدهم، وهي آيات تبين أن الناس ليسو كلهم على صفة مطلقة من كفر النعمة، أو عدم الإيمان، أو الجهل والضلال، بل هناك أهل شكر، وإيمان وعلم ولكن الله يصفهم بالقلة، وهذا يربي في عقل المسلم عدم القطع والجزم في إصدار الأحكام على الظواهر الاجتماعية، والمجتمعات البشرية، والمرونة في التعامل مع طبائع الناس وأفكارهم وهذا يعطي العقل أملا في التغيير والإصلاح في الأفكار بزيادة القلة التي تعتبر استثناء في كل مجتمع أو ظاهرة[2].

([1]) انظر: الرازي، محمد بن الحسين: مفاتيح الغيب، 144/11، 105

([2]) انظر: بكار، عبد الكريم: تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، ص110

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(إن على المسلم أن يعتقد اعتقادا جازما أنه ما من ظرف أو حالة أو موضوع إلا يمكن إدخال شيء من الإصلاح عليه بإكثار ما فيه من خير وإيجابية، أو بتقليل ما فيه من شر وسلبيات. إن إدخال مثل هذا الاعتقاد في مركبنا العقلي ضروري جدا لمقاومة سلسلة الإحباطات التي يتعرض لها المسلم في حياته)[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (البقرة: 243)، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الأنعام: 116)، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف: 26)، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (هود: 17).

ونجد في كتاب الله عز جل تقويم طوائف من أهل الكتاب بعدل وإنصاف، رغم ذمهم على وجه العموم، والتحذير من عداوتهم وحسدهم، وعدم تمنيهم الخير لأهل الإيمان، إلا أن هناك آيات أخر تفصل وتقسم حالهم، ودرجات عدائهم تجاه أهل الإيمان، فليسوا في العداوة والأخلاق سواء فبعضهم يلتزم بأداء الأمانة ولا يخون، ومنهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، واليهود أشد عداوة لحرصهم على الدنيا والمال، فهم يبذلون كل رخيص لتحصيلها ولو اضطروا لأذية أهل الإيمان والنصارى ليس عندهم الحرص الشديد على الدنيا كما عند اليهود[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمران: 113)، ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا

([1]) بكار، عبد الكريم: فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط2، 1419- 1998، ص27

([2]) انظر: الرازي، محمد بن الحسين، 413/12، 414

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (آل عمران: 75)، ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (المائدة: 82).

وقد طبق أئمة الدين هذا المنهج في تقييمهم للعقائد والأفكار، فكان العدل والإنصاف منهجهم والتقوى والورع رائدهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ويعلمون – أي أهل السنة –: أن جنس المتكلمين أقرب إلى المعقول والمنقول من جنس الفلاسفة، وإن كان الفلاسفة قد يصيبون أحيانا، كما أن جنس المسلمين خير من جنس الكتابيين، وإن كان يوجد في أهل الكتاب من له عقل وصدق وأمانة لا توجد في كثير من المنتسبين إلى الإسلام..... وهم يعلمون مع هذا، أن كل من كان مؤمنا بنبوة محمد –ﷺ– باطنا وظاهرا، على الوجه الذي يرضاه الله، فهو خير من كل كتابي)[1].

([1]) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: درء تعارض العقل و النقل، تحقيق رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، 1391، 211/9

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

أدوات الطريقة القرآنية ودورها في تحقيق مقاصد تنمية التفكير

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد: تكامل وترابط أدوات الطريقة القرآنية في تحقيق مقاصد تنمية التفكير.

المبحث الأول: الفطرة الإنسانية مدخل تذكر القلب وإثارة التفكير .

المبحث الثاني: الحواس الإنسانية مصدر وحلقة ربط القلب بعالم الشهادة

المبحث الثالث: العقل مركز ضبط وربط العلوم والأفكار في القلب والحواس

المبحث الرابع: دور أدوات الطريقة القرآنية في توجيه حركة الخواطر والأفكار إلى الله

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد:

تكامل وترابط أدوات الطريقة القرآنية في تحقيق مقاصد تنمية التفكير:

لقد تميزت الطريقة القرآنية بالتعامل مع كيان الإنسان كله كما خلقه ربه، وبالرغم من كون التفكير نشاط عقلي إلا أنه ارتبط في القرآن الكريم بالفطرة، والقلب، والحواس، واللغة.

فالتفكير نشاط ذهني معقد، ينمو ويزداد ويتطور مع سعة إدراك الحواس، وسلامة الفطرة، وقوة ما يستقر في القلب من أفكار وعقائد توجه كيان الإنسان وحركته، فهو في تصرفاته يعقل ويميز، ويختار بإرادته الطريق الذي يسلكه عن وعي وإدراك.

(إذ يتعذر على الإنسان أن يتعامل بعقل مجرد عن الحس في أمور حياته على الأرض فالحواس هي منافذ العقل في الإدراك والوعي، وهي أدوات السعي في اكتساب الفهم والخبرة في دلالات الهدي الإلهي من جهة، وحقائق العالم من جهة أخرى)[1].

وبذلك أصبح الإنسان كيانا عضويا ممتزج الخلقة، لا تنفصل فيه الحركة عن الإرادة، ولا التفكير عن الإحساس، ولا الاختيار عن الإدراك، فهو مخلوق يحكم دوافع سلوكه ونوعية استجابته تفاعل معقد، بين ما تستقبله حواسه من مشاهدات وملاحظات، مع ما استقر في قلبه من علوم فطرية ومكتسبة. وهكذا تتكامل أدوات الطريقة القرآنية مع طبيعة الخِلقة الإنسانية في توجيه عقله وقلبه وحواسه نحو مقاصد خَلقه. فالقرآن الكريم هو خطاب الله التربوي لهذه النفس وهو أعلم بطرائق تعليمها وتهذيبها وإثارة فطرتها وتنمية تفكيرها[2].

([1]) ملكاوي، فتحي حسن: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1432-2011، ص239.

([2]) انظر: قطب، محمد: دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، 1394-1974، ص43-44.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أوجد الله في النفس من قبل الاستعداد لتلقي تعاليمه والإحساس بأدلة وجوده، وتلك هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما يحيط بهذه النفس من آيات مرئية، وأحداث كونية، هو في الحقيقة من صنع الله الذي أتقن كل شيء.

(فبصائر الوحي تحدد غايات الحياة، وقدرة العقل الناضجة تبحث في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الغايات، والحواس السليمة المدربة تنقل صور المشاهدات والخبرات اللازمة للعقل، ثم تكون ثمرة ذلك كله الاطمئنان الإيماني أو اليقين)[1].

وكلما ازداد الإنسان بحثا وتأملا في آيات الله على مر العصور، تجلت له حقائق عظمة الله ووحدانيته، التي لا تنتهي آثارها، ولا تنقضي عجائبها، وذلك كله يمثل طريقة قرآنية توجه العقل نحو استيعاب وفهم حجج الله على خلقه، وبراهين ربوبيته في سمواته وأرضه، ويسوق النفس إلى الإيمان بالله، والعودة إلى الفطرة كلما طغت المادية، وغفل القلب، وعز التفكير والتذكير مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت: 53)، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنعام: 67)[2].

فأدوات الطريقة القرآنية مترابطة متداخلة في توجيه العقل وزيادة إدراكه ووعيه، والحفاظ على سلامة القلب والفطرة لمزيد من التذكر والانتفاع بالحواس، وفي المباحث التالية توضيح وكشف عن هذا الترابط، وحقيقة عمل أدوات الطريقة القرآنية بتكامل لتنمية التفكير وتركيزه.

([1]) الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 292

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 391

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

الفطرة الإنسانية مدخل تذكر القلب وإثارة التفكير

تمهيد : تعريف الفطرة

الفطرة: من فطر، وهو ما أبدعه الله وركزه في الناس من معرفته[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: 30).

أي أن القلب مفطور على معرفة الله، والإقرار به، ومحبته، والإنابة إليه، وإجلاله وتعظيمه وهذا هو العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم وهم في أصلاب آبائهم [2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف: 172).

وهي أيضاً معرفة أولية مجملة بالخير والشر والتقوى والفجور والصلاح والفساد[3]، وينشأ عنها قوة غريزية تبعث وتقوي في قلب صاحبها اعتقاد الحق وتصديقه، وبغض الباطل وتكذيبه، ومعرفة النافع ومحبته ومعرفة الضار وكرهه، وإرادة الخير وطلبه، ورفض الشر والنفور منه[4].

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، 382/1.

([2]) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1430-2009، 313/8، 500/3

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص393 ؛ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، محمد بن أبي بكر: تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1407 - 1987، ص 279 ،295.

([4]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، جمع: محمد بن القاسم، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، (د ت)، 31/4-32 ؛ ابن القيم: محمد بن أبي بكر: الجواب الكافي، ص279، 295.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: التكامل بين فطرة الكون وفطرة الإنسان وأثرها في تنمية التفكير

إن فطرة الكون تعني استسلام الكون لله، وقنوته، وتسبيحه، وسجوده، وطاعته وخضوعه لمشيئته وقدرته، وهو يشبه استسلام قلب الإنسان لله في فطرته، ذلك أن الكل مخلوق لله الواحد القهار، والله فاطر السموات والأرض، فكلهم يشتركون في العبودية العامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحج: 18)، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: 83)، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الإسراء: 44)[1].

(وهذه الحقيقة تمثل أحد مقومات التصور الإسلامي عن هذا الكون، والصلة الوثيقة بينه وبين فطرة الإنسان، والتفاهم الداخلي الوثيق بين فطرة الكون وفطرة الإنسان، ودلالة هذا الكون بذاته على خالقه من جهة، وعلى الناموس الذي يصرفه، وما يصاحبه من غاية وحكمة وقصد من جهة أخرى)[2].

وينشأ عن هذا التوحيد الفطري الكوني، هداية فطرية غريزية لكل مخلوق يصلح بها شأنه ويتكيف فيها مع بيئته، ويصل بها ربه، وفي ذلك يقول رب العزة:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: 50)، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل: 68)، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (النور: 41).

([1]) انظر: التوني، فريد إسماعيل: عبودية الكائنات لرب العالمين، مكتبة الضياء، ط1، 1413-1992، ص 23، 42، 55.

([2]) قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412- 1992، 543/1.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهكذا نستطيع أن نؤكد على اشتراك الكائنات كلها في عبودية الله، أي خضوعها لله كل بحسب حاله، وطبيعة خلقته، بل إن الله عز جل ذكر أن هذا الكون يستنكر الشرك الذي يصدر عن الإنسان ولا يقوى على سماعه وتحمله؛ لأنه مخالف لفطرته التي قام عليها[1].

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ (مريم: 88 – 91).

ولا شك أن استسلام الكون لله في فطرته، يعني سيره وفق قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير إلا بإذن الله، وهذا الثبات في قوانين الكون، هو الذي أثار العقل للبحث وتتبع الظواهر المادية للكشف عن القانون الذي يحكمها ويضبطها ويسيرها، وهذه القوانين هي اللغة التي يفهما الكون لينتفع الناس بخيراته ونعمه، وهي التي ينبغي أن يتعامل معها الإنسان بعقله وفكره ونظره وبحثه وسيره، وإن فهم هذه القوانين، هو فهم لعلاقة التسخير التي تربطه بالكون، والتي امتن الله بها على عباده ليشكروه ويعبدوه[2].

وكلما اكتشف الإنسان قانونا من قوانين هذا الكون كلما تجلت عظمة الله في قلبه يقينا واطمئنانا وشكرا، فالوحي كتاب الله المقروء، والكون كتاب الله المفتوح يتكاملان في توجيه عقل الإنسان وقلبه وحواسه نحو مزيد من الإيمان واليقين.

فالدعوة في كتاب الله للتفكر في ملكوت السموات والأرض، هي دعوة للبحث عن قوانين الحركة، وقوانين الطاقة، وقوانين الذرة، وقوانين الإنتاج، وقوانين الفضاء، وقوانين الكهرباء، وقوانين الضوء... واكتشاف التكامل والتناسق بين فطرة الكون وفطرة الإنسان في

---

(1) انظر: فرحات، أحمد: فطرة الله التي فطر الناس عليها دار عمار، ط1، عمان، 1424-2004، ص42-48.

(2) الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 128

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تنمية تفكيره وإرشاده وتوجيهه إلى عبودية الله والخضوع لدينه، كما يخضع هذا الكون لربه في قوانين سيره وانتظامه.

(إن مهمة العقل أن يعقل معاني الوحي وحقائق العالم، وهي مهمة فطرية في أصل الخلق الإلهي، وأن مهمة الحس أن تجعل معاني الوحي وحقائق العالم قريبة، ميسرة للعقل ليعيها ويدركها، وهي كذلك مهمة فطرية في أصل الخلق الإلهي لهذه الحواس، وبهذا يجوز لنا القول: إن المصدرين متكاملان، وإن الأداتين متكاملتان بالفطرة، وإن التكامل بين المصدرين والأداتين من الفطرة كذلك)[1].

المطلب الثاني: تذكر القلب وتبصره مقصد الطريقة القرآنية لإيقاظ الفطرة

إن المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن الحديث عن القلوب قد أخذ مساحة واسعة من آيات الذكر الحكيم، في نحو من مئة وثلاثين آية ما بين الإفراد والتثنية والجمع[2].

ولا شك أن اهتمام القرآن الكريم بالقلب يدل على عظم شأنه، ومكانته في تنمية التفكير، فالطريقة القرآنية تنطلق من تذكير القلوب بأصل فطرتها، وترتكز على سلامة القلوب وحياتها

وقد أنزل الله عز وجل كتبه، وأرسل رسله، لإيقاظ القلوب من غفلتها، وإعادتها إلى فطرتها السوية التي خلقت عليها، وهذا هو مبدأ تزكيتها لقبول رسالة ربها، لذلك كان حقيقة عمل ومقصود طرائق تنمية التفكير هو إثارة ورعاية ما استودعه الله عز وجل في القلوب من

([1]) فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي، ص 239

([2]) انظر: الجوزو، محمد على: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط1، 1980؛ الشرقاوي، محمد: تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1402- 1982، ص43؛ الشنقيطي، سيد محمد ساداتي: القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1414-1993، ص18.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معرفة بالله، وإقرار به لتغذيته، وتقويته، وتمكينه، ليحيى القلب بتزكية ربه وتوحيده وتعليمه، وتنطلق الحواس في تتبع آياته الكونية، ويحلق العقل في تدبر آياته القرآنية[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة: 2)، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الغاشية: 21)، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق: 37)، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (القمر: 17).

فالتذكر والتفكر والتبصر، عملية تشتمل على طرائق خاصة، تثير وتحرك وتبعث شيئا مركوزا في النفوس، وقد بين الله عز وجل حقيقة هذا الشيء، وأنه الفطرة التي خلق عباده عليها فقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: 30)[2].

(فاخبر – سبحانه– أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفا، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب، وتركها ظلم عظيم اتبع أهله أهواءهم بغير علم، ولا بد لهذه الفطرة والخلقة من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها مما فطرت عليه، علما وعملا، ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة)[3].

([1]) انظر، ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص392

([2]) انظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص 590-591.

([3]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، جمع: محمد بن القاسم، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، (د ت)، 10/146-147

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكن بالرغم من ميل الفطرة بصاحبها إلى الحق، إلا أنه قد يعرض للفطرة من الأفكار أو العقائد الباطلة، أو الشبهات والشهوات ما يصدها عن الحق، أو يشغلها عنه جهلاً وظلماً فيفسدها أو يحرفها عن أصلها، وذلك بتـــأثير البيئة المحيطة. فيغفل القلب ولا يتعظ، ولا يبصر، ولا يتذكر، وهو يرى آيات الله العظام أمام عينيه، ويسمع حججه وبيناته بأذنيه. وقد أخبر الله عز جل عن ذلك فقال ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (يوسف: 105)[1].

وفي ذلك يقول -ﷺ-: {ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء}[2].

المطلب الثالث : سلامة القلب أصل الانتفاع بالتذكير والتفكير والإحساس

لا شك أن لسلامة القلب أثر على سداد التفكير واستقامة السلوك، ذلك أن الأصل في الانتفاع بمواعظ القرآن، وهدايته، وطرائق تأثيره هو سلامة محل العلم، وهو القلب وعدم غفلته، أو فساد فطرته، بالطبع والختم والران والعصيان؛ لأنه في الحقيقة تعطيل بالتبع واللزوم للأسماع والأبصار عن الانتفاع، وليس المراد تعطيلا لوظيفتها الإدراكية[3].

([1]) انظر: ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، 418/4

([2]) رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ... رقم (2658)

([3]) قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: (فإن قال قائل: كيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف؟ قيل: فإن قلوب العباد أوعية للعلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي تدرك بها المسموعات وعن طريقها يتوصل إلى معرفة حقائق الأشياء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف ومن قبلها يوصل إلى معرفة الأشياء).

انظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420-2000، 1/ 258.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالأذن هي التي تسمع، والقلب يتدبر ما يسمع، والعين هي التي تبصر والقلب يتأمل ما يرى، فأصل الانتفاع بالسمع والبصيرة في الحق هو القلب، من حيث سلامته، وصحته، وإقباله وليس إدراك الأصوات أو رؤية الآيات العظام.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: 46)، ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ (الملك: 10).

فإذا لم يتأمل القلب فإن صاحبه يكون صحيح البصر، ولكن أعمى البصيرة، سليم السمع، ولكن قلبه أصم عن الانتفاع.

(فإن القلب إذا فسد فسد السمع والبصر، بل أصل فسادهما من فساده، وإذا فسد السمع والبصر فسد القلب، فإذا أعرض عن سمع الحق وأبغض قائله بحيث لا يحب رؤيته، امتنع وصول الهدى إلى القلب ففسد، وإذا فسد السمع والعقل تبعهما فساد البصر، فكل مدرك من هذه يصح بصحة الآخر ويفسد بفساده)[1].

وهذا هو تفسير كثير من الآيات التي ينفي الله فيها عن قلوب الكفار وآذانهم وأعينهم العقل والسمع والبصر، فهذه هي مدارك العلم وأسباب حصوله، فهم لا يسمعون ولا يعقلون ولا يفقهون ولا يبصرون ولا يشعرون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجاثية: 23)، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق: 37).

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص106

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أي تذكرة وموعظة { لمن كان له قلب } أي عقل يتدبر به، فكنى بالقلب عن العقل لأنه موضعه، ثم يستمع وهو حاضر القلب[1].

(فإذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك ... فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر)[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ (الملك: 10)، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق: 37)، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (يس: 69 – 70).

لذلك جاءت أوامر القرآن الكريم ونواهيه محذرة من كل ما يفسد فطرة القلب، أو يمرضه فيعرقل فهمه وانتفاعه بهداية القرآن وطرائقه، كالأفكار الضالة، والشبهات الباطلة، وشهوات النفس ووساوس الشيطان، وقرناء السوء، ثم فصلت نصوص السنة النبوية أنواع هذه الأفكار والشبهات والشهوات، مذكرة بفضائل الطاعات، مرغبة بكل ما من شأنه أن يحي القلب، ويوقظ فطرته ويجعله على اتصال دائم بمولاه من عبادات يومية، وأذكار صباحية ومسائية، حتى لا يقع هذا القلب أسيرا لهواه وليبق محلا صالحا لاستقبال العلم، والانتفاع به تذكرا وتبصرا، عابدا لله مذعنا لأوامره، متدبرا لكتابه، متفكرا في آياته ومفعولاته [3].

([1]) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: دار عالم الكتب، الرياض، 1423-2003، 23/17.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد دار النفائس، بيروت، تحقيق: عبد القادر عرموش، ط7، 1406-1986، ص9-10.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تحقيق: محمد حامد فقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، 1/ 23.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كانت السنة النبوية شارحة لكتاب الله، موضحة لمعانيه مبينة لمجمله، جاءت نصوصها صريحة أيضاً في تبوئ القلب مركز توجيه السلوك، باعتباره محل العلم وموطن المعرفة والإيمان حيث يقول -ﷺ-: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[1].

والمقصود أن القلب هو مركز توجيه سلوك الإنسان باعتباره مقر العلم والإيمان، فإذا استقام القلب لله استقام الإنسان، وإذا استقام الإنسان، انعكست استقامته على نتاج الحضارة الإنسانية عدلا ورحمة وطمأنينة، لذلك كان تقسيم القرآن الكريم للناس وحضاراتهم عبر التاريخ تبعا لاستقامة أحوال قلوبهم واستجابتها للحق، بحكم طبيعة العقائد والأفكار التي تحركها، حيث اشتملت الآيات القرآنية على ذكر أنواع قلوبهم وصفاتها وأعمالها.

وقد جاءت طرائق تنمية التفكير في القرآن الكريم لتعمل على إحاطة القلب ومنافذه الحسية والعقلية وعملياته الذهنية بآيات الله الكونية، وسننه الاجتماعية، وحكمته التشريعية، لتزكية القلوب وتذكيرها بفاطرها، وتربية العقول وتوجهها نحو تتبع سنن الله الكونية، لكي تستسلم القلوب والنفوس لدين الله فهما وقناعة بموافقته لما استقر في الفطر والعقول من رحمة الله وحكمته وعلمه وقدرته واستحسان الحسن واستقباح القبيح [2].

([1]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم (2569)، 1987/4.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص394

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

الحواس الإنسانية مصدر إدراك القلب وتعقله وحلقة ربطه بعالم الشهادة

المطلب الأول : الحواس الإنسانية آلة استقبال العلوم وبوابة وعي القلوب

لا شك أن وظيفة الحواس هي إيصال العلم النافع إلى القلب، كي يعقل الحق ويزداد يقينه وتحيى فطرته، ويقوى نوره، فتشع منه الهداية والنور للعالمين، فالحواس آلة استقبال العلوم، وبوابة وعي القلوب، وحلقة ربطها بعالم الشهادة، وكثيرا ما يجمع الله عز وجل في كتابه بين الحواس والقلب في سياق واحد، بل استعار للقلب ما يخص الحواس، فوصفه بالصمم والعمى والبكم قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأحقاف: 26)، ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة: 171)، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الأنعام: 110)، ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم: 11)[1] .

ولا شك أن الحواس الإنسانية في استقبال العلوم بعضها أكمل من بعض، وقد تحدث العلماء المتقدمون عن المفاضلة بين السمع والبصر في الإدراك، وذكروا أن المدرك بحاسة

---

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص391

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السمع أعم وأشمل، والمدرك بحاسة البصر أتم وأكمل، وهذا يعد سبقا في فهم التفاضل بين الحواس في العملية التعليمية[1].

وقد نوع الله عز وجل في الآيات الدالة على عظمته وقدرته، ووجوب توحيده والاستسلام لدينه ما بين سمعية وبصرية وعقلية، بحيث تتناسب مع مختلف مدارك الناس، وطاقة معرفتهم وما بينهم من فروق فردية.قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (الكهف: 54).

المطلب الثاني : تكامل وسائل المعرفة الحسية والغيبية وأثرها في تنمية التفكير

إن المتدبر في آيات الذكر الحكيم يجد أن الله عز وجل قد ربط حاستي السمع والبصر بالأفئدة في خمس آيات، وهذا فيه إشارة إلى أهمية تكامل وسائل المعرفة الحسية والغيبية في تنمية التفكير وتحصيل العلوم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (النحل: 78)، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: 36).

إن تذكير الله عز وجل وتنبيهه على الحواس ووظيفتها له معان تعليمية عميقة متصلة بالبحث والملاحظة والتجربة، إنها دعوة لأمة القرآن لتحمل مسؤولية قيادة الحضارة الإنسانية،

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ص108-109، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1408-1998، 2/425-426 وقد وردت لفظة السمع في القرآن (142) والبصر (112)، وانظر العلاقة الإحصائية في تكرار ألفاظ السمع والبصر مجتمعين ومتفرقين: مدلول، محمد طالب: الحواس الإنسانية في القرآن الكريم ص 240 –289،37،27، رسالة ماجستير، جامعة صدام 1999؛ فهد، ابتسام محمد: الفكر التربوي الإسلامي لبعض الفلاسفة العرب المسلين بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 1995، ص121-122.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك أن المعرفة الإنسانية بحاجة ماسة للأمة التي تبصر الحقائق الكونية بنور الله، وتستجيب لنداء الفطرة، وتندفع نحو تطوير أدوات الملاحظة والاكتشاف كما اندفع علماء الإسلام في القديم وتعاملوا مع الكون (كتاب الله المفتوح) في ضوء هداية الخالق المبدع.

إن السير في الأرض ملاحظة وبحثا لتأمل عجائب خلق الله، واكتشاف قوانين الله وسننه هو مسؤولية الأمة تجاه رسالة الخالق، وهذه المسؤولية هي محل الحساب والسؤال.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: 36).

(إن هذه الكلمات لم يتنزل بها الوحي في كتاب الله لتعني فقط مجرد القدرة على الرؤية والسمع والتفكير، ذلك بأن السمع معناه هنا: إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون، والبصر معناه: تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث. الفؤاد معناه: تنقيتها من أدرانها وشوائبها ثم استخلاص النتائج منها. وكل هذه (القوى) الثلاث إذا ما تضافرت بعضها على بعض، نجمت عنها المعرفة التي منّ الله سبحانه بها على بني آدم،هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات ويسخرها لإرادته وسلطانه)[1].

والمقصود أن الحواس الإنسانية هي منفذ القرآن لاستثارة قلب الإنسان نحو التفكر والتذكر والتبصر والتدبر، وهي مدخل تتبع جزئيات الآيات الكونية، فإذا أدرك الحس الجزئيات، أدرك العقل فيها قدراً مشتركاً كلياً هو القاعدة الكلية التي تنظمها، لذلك توعد الله الغافلين المعطلين لحواسهم عن آيات الله المسموعة والمرئية، المعرضين عن طرائق التفكير القرآنية بالختم والطبع على قلوبهم، والوقر على آذانهم، والحجاب على أبصارهم، ثم النار وبئس المصير[2].

([1]) المودودي، أبو الأعلى: منهج جديد في التربية والتعليم، دار النداء، (د. م)، ط1، 1393، ص13.

([2]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 238/9

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك أن الذي يعطل إحساسه بالموجودات هو في الحقيقة معطل لغاية خلقه، فأشبه الأنعام التي لا تعقل المحسوسات كي تتعظ وتتعلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (الكهف: 54).

(والله أعطى العبد السمع ليسمع به أوامر ربه ونواهيه وعهوده، والقلب ليعقلها ويفقهها والبصر ليرى آياته، فيستدل بها على وحدانيته وربوبيته، فالمقصود بإعطائه هذه الآلات العلم وثمرته ومقتضاه) [1].

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر مفتاح: مفتاح دار السعادة، ص150

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

العقل مركز ضبط وربط العلوم والأفكار في القلب والحواس

المطلب الأول: معنى العقل وموقعه

اختلف العلماء قديما وحديثا في ماهيته العقل ومكانه، وأما حقيقته اللغوية: فهي الضبط والربط والإمساك، ومنه عقل البعير والدابة [1]. وأما ماهيته: فقيل: (هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل) [2] ، وقيل: (هو العلم بالمُدركات الضرورية الواقعة من قِبل الحواس كالمرئيات والمسموعات... أو المبتدئة في النفس كالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود وعدم، أو الموجود لا يخلو من حدوث وقدم، وأن من المحال اجتماع الضدين، وأن الواحد أقل من الاثنين).[3]

والعقل باعتبار النمو ينقسم لقسمين: عقل غريزي ثابت وعقل مكتسب ينمو بالاستعمال وينقص بالإهمال، وهو نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة، وليس له حد[4]، وقيل: (هو تلك القوة والغريزة التي تمكن الإنسان من إدراك المعاني والحقائق). [5]

وعقل الإنسان يسمى عقلا لأنه يعقله عن إتباع الغي والهلاك فعقل الشيء أخص من علمه ومعرفته؛ لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب.[6]

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412، 578/1.

([2]) انظر: المرجع السابق، 578/1

([3]) الماوردي، على بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، تحقيق محمد أبو بكر، دار الريان، القاهرة، ط1، 1408-1988، ص24-25 (بتصرف يسير).

([4]) انظر: المرجع السابق، ص25.

([5]) ياسين، محمد نعيم: مباحث في العقل، دار النفائس، عمان، ط 1، 1432-2011، ص 130.

([6]) انظر: الماوردي، على بن محمد: أدب الدنيا والدين، ص25.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والحديث عن ماهيته حديث لا ثمرة من ورائه، ذلك أن القرآن جاء حديثه عنه حديثا عمليا مقاصديا وليس فلسفيا صامتا، أي أنه جاء بلفظ الفعل نفسه، يعقلون، عقلوه.

ومن المفردات التي وردت في القرآن بمعنى العقل: القلب، الفؤاد، النُّهى، الأحلام، واللب ولا شك أن كل لفظ من هذه الألفاظ له ارتباط بالمعنى اللغوي، وله دلالته التربوية الأخلاقية في السياق الذي ورد به (فالعقل في الإسلام عقل يُنتهي إليه في إدراك الخير والشر الذي ورد في الشرع، ثم إن هذا العقل يحول الإدراك إلى عمل، فالحلم يُعبر عن العقول المتأنية المتبصرة التي تضبط سلوك النفس، وتوجهها نحو الوسطية التي أمر الله بها، والعقل فؤاد متوقد بالنور والمعرفة، واللب هو زبدة العقل وذروته، المنور بنور القدس البعيد عن قشور الأوهام)[1].

أما موقع العقل ومكانه فقيل في الدماغ، وقيل في القلب، وقيل مبدأه في القلب، وثمرته وفروعه في الدماغ [2]، وقيل: مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب[3]، والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب[4].

([1]) عبد الله عبد الرحمن الخطيب: وسائل المعرفة الإنسانية العقل والسمع والبصر وهدي القرآن في توجيهها 17/ ع8/ 2002 ص 28

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 200-201.

([3]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: رسالة في العقل والروح، دار الهجرة، بيروت، (د ت)، (د ن)، ص 9 ،32، 53-54.

([4]) انظر مزيدا من أقوال العلماء والخلاف في معنى العقل ومحله: القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384 – 1964، 189/1؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: كتاب الأذكياء: المكتب التجاري للطباعة، بيروت، (د ت)، ص10-11، الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار عالم الكتب، بيروت، (د ن – د ت)، 75/1-76

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واحتج من قال أن العقل في القلب بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: 46)، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق: 37). [1]

المطلب الثاني: العلاقة بين العقل والقلب والحواس وأثرها في تنمية التفكير

لقد جاء حديث القرآن الكريم عن العقل حديثا عمليا هادفا، فلم يرد لفظ العقل اسما جامدا مجردا ولم يأت الكلام عنه فلسفيا صامتا من حيث حقيقته ومعناه، بل جاء بسياق خاص يصلح أن يكون منهجا تربويا في تنمية التفكير، وتعليم العقل طرائق التفكير والتحليل والتقويم[2].

فالآيات القرآنية تتحدث عن عمليات عقلية قلبية حسية متداخلة، فالقلب يعقل ويفكر وينظر ويتأمل، ويتدبر ويتذكر، ويبصر ويسمع، وتنبعث منه قوة معنوية إلى الحواس تمدها وتقوي إحساسها، فهو قلب حي يشعر بما حوله من خلال الحواس[3].

(فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب، فالقلب يعقل الأشياء بنفسه، إذا كان العلم هو غذاؤه وخاصيته، وإنما سائر الأعضاء حجبة له توصل من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه، فالأذن مثلا تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب، فهي بنفسها إنما تحمل القول والكلام، فإذا وصل إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم، حتى إن من هذه الأعضاء فإنه يفقد

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، 2/140-144.
الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، ص25

([2]) انظر: الشرقاوي، محمد: تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1402-1982، ص15.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 200-201.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه، **فمدار الأمر في تحصيل الإدراك الكامل والعلوم على القلب)**[1] .

لذلك كان من هدي النبي -ﷺ- ذكر الله على جميع أحواله ليبقى قلبه حيا يقظا موفقا إلى هداية الخالق وتفهيمه.

ولما كان للعقل علاقة بالقلب والحواس، صار المراد بالضبط والإمساك، هو ضبط ما وصل إلى القلب وإمساكه، ليحصل التفكر والتدبر، أي أن العلم الذي تنقله الحواس إلى القلوب لا يستقر فيها دون تأمل وإدراك، لذلك خص الله عز وجل القلوب بجهاز إدراك لاستقبال وضبط خير العلوم من شرهها، وتمييز حسن التصرفات من قبحها، والقدرة على التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، ومعرفة جواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وذلك عبر عمليات عقلية قلبية حسية متداخلة اصطلح على تسميتها بالعقل، وهو ما يميز الإنسان عن الحيوان[2].

([1]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 295/3

([2]) انظر: المرجع السابق، 70/9،19، 223

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع

دور أدوات الطريقة القرآنية في توجيه حركة القلب وإرادته إلى الله

المطلب الأول: القلب ميدان لحركة دائبة للخواطر والأفكار والإرادات

لا شك أن القلب ميدان لحركة دائبة من الخواطر والأفكار والتصورات والهمم والعزائم الموجبة للإرادات والأفعال، وهي حركة لا تتوقف ولا تنقطع بحكم ما ركب في النفس من الهوى والشهوة، وما فطر عليه القلب من عقل وإيمان وإرادة[1].

والنفس بطبيعة فطرتها تسعي لجلب ما يصلحها ودفع ما يضرها حفاظا على بقائها فيحصل التدافع الدائم بين بواعث الهوى والشهوة في النفس، وبواعث العقل والإيمان في القلب مما يوجب حركة القلب الدائبة المستمرة بالأفكار والخواطر والعزائم والإرادات المتجهة لتحقيق مقاصد النفس على الدوام[2].

وقد شبه أهل العلم استمرار الحركة الفكرية الدائبة في النفس الإنسانية بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا تستقر لعدم إمكان قطع الخواطر، فهي تمد حركة الأفكار في القلب بعوامل نموها واستمرار عملها، والله عز وجل هو قيم هذه الرحى ومالكها والمتصرف بها، وقد أقام

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص 218.

الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، 27/3

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 91/1-92، الجواب الكافي، ص292-299.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لها ملكا يلم بها تارة، فيلقي فيها خواطر من التصديق بالحق والوعد بالخير، وشيطانا يلم بها تارة أخرى، فيلقي فيها وساوس من الوعد بالشر والتكذيب بالحق[1].

وقد روي عن رسول الله -ﷺ- في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة: 268)) [2].

وبذلك تستمر حركة الخواطر والأفكار في النفس الإنسانية دون توقف أو انقطاع: إما في مصالح آخرته، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإما في الوساوس والأماني الباطلة. وعلى قدر قوة الإيمان والعقل تقبل النفس أحسنها وترضى به، وتدفع أقبحها وتنفر منه [3].

فمن الناس من يكون سلطان شهوته أقوى من سلطان عقله وإيمانه، فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أقوى من سلطان شهوته فتصبح النفس محل اختبار وابتلاء في حواسها وقواها العقلية، وذلك باختيار أحسن الأفكار وتنميتها[4].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص 226.

(2) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (3) ومن سورة البقرة، رقم 2988، 204/5 . وقال: هذا حديث حسن غريب. وقد روي موقوفاً على ابن مسعود كما عند الطبري في تفسيره، 88/3، وإسناده صحيح، وقد أعلّ بالوقف، إلا أن له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يعلم بالرأي ولا يدخله القياس. انظر: الأرناؤوط، شعيب: حاشية صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، 278/3-279 .

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص 226-229.

([4]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص33.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا شك أن تدبر كتاب الله، والنظر في عظم آياته السماوية والأرضية، والفكر في دقة خلقه وإبداع صنعه، والتعوذ الدائم من وساوس الشيطان، وهوى النفس وبواعث الشر فيها هو السبيل الصحيح لتزكية القلوب، والحفاظ على قوة الإيمان فيها، فتستقيم حركة الخواطر والأفكار في توجيه القلوب إلى فاطرها

المطلب الثاني: العمليات العقلية والحواس وسيلة جلب العلم النافع للقلب

لا شك أن العلم الذي يصل إلى القلب بفعل الحواس والعمليات العقلية، يتفاوت في درجة استقراره وثباته ويقينه، إذ لا تزال العلوم تتزاحم وتتوارد على القلب إحساسا وإيمانا وتعقلا، حتى ترتفع درجة إدراكه من الشك إلى الظن، ثم اليقين بمراتبه: حق اليقين، عين اليقين، لذلك دعا الله عز وجل الإنسان إلى إعمال قلبه وعقله وحواسه وبدنه، تفكرا وتدبرا وتذكرا في آيات الله الكونية والنفسية، ثم السير في الأرض بقلبه وبدنه سمعها وبصرا ونظرا واعتبارا، وهذا هو حقيقة عمل أدوات الطرائق القرآنية في تنمية التفكير وتعديل السلوك.

فهي وسيلة إيصال العلم النافع وترسيخه في القلب، لزيادة يقينه بوحدانية الله وربوبيته وكمال أسمائه وصفاته، فتتوجه خواطر القلب وأفكاره وعزائمه وكل حركته نحو مرضاة ربه خالقه ورازقه، وينطلق العقل بعد ذلك في تتبع آثار أسمائه وصفاته في الكون والخلق والأمر فتتسع مداركه، وينمو تفكيره، وتتحدد وجهته؛ لأنه ينظر للأشياء من حوله بمنظار خالقها. وكلما تدبر وتفكر في حكمة الله في أمره ونهيه ازداد العبد نورا وبصيرة واستقامة.

(فالخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكر، فإنه لا بد من تفكر وعلم يكون نتيجته الفكر وحال يحدث للقلب من ذلك العلم، فإن كل من عمل شيئا من المحبوب أو المكروه لا بد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن يبقى لقلبه حالة، وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال توجب لـــه إرادة، وتلـــك الإرادة توجب وقوع العمل)[1].

وقد أثبت علماء النفس أثر الأفكار في توجيه السلوك، وتوصلوا إلى أن النشاط الفكري الباطني للإنسان، هو الذي يوجه سلوكه وتصرفاته الخارجية سواء أكانت سوية أم منحرفـــة، أي أن كل عمل يبدأ بنشاط معرفي داخلي، كخاطرة، أو تخيل، أو إدراك حسي، أو انفعال، بل أصبحوا يعالجون كثيرا من الأمراض السلوكية بتغيير الأفكار في العقل والـــنفس أولا وهـــذه الاستنتاجات التي توصلوا إليها بعد سنين من البحث والدراسة والتتبع، تؤكد صحة الطريقـــة القرآنية في تغيير السلوك، وأن التغيير يبدأ من النفس وما يتحرك فيها من عقائد وأفكار وهمم وعزائم.وصدق الله العظيم إذ يقـــول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾ (الرعد 11).[2]

(فعلم النفس المعرفي يؤكد على أن ما يفكر فيه الإنسان ويشعر بـــه، وينفعـــل لـــه، ويدركه على المستوى الشعوري، هو الذي يشكل تصوراته للحياة، ويصوغ عقائـــده وقيمـــه، ويوجه تصرفاته الخارجية السوية منها والشاذة، وتوصلوا أيضاً إلى أن النشاط المعرفـــي إذا ازدادت قوته أصبح دافعا للسلوك)[3] .

وقد أخبر رسول الله -ﷺ- عن فضل النية في الأعمال كلها، وأنها تصل بـــصاحبها إلى درجة العامل نفسه، حتى لو كانت الأعمال اعتيادية، بل إن الهمم التي تتحرك في القلوب

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 255

([2]) انظر: بدري، مالك: التفكر من المشاهدة إلى الشهود (دراسة نفسية إسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط 2، 1413-1992، ص31-32.

([3]) المرجع السابق، ص31-32.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

– وهي نتيجة للأفكار – يؤجر عليها الإنسان حتى لو لم يعملهـا، إذا سـبقتها نيـة صـادقة مخلصة. وهذا تذكير وحث للإنسان على بقاء الأفكار الطيبة في قلبه على الدوام، لأنها تولـد همم لأعمال نافعة، وأن يجاهد الإنسان الأفكار السيئة التي ترد على قلبه، بذكر الله والتدبر في آياته وسننه الكونية. وهو مأجور على هذا العمل القلبي الباطني.

ويوضح ذلك ما يقوله –ﷺ– فيما يرويه عن ربه: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبهـا الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة)[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

([1]) رواه مسلم: صحيح مسلم (شرح النووي)، كتاب الإيمان، باب إذا هَمَّ بحسنة كتبت، رقم 336، 332/2.

الفصل الخامس

الطريقة الإلقائية والاستقرائية والقياسية وأثرها في تنمية التفكير

المبحث الأول: الطريقة الإلقائية مفهومها وأهميتها وخصائصها وأبرز أساليبها.

المبحث الثاني: الطريقة الاستقرائية مفهومها وأهميتها وأبرز أساليبها وأثرها في تنمية التفكير.

المبحث الثالث: الطريقة القياسية مفهومها وأهميتها وأبرز أساليبها وأثرها في تنمية التفكير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

الطريقة الإلقائية مفهومها وأهميتها وخصائصها وأبرز أساليبها

تمهيد:

تعريف الطريقة في اللغة والاصطلاح:

1- الطريقة لغة: السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، وقيل: المسلك الذي يسلكه كل إنسان[1].

وأما مفهوم الطريقة في المجال التربوي:

فقد اختلفت الألفاظ في تعريف الطريقة في المجال التربوي، ما بين جملة من الأنشطة، أو الإجراءات، أو الأساليب، أو منهج أو نظام، بسبب اختلاف الموقف الذي يستخدم فيه هذا المصطلح، والمهمة التي يقصد بها. فالمعنى يقترن عادة بخبرة الشخص الذي يستخدمه، وقد تتفاوت مواقف وخبرات الأفراد، وينعكس ذلك على التعريف[2].

ومن الباحثين من فرق بين الطريقة والأسلوب، ضمن بنية مفاهيمية أكثر تخصصا في المصطلحات التربوية، فجعل المنظور التربوي (الفلسفة التربوية) الحاكم الموجه لكل مجالات العمل التربوي، وينبثق عن المنظور الطريقة، ثم تتبعها الأساليب، وتخدمها التقنيات الخاصة[3].

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: مفردات غريب القرآن، 303/1؛ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي: دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1401-1981، 2665/4.

([2]) انظر: داود ماهر محمد، مجيد مهدي محمد: أساسيات في طرائق التدريس العامة، دار الحكمة، الموصل، 1991، ص 39.

([3]) انظر: قنبر، محمود: دراسات تراثية في التربية الإسلامية دار الثقافة، الدوحة، 1985، 165/1؛ صالح هندي: طرائق تدريس التربية الإسلامية، دار الفكر، عمان، ط1، 1430-2009، ص 261-267.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: مفهوم الطريقة الإلقائية وأهميتها في القرآن الكريم

1-مفهوم الطريقة الإلقائية في الاصطلاح التربوي:

الطريقة الإلقائية هي: (طريقة يتولّى فيها المعلّم عرض موضوع معيّن، وتقديم المعلومات بأسلوب شفهي يلائم مستويات المتعلّمين من أجل تحقيق أهداف الدرس)[1].

وتعد الطريقة الإلقائية من أقدم طرق التدريس وأكثرها استعمالاً وشيوعاً، ويبرز فيها دور المعلم كمصدر للمعلومة، ويتم فيها تلقين المتعلمين الحقائق والمعارف والمعلومات دون تحليل أو حوار، وتعتمد على جهد المعلم في جمع المعلومات، وتحضيرها وحفظها وإلقائها[2].

ولكل طريقة تعليمية عيوبها ومزاياها، ويكاد يجمع التربويون على أنه لا توجد طريقة واحدة تصلح للتدريس لكل المستويات العمرية ولطبيعة المواد. فاختيار الطريقة يعتمد على الهدف المراد تحقيقه، وطبيعة المادة، والمستوى العمري. وعوامل نجاح أي طريقة يعتمد على الاستعداد والتحضير. والإمكانات المادية، وخبرة المعلم، والبيئة الصفية، والخلاصة أن الطريقة الجيدة هي التي توجد تفاعلا بين المعلم والمتعلم، وتثير حماسه، وتدفعه وتنشطه نحو التعلم[3].

([1]) أحمد، محمد عبد القادر: طرق التدريس العامة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 8، 1419- 1999، ص83.

([2]) انظر: ناصر الخوالدة، ويحيى إسماعيل عيد: طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، دار حنين، عمان، ط 1، 1422 -2001، ص279.

([3]) انظر: جان، محمد صالح: المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، دار الطرفين، الطائف، ط1، 1419-1998، ص428.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2-مفهوم الطريقة الإلقائية في المجال القرآني:

ويمكن تعريف الطريقة الإلقائية في المجال القرآني بالقول: (هي مجموعة الخصائص والأساليب المباشرة التي استعملها القرآن الكريم في إثارة انتباه المتلقي وتركيز عقله وجذب قلبه وتنمية تفكيره).

ولما كان القرآن الكريم هو كلام الله عز جل العليم الخبير، فإن الطريقة الإلقائية في القرآن الكريم ليست كالطريقة البشرية حتى يقال فيها بأن لها مميزات وعليها عيوب، فالقرآن الكريم كلام الحق، وفي عرضه للحقائق الكونية والنفسية والهدايات الربانية والأحكام الشرعية لا يقارن بالأساليب البشرية والتصورات القاصرة، فهو كتاب معجز في لغته ونظمه وهدايته وموضوعاته.

3- أهمية الطريقة الإلقائية في تنمية التفكير:

لا شك أن الطريقة الإلقائية هي طريقة رب العالمين في عرض هدايته على الخلق أجمعين أسلوباً ولفظاً ونظماً، وقد مدح الله صفة تنزيل القرآن الكريم، وتلقيه، وتفصيله، وحفظه، ليحث العقل ويدفعه إلى التفكر في دلالة هذه الصفات على حكمة الله في التشريع، وحكمته في الإلقاء والتوجيه، قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾(النمل: 6)،﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: 42)﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (هود: 1)، ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾ (يس:5)، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (غافر: 2)، فالحكيم لا يصدر عنه إلا الحكمة، ولا يكون كلامه إلا محكما متقنا لا يشوبه الباطل[1]، فهو حكيم في أمره ونهيه وقدره وشرعه،

([1]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، 309/24.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعليم بالأمور كلها صغيرها وجليلها [1] ، وبوجوه تقديم المصالح والمفاسد، وهو أيضاً حميد أي محمود لدلالته على الخير وخبير بكيفيات الأمور[2].

وإذا استشعر القارئ عند تلاوته وتلقيه وسماعه لكلام الله أنه يتلو ويستمع كلام رب السموات الأرض، وخالق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، وأن الجبال الشامخة تتصدع خشية من كلام الله، فسيكون لعقله وقلبه شأن آخر مع كل أمر وتفكير ونظر وتوجيه[3].

(تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه، ومردها إليه، مستوياً على سرير ملكه لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالما بما في نفوس عبيده، مطلعا على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي ويقدر ويقضي ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، صاعدة إليه لا تتحرك في ذرة إلا بإذنه ولا تسقط من ورقة إلا بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه، وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم... ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه..) [4].

المطلب الثاني: خصائص الطريقة الإلقائية في تنمية التفكير

1- الإلقاء بلغة يفهمها ويستوعبها المتلقي:

([1]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، 178/6.

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 62/19.

([3]) انظر: الدوسري، إبراهيم: إبراز المعاني في الأداء القرآني، دار الحضارة، الرياض، ط1، 1428-2007، ص33.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، ص43.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد بين الله عز وجل في كتاب أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، ليفقهوا عنه ويعقلوا دقائق ما أنزل إليهم، وليفهموا مراد ربهم، وليتفاعل الناس بقلوبهم وعقولهم وحواسهم مع معاني ومقاصد وأسرار الشرائع [1] ، ولا شك أن الإلقاء باللغة التي يفهمها القوم أدعى لإثارة تفكيرهم، والتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ثم إقامة الحجة عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾ (إبراهيم: 4).

وقد كان من كمال علم الله وحكمته، إنزال القرآن العظيم خاتم الكتب السماوية بلسان عربي مبين، وقد دعا الله عز وجل لتدبر هذه الظاهرة، ودلالتها القاهرة، في مطلع أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، فاللغة العربية هي أشرف اللغات، وأعلاها فصاحة، وأحسنها أداء للمعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة، مما يعني السهولة في فهم ألفاظها، وتعقل معانيها، وقوة تأثيرها في النفس[2] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف: 3) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه: 113).

وقد علل أهل التفسير ذلك بكون لغة العرب: (أوسع اللغات لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار، فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز والكناية، وما في سعة اللغة من الترادف، وأسماء المعاني المقيدة،

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 413/17، 483/27.

([2]) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، 365/4-366؛ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 313/24، 161/25.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما فيها من المحسنات ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة، فقدر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة كتابه الذي خاطب به كافة الناس) [1].

وقد استطاع الباحثون في علم النفس المعرفي في العصر الحديث التعرف على صلة النشاط الفكري الداخلي للإنسان بخصائص اللغة، واتضح لديهم أن اللغة ليست وسيلة للتخاطب والاتصال فحسب، بل هي في الحقيقة النظام الأساسي الذي يستخدمه الإنسان في التفكير، فمن دون الكلمات لا يستطيع الإنسان نقل المعاني المحسوسة والمجردة، ولا تكوين المفاهيم، ولا الاستفادة من قدرته على التخيل والتذكر والإدراك الحسي، واعتبروا أن خصائص اللغة وتركيبها هي التي تحدد لجماعة معينة وسائل تفكيرها وتصورها لحقائق العالم الذي تعيش فيه[2].

فاللغة هي أداة العقل في التفكير، فنحن نفكر من خلال الكلمات والجمل التي نستخدمها، فهي تؤثر في نوعية تفكيرنا، ونستطيع أن نحكم على أدب الشخص ومروءته ومستوى تفكيره من حديثه وقدرته على انتقاء مفرداته وكلماته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: 159) [3].

والخلاصة أن اللغة ليست مجموعة ألفاظ وكلمات جامدة بل هي مجموعة أفكار وأحاسيس ومشاعر يعبر عنه بهذه الكلمات والألفاظ، فهي تعكس صورة نفسية للمتكلم قبل أن

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، 190/19.

([2]) انظر: بدري، مالك: التفكر من المشاهدة إلى الشهود (دراسة نفسية تربوية)، ص26-27.

([3]) انظر: بكار، عبد الكريم: البناء في القرآن، ص 158.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تكون صورة صوتية، وهي بمثابة الجسر الذي ينقل إلينا كل ما في العقل والقلب من خواطر ومشاعر وأفكار [1].

وينبغي أن نعلم بأن اللغة وسيلة للتعبير والتفكير وليست غاية، وبالتالي فإن مناهج التفكير التي يطورها الأداء اللغوي القرآني لها مقاصد ربانية لا تلتقي مع مناهج التفكير الخالية من المقاصد والغايات النبيلة (فالقرآن يوجه إلى أن يكون الأداء اللغوي هو ميدان الاجتماع المتمركز حول النفس الإنسانية قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (النساء: 63)، والقول البليغ هو القول الذي يبلغ كلا من النفس الإنسانية وأعماق الواقع الاجتماعي، فيرسخ فهم الواقع، ويحيط بدقائقه وعلاقاته بالوجود المحيط به، وينسجم مع سننه وقوانينه، ثم يرسخ في عرض هذا الفهم أمام كل القدرات العقلية والإرادات العازمة النبيلة ويحركها لإنجاب العمل الصالح المصلح) [2].

2-جاذبية وشاعرية لغة القرآن الكريم في تنمية التفكير:

لا شك أن اختيار الله عز وجل لهذه اللغة قالباً ووعاءً لتلقي وحيه، وحمل معاني القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة يدعونا للتأمل والتفكر في أسرار وخصائص هذه اللغة، وقد أكد الله على قيمتها، وحث على تدبر آياته وفهمها، وجعلها معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وموطن التحدي، إذ تعد اللغة العربية من أوسع اللغات، وأوفرها بياناً لما تقع عليه الحواس، وأعمقها ظلالا للمعاني والألفاظ، وأصدقها تصويراً لما يختلج النفس من مشاعر

([1]) انظر: الجيوسي، عبد الله محمد: التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 1427-2007، ص80-82.

([2]) الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 355.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأحاسيس، وأدقها تعبيراً عما يجول في القلب من خواطر وأفكار، فهي بحق لغة شاعرة بأصوات حروفها، وفي تركيب مفرداتها، وفي تكوين عباراتها، مما جعلها وسيلة الاتصال بين السماء والأرض ولغة الخطاب والتدبر والتفكر في القرآن الكريم[1].

لقد أثارت هذه اللغة تفكير العلماء، وفتقت قرائح الأدباء والشعراء على مدار التاريخ، فنمّت أفكارهم وعمقت فهمهم، وأفصحت عن مكنون مشاعرهم، وعبرت عن رقة أحاسيسهم ودفء عواطفهم. ويستطيع من يقرأ أشعار العرب في الجاهلية بتبصر وتأمل، أن يرى في عمق معانيها وظلال ألفاظها صورة واضحة لحياة العرب في حلهم وترحالهم، في أفراحهم وأتراحهم، في صعودهم وهبوطهم، في علوهم وإخفاقهم[2]. وهذا يدل على صلة اللغة بالتفكير، وقوة إيحائها وقدرتها على إثارة تفكير وخيال العالم والشاعر والأديب.

وقد استطاع أحد الأدباء في هذا العصر أن يبين ويبرز تلك الصورة الحقيقية لحياة العرب، من خلال إحساسه بحياة اللغة العربية وحركتها، وقوتها وجمال بيانها، ودقة وعمق تعبيرها، فأصبح يعيش كأنه حاضرا في ديارهم بين أظهرهم، يستمتع بوصف خيولهم وجِمالهم وأطلالهم، ويطرب لحداء منشدهم ويأنس بغزل عشاقهم، ويستشعر كرم طباعهم، ويتذوق لذة طعامهم، ويسمع قعقعة سلاحهم، وفزعة رجالهم، وهذا يدل على دقة انتقائهم لمفردات كلامهم، وفي تركيب وتكوين جملهم وأشعارهم، بل أصبح يشم روائح عطرهم، وعبير أزهارهم تسري في ألفاظهم وعباراتهم وخطابهم[3].

([1]) انظر: العقاد، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960، ص 8-18.

([2]) انظر شاكر، محمود محمد: مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص 31.

([3]) شاكر، محمود محمد: مقدمة الظاهرة القرآنية، ص 31.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان سر هذا الإحساس هو طبيعة هذه اللغة ووفرة خصائصها، وقوة بيانها، ودقة ألفاظها، فهذه الحياة الكاملة التي تشع منها الألفاظ، هي دليل على قوة هذه اللغة، وقدرتها على تنمية التفكير، والتعبير عما يجول في قلب الإنسان وضميره من خواطر وأفكار ومشاعر وأحاسيس مع تقلب أحواله النفسية والاجتماعية: قلقه وحيرته، وخوفه ورجائه، وبشره واطمئنانه، ورغبته ورهبته، حبه وكره[1] ، وكان من آثار هذه اللغة تربية عقل الإنسان بتعميق تدبره لكتاب الله، وتوسيع إدراكه وزيادة تأمله، وتنمية تفكيره.

3- إثارة الانتباه والتركيز بجمال الصوت وجودة الأداء:

لا شك أن أول يلفت انتباه المستمع أو المتلقي هو وضوح صوت الملقي، وجودة أدائه مما يستدعي انتباها للحواس، وتركيزا للعقل، وحضورا للقلب، والطريقة الإلقائية في القرآن الكريم لا زالت تعطي إعجازا في التأثير لمن يستمع لكلام رب العالمين من قارئ متقن لأدائه، مجود لآياته، يتغنى بترتيل وحي السماء كما أنزله الله، إذ تجد قلب السامع وعقله ينجذب نحو الكلام والمعاني والأداء بإصغاء وحضور قلب، حتى لو لم يكن من أهل العربية، فإثارة الانتباه والتركيز هو الحلقة الأولى من سلسة تنمية التفكير والتأمل في مقاصد القرآن الكريم وغايته، ثم يتبعها مزيداً من التدبر والتفكر والتعقل للآيات وينتهي بتذكر القلب واتعاظه وخشوعه ثم استسلام الجوارح[2].

([1]) الشنطي، محمد صالح: المهارات اللغوية مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها، دار الأندلس، حائل، ط2، 1412-1994، ص111-130.

([2]) انظر: الدوسري، إبراهيم: إبراز المعاني بالأداء القرآني، دار الحضارة، الرياض، ط1، 1428-2007، ص28، (وقد استمع إلى قراءة الشيخ محمد رفعت أحد الضباط الطيارين الأجانب وهو في كندا من خلال المذياع فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ وأشهر إسلامه)، انظر: مجلة الدوحة، يوليو 1981، ص 87، ذكرى الشيخ محمد رفعت، ص3.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي، أنهما كانا دليل إعجاز من ناحية، وكانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي، أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم)[1] .

وقد احتار في القديم زعماء قريش كيف يصدون العرب في موسم الحج عن سماع القرآن والتأثر به؟؟!! لما رأوا من قوة بيانه، ومتانة سبكه ورصفه، وعذوبته وجمال لفظه، وشدة أخذه وأسره لمجامع القلوب من أول سماع، فاحتاروا في أمر هذا الكلام المؤثر الذي فتن كما يزعمون نساءهم وصبيانهم ورجالهم، وأجمعوا أمرهم على أن يقولوا في كلام الله شيئا يصدون عنه العرب ولكن فاجأهم كبيرهم (الوليد بن المغيرة) فقال: والله ما فيكم رجل أعلم مني بالشعر برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مشرق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته ، وفي رواية (وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين شيئا إلا عرف أنه باطل) وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته. وبين المرء وعشيرته [2].

وأرسلت قريش ذات مرة عتبة بن ربيعة ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفاوضه ويعرض عليه الأموال على أن يكف عن دعوته، فقرأ عليه رسول الله صلى الله

([1]) الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، 194/2

([2]) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار مكتبة الإيمان، طرابلس، ط1، 1421-2001، ص69.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليه وسلم مطلع سورة فصلت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ (فصلت: 3).

فقال قولته المشهورة: والله لقد سمعت كلاما ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله والذي سمعت نبأ عظيم. فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه[1].

لا شك أن حسن الأداء، وعذوبة الصوت في الإلقاء، وإتقان التغني بكتاب الله، يثير الانتباه، ويحرك القلوب، ويعين على التدبر، وهو لون آخر من ألوان الدلالة النفسية للألفاظ تسري في آيات وسور القرآن الكريم، وهي تُلقى على مسامع الناس، وترتل آناء الليل وأطراف النهار، فتنشر السكنية والاطمئنان في القلب، وينشغل العقل في التفكر والتدبر، وقد انتبه الأدباء والعلماء لهذه الظاهرة الصوتية وأثرها على النفوس وعبروا عن ذلك كل بحسب ذائقته وبيانه[2].

(أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم، خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره، دع عنك القارئ المجود يقرأ القرآن ويرتله حق ترتيله،... ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومداتها وغناتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدا، وأرسلت سانحة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا

([1]) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ص92-93.

([2]) انظر: الجيوسي، محمد عبد الله: التعبير القرآني ودلالته النفسية، ص131.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التجريد، وجود هذا التجويد، ستجد اتساقا وائتلافا، يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر) [1].

(وهذا الذي عنيناه حينما قلنا: إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ... فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه و المسافات، بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم، وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة) [2].

4-إثارة العقل وتنمية التفكير وفق الحالة الحضارية للأمة:

لا شك أن لكل أمة عقيدة تخصها، وثقافة تجمعها، وحضارة تميزها، وينعكس ذلك كله على آليات تفكيرها، وطرق التأثير فيها، ولكل عصر أيضاً خصائصه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكانت سنة الله عز جل في وسائل دعوة الأمم وتذكيرها تتناسب مع ثقافة العصر ومعاييره وقيمه وموازينه وحالته الحضارية.

لذلك كان من خصائص الطريقة القرآنية إثارة التفكير وتنميته وفق المعطيات الحضارية لكل عصر، وقد برز الإعجاز اللغوي في عصر التنزيل كوسيلة لإثارة التفكير

([1]) دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، ص 127-128.

([2]) قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن، ص15، وينبغي أن يعلم بأن استعارة التعبيرات الموسيقية في سياق بيان جمال الأداء القرآني من باب التقريب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتنميته بصورة أكبر، وبقيت الآيات القرآنية تذكر على مدى العصور بأنواع أخرى من الإعجاز كوسيلة لإثارة التفكير وتنميته حتى برز في العصر الحديث الإعجاز العلمي في الإشارات والألفاظ المعبرة عن أسرار الكون وآيات الله في الأنفس والآفاق[1]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت: 53).

أ-إثارة العقل بالإعجاز اللغوي:

وقد جرت سنة الله عز جل في الرسالات السماوية السابقة، تأييد أنبيائه ورسله بالمعجزات الباهرة لتحدي المنكرين والمكذبين، وإثبات صدق المرسلين، وقد تحدى الله عز وجل كل قوم في الشيء الذي برعوا فيه، وعدوه موضع فخرهم وتفوقهم وعزهم، فتحدى قوم فرعون بآيات تفوق السحر، الذي كانوا هم أهله البارعين فيه المتفننين في عرضه، وتحدى الله قوم عيسى عليه السلام بآيات تفوق براعتهم في الطب، الذي كانوا يمارسونه ويعتزون بإتقانه، وكانت المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم هي هذا القرآن الكريم في بيانه ولفظه، ونظمه، ورصفه، والتحدي بالإتيان بمثله، فكان أشبه بعصا موسى عليه السلام لأهل عصره[2].

ومعلوم أن المعجزة أمر يخرق العادة، ويصدم العقل مباشرة، ويدعو صاحبه لمراجعة اعتقاداته وقناعاته وطرق تفكيره لقوة ما يشاهده ويحس به، لأنه أمر خارج عن القدرة البشرية، وخارق لنواميس الكون، مما يستدعي التدبر والتفكر لزوما.

([1]) انظر: محمد قطب: لا يأتون بمثله، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1422-2002، ص 8.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص 8.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد كان من شأن هذا التحدي الذي أطلقه القرآن في أكثر من مناسبة أو آية، إشعال دواعي التفكير والتدبر، وإثارة الهمم والقرائح، وفتح بصائر العقول والقلوب على آيات الذكر الحكيم، خاصة إذا علمنا أن الله عز وجل قد تحدى به أمة بلغت الغاية والكمال في صنعة الكلام، وتذوق البيان والبلاغة، وفنون التعبير عما يختلج في النفس شعرا ونثرا وخطابة، فقد كان العرب في الجاهلية مأخوذين بكل فصيح بليغ، ومتنافسين في حفظ أجود المنظوم والمنثور[1]، فقد كانوا عبدة بيان قبل أن يكونوا عبدة أوثان، فكان البيان بالشعر والنثر والخطب شغلهم الشاغل، يعكفون عليه أشد مما يعكفون على أوثانهم، فينحتون بلغتهم صورا بيانية كما ينحت أهل الرسم مجسمات حسية، إذ كان لهم من القدرة على تصريف ألسنتهم بالبيان، وتذوق جمال الكلام بأدق حاسة في قلوبهم ونفوسهم وفطرهم [2].

لقد جاء التحدي صريحاً مقترناً دائماً بنزول القرآن الكريم، ومتدرجاً ومتصدراً مطالع السور ليقدح التفكير دائماً، وليثير القرائح والهمم مرة بعد أخرى، وفي كل مرة يغير الله مدى التحدي وشموله فمن قرآن كامل، إلى سورة من أصغر سورة، ومن تحد للعرب منفردين، إلى تحد للخلق أجمعين قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (يونس: 38)، فلما عجزوا: قَالَ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (هود: 13).

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420-1999، 1 /73، 217، 213/2.

([2]) انظر: شاكر، محمود محمد: مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، ص 63.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا زال التحدي قائماً حتى الآن على الإتيان بمثله أو عشر سور مثله أو سورة واحدة مثله أو من مثله أو إثبات تناقضه واختلافه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82)، وقال تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: 9) ، ثم قرر رب العزة الإعجاز المطلق للقرآن الكريم أمام الخلق كافة فقال عز وجل ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء: 88) [1].

ب- إثارة العقل بتتبع مجالات الإعجاز العلمي:

لا شك أن الإعجاز اللغوي البياني لكتاب الله عز وجل كان الأكثر اهتماماً ووضوحاً، والأقدم بحثاً ودراسة لدى علماء الأمة الإسلامية كونه موضع التحدي الأول لأهل اللسان، وأمة البيان، وفنون تصريف الكلام، لذلك توجه التـــأليف فيه والاهتمام به في عصر مبكر، ولكن هذا لا يمنع أن يكون في كتاب الله مجالات أخرى للتحدي والإعجاز، رافقت أثر الكتاب الكريم في مسيرة الأمة عبر تاريخها ولا يزال، وكلها تدعو الأمة الإسلامية في كل مجالات الاختصاص للنظر والتفكر في الأنفس والآفاق والسير في الأرض بحثا عن دلائل عظمة الله ورحمته بخلقه وتسخيره لهم ما في السموات والأرض لعمارة الكون وفق منهجه [2].

وإذا عدنا لتدبر كتاب الله وجدنا تنوعا في الإعجاز عبر مسيرة الأمة، فهناك إعجاز دعوي أبرز عقيدة التوحيد الصافية، ودخل بها إلى قلوب البشر من جميع منافذها وأقطارها

([1]) انظر: دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، ص104-105؛ الزرقاني: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان 214/2.

([2]) انظر: قطب، محمد: لا يأتون بمثله، ص9.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإعجاز تشريعي تضمن شريعة متكاملة وافية بحياة البشر ومتطلبات وجودهم في كل زمان ومكان، وإعجاز تربوي أخرج خير أمة أخرجت للناس، وإعجاز علمي تتكشف آياته ومعالمه كلما ازداد البشر علما وبحثا ونظرا في الكون. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت: 53)، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنعام: 67)[1].

وفي العصر الحديث، عصر السرعة، وثورة المعلومات والاتصالات، وثورة التقنية والفضاء، وثورة الطب والجينات، ومع تطور أجهزة التصوير في باطن الجسد والعظام، وفي باطن الأرض والبحار، وتطور أجهزة الرصد العملاقة للكون والفضاء والكواكب والنجوم بالإضافة للمجاهر الإلكترونية التي تصور عمليات الهدم والبناء في خلايا الأحياء الدقيقة، والتفاعلات الفيزيائية داخل المواد الذرية، ومع تمكن الإنسان في هذا العصر من حشد جيوش من الباحثين في شتى المجالات، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء، وفي مجالات النفس الإنسانية، مقارنين بين النتائج والمقدمات والأسباب والمسببات، وقعت المفاجأة الكبرى وذلك بتجلي أنوار الوحي الإلهي عن إعجاز علمي كبير في آيات الأنفس والأفاق، التي نزلت على محمد قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقد عبرت عنه آيات الذكر الحكيم بلغة واضحة، وألفاظ محددة، وحروف دقيقة[2].

([1]) انظر: محمد قطب: لا يأتون بمثله، ص 10.

([2]) الإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يظهر ويؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى. أنظر: النابلسي، محمد راتب: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي، دمشق، ط5، 1431-2010، ص 19.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن أمثلته في تصوير أطوار خلق الإنسان قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون: 12 – 14).

فنلاحظ دقة استعمال حروف العطف في الآية، وما فيه من معان ودلالات علمية فالعطف بين النطفة والعلقة كان بحرف (ثم) على حين أن نوع العطف بين العلقة والمضغة والعظام واللحم كان ب(الفاءات) المتلاحقة، و(ثم) حرف عطف يفيد الترتيب على التراخي، وحرف(الفاء) يفيد الترتيب والتعقيب.

وأحدث ما قيل في علم الأجنة المعاصر أن هناك فترة زمنية بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقة، وهذه الفترة تزيد على أسبوعين حيث يتباطأ فيها نمو الجنين؛ لأن خلاياه تتجه لتمكين نفسها من جدار الرحم، ولذلك عبر خالق الإنسان عن هذه الحقيقة العلمية بحرف (ثم)، وبقية مراحل النمو تأتي مرتبة متعاقبة من المضغة إلى اللحم، لذلك كان العطف بحرف الفاء.

والأمر الآخر في الإعجاز العلمي في هذه الآية أن الله عز وجل وصف الرحم، وهو موضع استقرار النطفة في مراحل تخلق الإنسان بأنه قرار مكين، وهو لفظ غاية في الدقة والتعبير عن الرعاية والعناية والحفظ والحماية، فهو قرار وليس ممر، حيث تلتصق فيه النطفة، ويتغذي فيه الجنين لينمو بأسرع ما يمكن، وهو مكين أي قوي، وليس ضعيف، فموقعه في جسم المرأة في أنسب مكان، وتعد عظام حوضها من أقسى أنوع العظام في النوع البشري[1].

([1]) انظر: النابلسي، محمد راتب: موسوعة الإعجاز العلمي، 22/1، 155 ، 162.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا النوع من الإعجاز العلمي تظهر صوره وتزداد بحسب تطور آلات السير في الأرض والسماء، وآلات الرصد والنظر والبحث في الأنفس والآفاق، ومدى استعمال الأمة الإسلامية لمنجزات الحضارة الإنسانية في تنمية قدراتها العقلية في التفكر والتبصر والتأمل وهي تشق طريقها بين الأمم، وتحقق شهادتها على الناس، متمسكة بكتاب ربها، ومهتدية بنوره وضيائه، ومقاصد تشريعاته ومهمته التربوية والدعوية في رقي الإنسانية.

فهو كتاب الله العليم الحكيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء وقد تكفل الله بحفظه لإخراج أمة تُصلح البشرية بعقيدتها وخلقها ونظمها وحضارتها على مدار الزمان.

إن الإشارات والحقائق العلمية في آيات الله القرآنية لا زالت تثير التفكير، وتحتاج مزيدا من شحذ الهمم وتفجير طاقات الأمة في البحث والنظر والسير في الأرض، وحسن الإخراج والعرض لتقريب علم الله الشامل، وتدبيره ورزقه، وحكمته ورحمته بخلقه، وحسن تقديره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: 102 – 103).

ولتذكر الإنسان المعاصر بعبوديته الله، وتعيد له توازنه في التفكير، ونظرته الشاملة للعلوم الكونية والاجتماعية ولتقلل من إلحاده، ولتربط الخالق بالمخلوق، والسماء بالأرض، واللغة بمعجزة القرآن الكريم (فإذا كان المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد شاهدوا بأعينهم كثيرا من المعجزات، فإن الله أرى أهل هذا العصر معجزة لرسوله تتناسب مع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البينة هي بينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء كإذعانهم للعلم على اختلاف أجناسهم وأديانهم...)[1].

ولا شك أن هذا التنوع في التحدي والإعجاز قد فتح على الأمة الإسلامية آفاقا واسعة في التفكير الصحيح، والبحث العميق، والتحقيق الدقيق، والتدبر الشديد للآيات القرآنية، وما فيها من إشارات اجتماعية أو علمية، فقد انطلق القرآن الكريم في التعبير عن كثير من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، والظواهر الكونية والنفسية والإشارات العلمية بهذه الطريقة التي لا زالت خصائص لغتها ودقة ألفاظها، وقوة معانيها، واتساع مدلولاتها تثير انتباه الباحثين في كل المجالات كلما ازداد تدبرهم لكتاب الله، وتفكرهم في آياته الكونية، وسننه الاجتماعية والنفسية، وآلائه ونعمه على الإنسانية.

فهذه الرؤية القرآنية جعلت العلوم الإسلامية تسير في توازن دون تصادم أو تناقض في التفكير، فلا انفصال بين الخالق والمخلوق، ولا بين الدنيا والآخرة، ولا بين العلم والدين، ولا بين العقل والنقل، ولا بين الروح الجسد، لأنها ربانية في المبدأ والمصير، فالنفس هي خلق الله، والفطرة هي أصل الخلقة، والدين هو شرع الله، والمصير إلى الله، والكون هو كتاب الله المفتوح، والقرآن هو كلام الله المقروء، فمن أين سوف ينشأ التناقض والاختلاف[2]!!

(إن الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح، وخط العقل الصريح، وخط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي، فالنقل الصحيح كلام الله سبحانه وتعالى، مع بيان المعصوم صلى الله عليه وسلم، والعقل الصريح ميزان من خلق الله أودعه الله في

([1]) النابلسي، محمد راتب: موسوعة الإعجاز العلمي، 29/1

([2]) انظر: المرجع السابق، 7/1.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإنسان ليتعرف من خلاله إلى الله، والفطرة ميزان آخر متطابق مع الشرع الإلهي، وهو مركوز في أصل كيان الإنسان ليكتشف من خلالها خطأه، والواقع خلق الله تحكمه القوانين التي قننها الله جل جلاله فإذا كانت هذه الفروع الأربعة من أصل واحد فهي متطابقة فيما بينها)[1].

المطلب الثالث: أبرز أساليب الطريقة الإلقائية في تنمية التفكير

1-التدرج في التنبيه والتذكير والتعليم:

لقد كان من حكمة الله عز وجل وعلمه في هداية الخلق، وسياسة الأمم، وتزكية النفوس وتنمية التفكير، التدرج في إنزال القرآن الكريم وتلقيه، بما يتناسب مع تجدد الأحداث في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومسيرة ونشأة الأمة وقيامها وبنائها، واختلاف عقول أبنائها في الفهم والإدراك والتفكير، وتقديم الأهم فالمهم في إصلاح العقائد ثم العادات والأخلاق ثم تفصيل الشرائع والأحكام [2]، فالعقول لا تدرك الحقيقة دفعة واحدة، وإنما على سبيل التدرج، والنفس البشرية كذلك يصعب نقلها عن إلفها واعتيادها جملة واحدة، دون تدرج وتربية ومتابعة[3].

ولذلك فإن النوازل الكثيرة والأحداث العظام التي مرت بالأمة الإسلامية مع نشأتها، وكانت تشغل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، قد أعطت عقولهم وحواسهم فرصة للتركيز والفهم والتفكير والبناء العقلي المتدرج، حيث كانوا يمكثون فترة يتفاعلون فيها مع

([1]) النابلسي، محمد راتب: موسوعة الإعجاز العلمي، 1/ 7.

([2]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، 199/1

([3]) انظر: بكار،عبد الكريم: البناء في القرآن الكريم، ص49، 57.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأحداث بقلوبهم وحواسهم مهمومين أو متشوقين لكلام حق، وجواب قاطع، ورد حاسم يتلقونه من رب العالمين وكان فيها التحدي لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاولة التشكيك من قبل المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وطرح شبهاتهم لإبطال الحق، وصرف الناس وصدهم عن القرآن الكريم، وإثبات أنه من علم أهل الكتاب، وأنه من أساطير الأولين، فلما نزلت الآيات بأجوبة معجزة ومسكتة وحاسمة، كان استقبالهم لها بكل استعداد وحضور وإنصات، بل إن الإجابة عليها واستمرار التنزيل، يعد مزيد تحد وتنمية تفكير لكل سائل ومشكك وحائر.[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ ﴾ (الفرقان: 4 – 5).

ولا شك أن كل حادثة أو قضية أو واقعة ينشغل قلب الإنسان وعقله وحواسه في التفكير فيها ومحاولة حلها أو الإجابة عليها أياما ولياليا طويلة، ثم يأتي بعد فترة من يزيل هذا الإشكال ويحلل أسبابه، ويجيب عن غموضه بخبرته وعلمه وحكمته، فإن القلوب ستكون متلهفة حاضرة لاستقباله، والعقول مقبلة على فهمه واستيعابه، والحواس مبصره مصغية لسماعه وإدراكه وبالتالي يصبح نزول القرآن وتحديد التلقي في هذه المناسبة تنمية للتفكير، وتوجيها للعقول، وتطمينا للنفوس، وتثبيا للقلوب، وهذا يعرف بالتربية بالأحداث والوقائع.

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان 269/1؛ وانظر على سبيل المثال حادثة الإفك في سورة النور، وتوبة الله على المخلفين في سورة التوبة، وردود القرآن على المشركين في صفات الله في سورة الإخلاص، وتصحيح أخطاء المؤمنين في غزوة أحد وحنين من سورة آل عمران والتوبة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك أصبح من الضروري لمن أراد أن يفهم القرآن الكريم، ويزداد تذكرا وتبصرا، أن ينظر في أسباب النزول وأحواله، ويتأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ليستشعر الأجواء والظروف النفسية والاجتماعية والمكانية التي صاحبت التنزيل، فإن الملابسات، والقرائن، والزمان، الذي نزلت به الآيات في سرد قصة، أو تفصيل حادثة، أو إجابة سؤال، تزيد العقل فقها وتدبرا ونورا وهداية، ويستطيع العقل أن يدرك حكمة الله في رعاية خلقه، وكيفية سياستهم وإصلاحهم في التربية والتعليم، فالتدرج يعطي العقل مجالا لمزيد من التدبر والتفكر في المعاني والسياق، فضلا عن إعطاء النفس فرصة للمراجعة والاستجابة شيئا فشيئا وصدق الله العظيم وهو يقول: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (الإسراء: 106)، ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (النمل: 6) [1].

وقد تجلت حكمة الله في التدرج في تنمية التفكير، حيث أنزل الأحكام مرتبطة بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. (وإن ارتباط كثير من كلام الله ورسوله بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الاهتمام، وتنبه الأذهان، وتلفت الأنظار إلى قضاء الله ورسوله فيهما، وحديثهما عنها وإجابتهما عليها، وبذلك يتمكن الوحي الإلهي والكلام النبوي في النفوس فضل تمكن، وينتقش في الأذهان على مر الزمان)[2].

([1]) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات: تحقيق مشهور حسن، دار ابن عفان، جدة، ط1 ، 1417-1997، 146/4؛ السنيدي، سليمان بن عمر: تدبر القرآن، كتاب المنتدى، (مجلة البيان)، الرياض، ط2، 1423-2002، ص100-101.

([2]) الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1420-1999، 1/ 268-269.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك فإن نزول القرآن مسايراً للحوادث يعد درسا لكل معلم ومرب في استغلال المناسبات المؤثرة لإلقاء درسه أو موعظته، ذلك أن للنفوس إقبالاً وإدباراً على التعلم، بحسب ما يحيط بها من منبهات ذهنية، أو حسية، فتكون متهيئة لفهم وسماع ما يزيل دهشتها أو يرفع عنها استغرابها وقد قرر علماء النفس أن ارتباط المعلومات بأمور مقارنة لها في الفكر، تجعلها أبقى على الزمن وأثبت في النفس[1].

ورغم أن القرآن نزل منجماً مفرقاً إلا أنه تم مترابطاً محكماً، وفيه من التناسب بين سوره وآياته ومبادئه وخواتيمه، ما أثار عقول العلماء مرة أخرى، وشحذ هممهم في التأليف في هذا العلم الجليل، وجعلهم يبدعون في التأليف في هذه القضية الدقيقة من التفسير، وهي النظر إلى مقاصد السور وعلاقتها بالآيات، والروابط التي تربط بعضها ببعض. وهذا سر آخر من أسرارا الإعجاز في جمعه فضلا عن تفرق نزوله، يدل على أنه كلام قيوم السموات والأرض، مالك الأسباب والمسببات لا إله إلا هو العليم الحكيم[2].

2- مراعاة أحوال المخاطبين نفسياً وعقلياً:

وقد استمرت مسيرة تنمية التفكير مواكبة للتنزيل ثلاثة وعشرين عاما، يثبت فيها رب العزة قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ويصحح فيها عقائد المنحرفين، ويدعو الناس إلى توحيد رب العالمين، ويخص أهل الإيمان بالتوجيه والتعليم وتنمية التفكير.

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن،108/1

([2]) ومن أمثلة هذه التفاسير: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي (ت 885 هـ)، وممن له عناية بذلك الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، وكان لسيد قطب عناية به في ظلاله أيضا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو في كل ذلك ينوع في الإلقاء وأسلوب الخطاب بما يتناسب مع عقول الناس ونفوسهم وأحوالهم، فيخاطب عامتهم وخاصتهم، فيمتع قلوبهم ويقنع عقلوهم في سياق واحد مع قصد في اللفظ ووفاء بالمعنى في توازن بين الإجمال والبيان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (فصلت: 39) [1].

فيضرب لهم الأمثال لعلهم يتفكرون، ويذكرهم بأيام الله في خلقه لعلهم يعتبرون، ويحثهم على السير في الأرض والاتعاظ بأحوال وقصص السابقين لعلهم يتذكرون، ويحثهم على النظر في الآيات الكونية كالسماء وبنائها وسعتها وما فيها من الشمس والقمر والنجوم لعلهم يعقلون. ويذكرهم بالمصير والمآل واليوم الآخر، وما فيه من أهوال لعلهم يرجعون، ويشرح لهم أصول العقائد الصحيحة والعادات الحسنة والأخلاق الكريمة ويحذرهم من الكفر والفجور الفسوق والعصيان، ويحبب إليهم الإيمان والطاعة والعلم ويشرع لهم من أحكام المعاملات ما يناسب فطرتهم يتدرج في تربيتهم لعلهم يفقهون [2].

لذلك كان القرآن كله قائما على رعاية أحوال المخاطبين والنفسية والعقلية والمكانية والزمانية، وقد تتبع العلماء مضامين وأساليب الإلقاء والتنزيل، ففرقوا إجمالا بين السور المكية والسور المدنية، فوجدوا القرآن المكي من حيث الإجمال ميدان جدل وحجج وبراهين قوية على إبطال شرك المشركين، وكشف شبهاتهم، وتسفيه اتباعهم لآبائهم، وبيان فساد

([1]) انظر: دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، ص 138-143؛ الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، 2/194-195.

([2]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1420-1999، ص53-59.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عاداتهم وأخلاقهم، فكان أسلوب القرآن المكي مزيدا من التقريع والتوبيخ والتهديد والوعيد والشدة والإيجاز والقوة والجزالة، وذلك أسلوب يتناسب مع قوة العناد وشدة الإعراض والإيذاء وفي سور قصيرة مفصلة تثير العقول وتقرع القلوب، وذلك على خلاف القرآن المدني الذي غلب عليه طابع اللين والتسامح والحديث عن التشريع وتفاصيله من معاملات وعبادات، وفضح المنافقين وتقريعهم في سور طويلة، والمقصود أن القرآن الكريم يراعي في أسلوب خطابه وإلقائه أحوال المخاطبين، فتارة يشتد، وتارة يلين، سواء أكان القرآن مدنيا أو مكيا بحسب مقتضى الحال، فلغة الوعد والتبشير غير لغة الوعيد والإنذار، وموضوع العقائد غير موضوع القصص [1].

(إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن – فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب: إنما مداره على معرفة مقتضات الأحوال: حال الخِطاب من جهة نفس الخِطاب أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخله معان آخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة، فات فهم الكلام جملة، أو

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان - دار المعرفة – بيروت لبنان –ط1 1420-1999 – ص 185/1-193،186، 188/2 ؛ رضا، محمد رشيد: تفسير المنار 27/1

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال)[1] .

3- تنوع التشويق والترغيب والتنبيه مع تنوع الاستهلال:

أ-الاستهلال بالحروف المقطعة:

ولعل الحروف المقطعة في مطالع السور كانت من أشد ما أثار قرائح العرب، وجذب انتباههم إلى مضمونها؛ لأنها جاءت على غير عادة العرب في بدء خطابهم ورسائلهم، فكأن الله عز وجل يتحدي بقوة تُناسب التكذيب والإنكار. [2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (البقرة: ١- ٢)، ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ (مريم: ١ – ٢)، ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ (القصص: ١ – ٢).

وقد تنوعت اجتهادات العلماء في تفسير المقصود منها بعد إجماعهم على عدم فهمهم لمعناها وتفويضه لله، وكان من أقرب التوجيهات لها، أنها سيقت في معرض التحدي، وكأن الله يقول لهم إن هذا الكلام المعجز، يتركب من جنس هذه الحروف التي تعرفونها، وتتكلمون بها ومع ذلك عجزتم عن الإتيان بمثله وفي هذا مزيد تشويق لهم، وشحذ لهممهم بعد تفكيك النظم المعجز إلى أصله[3].

([1]) الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات: تحقيق مشهور حسن – دار ابن عفان – جدة –ط1 -1417-1997- 146/4

([2]) انظر: دراز: محمد عبد الله: النبأ العظيم، ص205

([3]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، 1/ 158، 165

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويشير استهلال السور بهذه الطريقة إلى أغراض تربوية تعليمية يقصد منها تنبيه السامعين وإيقاظهم قلوبهم وعقولهم أول الكلام، وذلك بقرع أسماعهم بأمر غريب يصعب عليهم فهمه، مما يدفع النفس لمزيد من الإصغاء واليقظة والتأمل والإقبال لما بعده، وهذا أشبه بوسائل التشويق التي تعرض في مقدمة الدرس على ما يذكر أهل التربية الحديثة [1].

ب- الاستهلال بوصف القرآن الكريم بالهداية والإبانة والحكمة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (البقرة: 2)، ﴿ الر ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢ ﴾(لقمان: 1 – 2)، ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ (هود:1)، ﴿ طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾ (القصص: 1- 2).

يشير الله عز وجل في هذا الاستهلال إلى عظمة كتابه، وأنه الحق المحض الذي لا شك فيه ولا شبهة، والهدى التام المبين، الذي ينير للناس سبلهم، ويخرج من الظلمات إلى النور، وأن آياته محكمة وصدرت من حكيم خبير، وعزيز عليم، ورحمن رحيم، وهذا الاستهلال إعلان للسامع أن ما سيتلى عليه هو خير كتاب أخرج للناس، ليركز سمعه ويلتفت قلبه لما فيه من الهداية والنور والإبانة [2].

(وكذلك المربي الصالح يبدأ خطابه الجليل الشأن باستنصات الناس واسترعاء أسماعهم، ويثني باتخاذ الوسائل المشوقة التي تثير فيهم باعث الإقبال على طلب الاستفادة)[3].

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، 208/1

([2]) انظر: دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، ص 205

([3]) المرجع السابق، ص 206.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ومن إحكام آياته، أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها،ومن إحكامها، أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف، ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع،.. لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها، نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأتي علم محسوس ولا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه، ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيراً ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته، ومن إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم. ومن إحكامها: أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبرا، وأعمل فيها العقل تفكرا، انبهر عقله، وذهل لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزما لا يمتري فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد)[1] .

ج-الاستهلال بحمد الله وتعظيمه وإجلاله وتسبيحه:

إن المتأمل في مطالع كثير من سور القرآن يجد الاستهلال بحمد الله وعظمته في أفعاله، وقيامه على خلقه بالإنعام والإحسان، وبيان آياته في الأنفس والآفاق، وتسبيحه عن كل عيب ونقص، وهذا التنوع في الاستهلال يثير العقل إلى الربط بين مقدمة السورة وموضوعها وختامها، وتتبع الصلة والتناسب بين الآيات، وهذا ينمي التفكير باتجاه التدبر العميق لموضوع السورة، وعلاقة أحكامها بحكمة الله وعظمته واستحقاقه للعبودية.

([1]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تفسير السعدي، ص646.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ ﴾ (الفاتحة: 2 – 4).

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۝٣ ﴾ (آل عمران: 1 - 3).

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓرٰ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ (الرعد: 1 – 2).

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (فاطر: 1).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (التغابن:1).

والمتدبر في استهلال أول سورة في القرآن العظيم يجد ثناء الله عز وجل على نفسه بربوبيته ورعايته لخلقه، لينبه النفس والعقل إلى التفكر بكمال إحسانه وإنعامه، وجلالة أسمائه وصفاته وأفعاله، واستحقاقه للحمد المطلق، وهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري [1] لكمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، وسائر صفاته

([1]) انظر: رضا، محمد رشيد : تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، 41/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأفعاله[1]، وقد افتتح الله عز وجل خمس سور في القرآن الكريم بحمد الله، وأعم هذه السور في حمد الله هي سورة الفاتحة، لان الحمد تعلق برب العالين [2].

وافتتح الله عز وجل سورة (آل عمران) بإفراده نفسه بالإلوهية، واختيار أعظم صفتين وهما كمال الحياة والقيومية على خلقه، لتربية الهيبة والعظمة في نفوس السامعين، وللرد على المشركين الذين يعبدون أصناما لا حياة فيها، وللرد على النصارى في اعتقادهم أن عيسى قد مات، فهو غائب عن الخلق فكيف يكون إله وقيوما على خلقه، وهذا الافتتاح في غاية المناسبة مع جدال النصارى ودفع شبهاتهم في ثنايا هذه السورة [3]، وفي سورة الرعد استهلال بعرض مظاهر قدرة الله، وعظمته، وامتنانه على خلقه.

د- الاستهلال بالأسئلة التقريرية للتنبيه:

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ (الإنسان: 1).

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ ﴾ (الغاشية:1).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ (الفيل: 1).

(وفي مثل هذا الاستفهام سر لطيف ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر مخاطبه بأمر عجيب ينبغي الاعتناء به، وإحضار الذهن له، صدر له الكلام بأداة تنبه سمعه وذهنه للخبر، فتارة يصدره (بألا)، وتارة يصدره ب(هل)، فيقول : هل علمت ما كان من كيت

([1]) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تفسير السعدي، ص 684.

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 474/12.

([3]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، 147/3.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وكيت؟ إما مذكرا به، وإما واعظا له مخوفا، وإما منبها على عظمة ما يخبر به، وإما مقـــررا له، فقوله تعالى: (هل أتاك حديث الغاشية) (هل أتى على الإنسان) متضمن لتعظيم هـــذه القصص والتنبيه على تدبرها ومعرفة ما تضمنته) [1].

هـــ- الاستهلال بأهوال اليوم الآخر وقرب وقوعه:

وفي القرآن الكريم سور كثيرة مفتتحة باسم من أسماء يوم القيامة، وعظـــم قـــدرها، وقرب وقوعها تقرع القلوب بوصفها، وشدة وقعها، وتنذر بقرب قيام الساعة، ومجيء أهوالها وحضورها، وهي قصيرة في فواصلها، وموجزة جزلة في لفظها، وبليغة في بيانها، ومتينة في سبكها، فتثير الانتباه والتفكير بقوة استهلالها وتهديدها

(فهي تصدع الوجدان، وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف، وتدع العقول إلى إطالـــة الفكر في الخطبين الغائب والعتيد، والخطرين القريب والبعيد، وهما عـــذاب الـــدنيا بالإبـــادة والاستئصال، أو الفتح الذاهب بالاستقلال، وعذاب الآخـــرة، وهـــو أشـــد وأقـــوى، وأنكـــى وأخزى)[2].

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ (الحج: 1).

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ (القمـــر: 1)، ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٖ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ (الأنبياء: 1).

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مجموع الرسائل: إشراف: بكر أبو زيد، تحقيق: عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط2 ، 1427، ص 73-74.

([2]) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار. 27/1

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

-قال تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾ (الحاقة: 1 – 3)، ﴿ الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ (القارعة: 1 – 3).

-قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ (الانفطار: 1 – 5).

و- الاستهلال بالقسم بالقرآن وآيات الله العظام:

لقد أقسم الله عز وجل في مطالع سور كثيرة من القرآن الكريم بآيات عظيمة دالة على قدرة الله وعظمته، وسلطانه وقوته، وتصريفه لشؤون الخلق، وتدبيره لهذا الكون، والقسم يفيد تحقيق الخبر وتأكيده كما جرت عادة العرب في خطابهم، والقسم بهذه الآيات العظام مقصوده لفت الأنظار إليها، وتركيز الانتباه عليها، ودعوة العقل للتفكير بعظم القسم به، والمقسم عليه وعلى قدر عظم الآية يكون عظم المقسم عليه[1].

وقد أقسم الله عز وجل في كتابه على أمور عظيمة من أصول الدين، كوحدانية الله، وربوبيته وصدق رسوله وأمانته، وإنزال كتابه الكريم، وقيام الساعة وما فيها من حساب وجزاء وأحوال الإنسان وتقلبها وتغيرها[2]، والمتتبع للأقسام القرآنية من حيث الجملة يجد أن القسم كان بربوبية الله وبآياته العظام ومنها على سبيل المثال[3].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 274 ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، 1/46-47.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: بشر محمد عيون، دار البيان، دمشق، ط2، 1425-2004، ص 13.

([3]) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ص 83، 89، 258.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1-القسم بالسماء وبنائها:

وفيه إشارة إلى التفكر في قوتها، وبنائها وتماسكها، وعلوها، وسعتها وزينتها وما فيها من شمس وقمر ونجوم، وهي أكثر المخلوقات التي يقسم بها رب العزة في كتابه لعظم دلالتها على وحدانية الله وربوبيته على خلقه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ (الذاريات: 7)، ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ (البروج: 1)، ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ (الطارق: 1)، ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ (الطارق: 11)، ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الشمس: 5)، ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ ﴾ (الشمس: 1)، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ (النجم: 1).

2-القسم بالزمان وأجزائه:

كالليل، والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، وهذا فيه تنبيه على قيمة الزمان في حياة الإنسان، فهو محل أعماله ومجال اختباره، وهي دعوة للتدبر في فضل الزمان وشرفه، وسرعة انقضائه، وضرورة اغتنامه فيما ينفع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ (التكوير: 17- 18)، ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الفجر: 1-2)، ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا ﴿٤﴾ ﴾ (الشمس: 1-4)، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (الليل: 1-2)، ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (الضحى: 1-2)، ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ ﴾ (العصر: 1).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

3- القسم بالملائكة ووظائفها:

كنزع الأرواح ونشطها، واصطفافها للعبادة، وتدبير شؤون الخلق بإذن ربها، والمقصود التفكير بهذه المخلوقات التي خلقها الله على غير حال البشر في الطاعة والشهوة، وما في خِلقَتِها وقيامه بأمر ربها من آيات ودلائل على عظمة الله[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ ﴾ (الصافات: 1-4)، ﴿ وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَالۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ۝٥ ﴾ (النازعات: 1- 5).

4- القسم بالرياح وتصريفها وإرسالها:

وهي آية عظيمة من آيات الله حيث تثير السحاب وتسوقه بـــأمر الله، فيصيب به الله برحمته من يشاء، وكلها أدلة ظاهرة للحواس والعقول على وحدانية الله في الرزق والتسيير والتدبير[2]. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَالۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَالۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ ﴾ (المرسلات: 1 – 4).

5- القسم بالقرآن وصفته وشرفه وعلو قدره ورفعته:

وكونه مبيناً وحكيماً ومجيداً ومذكراً، وغالباً يأتي هذا القسم بعد الحروف المقطعة، ومقصوده دعوة الناس لتدبر حكمة الله في تشريعاته وأحكامه، فهو وصف للكتاب بكل معاني

([1]) انظر: ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 93، 275.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص 99.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحكمة والبيان، فهو واضح المعاني والألفاظ، وقد أبان فيه لعباده ما يحتاجون إليه من علم يغيث قلوبهم، وتشريع يسير حياتهم بالعدل والرحمة. وموعظة تذكر قلوبهم بعظمة الله، وعزته وإحاطته بخلقه، وبكل معاني وآثار أسمائه وصفاته[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ (ق: 1)، ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ (يس: 1 – 2)، ﴿حٰمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ (الزخرف: 1 –3).

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ (ص: 1).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

([1]) انظر: محمد سليمان الأشقر: زبدة التفسير، دار النفائس، عمان، ط5، 1427-2006، ص440، 452، 489، 518.

المبحث الثاني

الطريقة الاستقرائية مفهومها وأهميتها وأساليبها وأثرها في تنمية التفكير

المطلب الأول: مفهوم الطريقة الاستقرائية وأهميتها في تنمية التفكير

1- تعريف الاستقراء في اللغة

الاستقراء لغة: هو التتبع.

قال صاحب المصباح (استقرأت الأشياء: تتبعت أفرادها لمعرفة أحوالها وخواصها..)[1].

2- تعريف الاستقراء في اصطلاح الأصوليين والتربويين

أ- تعريف الاستقراء عند الأصوليين

لما كان الاستقراء مصطلحاً أصولياً، فإن كتب الأصول تشير إليه باعتباره دليلاً من الأدلة المختلف فيها للاستدلال على الأحكام الشرعية وإثباتها، ويعرفونه على أنه (تصفح أمور جزئية لنحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزيئات)[2] .

وينقسم الاستقراء من حيث الاستيعاب والاستقصاء إلى قسمين:

الاستقراء تام: ويتم فيه استيعاب جميع الجزئيات المراد بحثها للاستدلال على حكم عام، وهو يفيد العلم اليقيني إذا بلغت المعرفة بسببه مبلغ اليقين، أي توفرت فيه شروطه.

الاستقراء الناقص: ويتم فيه دراسة بعض الجزئيات المراد بحثها للاستدلال على حكم عام، ويفيد غلبة الظن، ويرتفع وينخفض، بحسب قوته وقربه من اليقين لأنه لم يستوعب كل الجزئيات[3].

([1]) انظر الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 502/2.

([2]) الغزالي، محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة حافظ، 1414 -1995، 161/1.

([3]) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، دار القلم، دمشق، ط8، 1428-2007، ص187.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والخلاصة أن الاستقراء هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعها، ويتم فيه من الناحية العقلية انتقال الفكر من الحكم الجزئي إلى الحكم الكلي.

ب- تعريف الطريقة الاستقرائية عند التربويين

تُعرّف الطريقة الاستقرائية عند التربويين بأنها (طريقة ينتقل فيها ذهن المتعلم من المعلوم إلى المجهول، ومن المحسوس إلى المعنوي، ومن الملموس إلى غير الملموس وذلك بتدرجه في الانتقال من الجزئي إلى الكلي) [1]، أو (الطريقة التي تبدأ بالأمثلة وتنتهي بالقاعدة) [2]، وتسمى أيضاً بالطريقة الجزئية[3].

وتعتمد هذه الطريقة على تتبع بعض الأمثلة، والحوادث، والظواهر، والبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بينها للوصول إلى حقائق علمية أو قوانين طبيعية أو قواعد اجتماعية واقتصادية وتربوية في إطار معرفة الأسباب والمسببات واطرادها [4]، وهي مبنية على أن ما يصدق على عدد كبير من أفراد جنس أو نوع معين يصدق على سائرها [5].

3- أهمية الطريقة الاستقرائية في تنمية التفكير

تنتسب هذه الطريقة إلى المبدأ الفكري المعروف بالاستقراء، وهو مبدأ فطري في التفكير الإنساني، والقرآن الكريم لا يخرج عن الطرق الفطرية والعقلية والحسية في الاستدلال

([1]) الصيادي، عبد الحميد: أسس التربية في السنة النبوية، طرابلس، ط7، 1989، ص468.

([2]) العادلي، شاكر غني: النحو وطرائق تدريسه، معهد الإعداد والتطوير التربوي، مكتبة أبو عماد، بغداد، (د.ت)، ص 16.

([3]) الخوالدة، ناصر ويحيى عيد: طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، دار حنين، عمان، ط1، 1422-2001، ص214.

([4]) انظر: عبد الله، عبد الرحمن صالح: العمليات العقلية في القرآن الكريم، مجلة جامعة الملك سعود م7، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، الرياض، 1415-1995، ص122.

([5]) انظر: آل ياسين، محمد حسين: المبادئ الأساسية في طرق التدريس، دار العلم، لبنان، 1974، ص119.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على وحدانية الله وتنمية التفكير، لذلك فإن الطرائق القرآنية تعمل على التوافق والتكامل بين الفطرة والقلب والحواس، فالحواس الإنسانية تتتبع الجزئيات (فإذا أدرك الحس الجزئيات أدرك العقل فيها قدراً مشتركاً كلياً، فمعرفة الجزئيات المعينة من أعظم الأسباب في معرفة الكليات، وهذه خاصية العقل وهي معرفة الكليات بتوسط معرفة الجزئيات) [1].

ويعد الاستقراء عند المناطقة نوعا من أنواع الاستدلال، الذي ينتقل فيه التفكير بعملياته العقلية من الخاص (الجزء) إلى العام (الكل)، ويتخذ أداتي الملاحظة والتجربة وسيلة لاستنتاج القاعدة الكلية العامة في المجال الحسي[2].

وتعد الطريقة الاستقرائية في المجال التربوي من الطرق الهامة في تنمية وتنشيط عقل المتعلم، وتعميق تفكيره وقدرته على الملاحظة والتجربة لاكتشاف القواعد العامة والمفاهيم الكلية، مما يعطي الطالب ثقة في نفسه، وقدرة على التفكير المستقل، والاعتماد على النفس[3]، وتصنف هذه الطريقة من الطرق التي يشترك فيها المعلم والمتعلم في إدارة العملية التعليمية[4].

ولذلك فإن المعلومات التي يكتسبها الطالب بهذا الطريقة تبقى عالقة في عقله لفترة طويلة؛ لأنها نتاج تفكير علمي منطقي[5] .

([1]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 237/9.

([2]) انظر: الصدر، محمد باقر: الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، دمشق، ط5، 1406-1986، ص5-6.

([3]) انظر: آل ياسين، محمد حسين: المبادئ الأساسية في طرق التدريس، دار العلم، لبنان، 1974، ص 124.

([4]) جان، محمد صالح: المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، دار الطرفين، الطائف، ط1، 1419-1998، ص482.

([5]) انظر: النحلاوي، عبد الرحمن وآخرون: التربية وطرقة التدريس، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض، 1389، ص64.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: أساليب الطريقة الاستقرائية في تنمية التفكير

أولاً: الاستقراء الحسي:

وهذا الأسلوب قائم على دعوة الله عز وجل للإنسان بكل طاقته الحسية سمعاً وبصراً وسيراً وحشدها لتتبع آيات الله السماوية والأرضية والزمانية، والتفكر في سر انتظام الكون واستقراره وتوازنه، مع ضخامته المدهشة، ودقته المعجزة، وتنوع موجوداته، ليصلوا إلى القوانين الكلية التي تضبط سيره، وتحكم حركته، وتحفظ اتزانه.

وهذا أوضح برهان عقلي، وأكبر حجة على تفرد رب العزة بربوبيته وإلوهيته على خلقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء: 22)، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المؤمنون: 91)؛ لأن تعدد الآلهة يعني في منطق العقل أن يذهب كل إله بإرادته وخلقه وسلطانه، فيفسد الكون ويختل نظامه، وتضطرب مسيرته، أو أن يعلو بعضهم على بعض، أو أن يكونوا تحت قهر إله واحد، يتصرف بهم حيث يشاء، وحينئذ لا يكونوا إلا عبيدا مقهورين مربوبين[1].

وهذا يوقظ فطرة الإنسان، وينمي عقله للوصول بالتفكير الاستقرائي إلى القاعدة الإيمانية المطلقة القائمة على توحيد الله، وهي وحدانية الله في الملك والخلق والرزق والتدبير، واستحقاقه وحده للعبودية المطلقة في الطلب والدعاء والخوف والرجاء، والاستسلام لدينه

([1]) انظر: علي بن علي بن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408-1988، ص 39.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وشرعه وحكمته وعدله وقدره، وهذه هي حقيقة دعوة القرآن الكريم، ومقصد بعثة الرسل عليهم السلام.

مبدأ الخلق ونهايته في الكون والإنسان والحياة، وما بين المبدأ والمنتهى من آيات تدل على حكمة الله، ورعايته، وتدبيره، ورزقه، وحفظه لخلقه في استمرار النمو، وقوة الحركة وتجدد النشاط، ثم الانتقال لمراحل الضعف والذبول والحطام، ودعا الله عز وجل أيضا إلى تتبع آياته السماوية والأرضية والنفسية، وهذا يعمق في العقل التفكير الاستقرائي لكل الظواهر الكونية والتفكر في مقاصد خلقها وسيرها ومصيرها.

1- استقراء البداية والنهاية في خلق الكون والإنسان والنبات:

لقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم مبدأ خلق الكون وكيفيته بكل ما فيه من سموات وأرض وجبال وبحار وأنهار، ونبات، وتقدير الله للأقوات والأرزاق[1] ، وحث على التفكر فيما بين مبدأ الخلق ومنتهاه من آيات تدل على حكمة الله ورعايته وتدبيره ورزقه وحفظه لخلقه في استمرار النمو، وقوة الحركة، وتجدد النشاط، ثم الانتقال لمراحل الضعف والذبول والحطام، ثم ذكّر الله الناس ووعظهم بنهاية الكون، في مطلع اليوم الآخر وأهواله، وخراب العالم، وقيام الساعة، وانشقاق السماء، وتفجر البحار، وتناثر الكواكب، فهذا الاستقصاء الشديد لكيفية الحدوث والفناء يدل على الحكمة البالغة في مبدأ الخلق والانتهاء، ويوصل العقل في تفكيره إلى قاعدة العلم والحكمة في أفعال الله عز وجل، وهي دعوة لتوحيد الله وترك الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا تزرق [2].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

([1]) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، 1/3-25

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب 340/2، 345.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت: 9 – 12).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الأنبياء: 104).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحاقة: 13 – 16)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ (الانفطار: 1 – 5)، ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ (الزلزلة: 1 – 4).

ودعا الله عز وجل الإنسان إلى التفكر في مراحل خلقه وأطوارها، من النطفة والعلقة والمضغة، ثم العظام وكيف يكسوها الله لحما، ثم ينشئه خلقا آخر[1]، ثم يذكر الله عز وجل في آيات آخر مراحل القوة والضعف في بنية جسده، ومسيرة عمره، فيبدأ بالضعف وهو سن النماء والنشوء، ثم القوة، وهو سن الوقوف والشباب، ثم يرجع إلى الضعف مرة أخرى في سن الانحطاط القليل وهو الكهولة، الانحطاط الكبير وهو الشيخوخة، ثم تنتهي حياته بإذن الله بالموت والرجوع إلى ربه[2].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص273.

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 239/20.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (المؤمنون: 12-16).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم: 54).

ودعا الله عز جل في كتابه الكريم إلى التفكر في مواضع كثيرة بظاهرة الأرض ومراحل حياتها وموتها، فذكر حال الأرض الميتة الهامدة، التي لا زرع فيها ولا حياة، ثم نزول رحمة الله عليها بالماء المبارك، وجريانه وانتظامه ينابيع وعيونا ومسالك، ثم نمو النبات والزروع والثمار من حوله، واشتداده واستقامته وجماله بمختلف ألونه: الخضرة والحمرة والصفرة، ومختلف أصنافه كالبر والشعير والسمسم، ثم مجيء مرحلة الجفاف والذبول، فيسقط ويخرج عن النبات، ثم يهيج فتراه مصفرا، وأخيراً يصبح يابساً حطاماً[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الزمر: 21).

إن هذا التسلسل والتتبع لمبدأ الخلق ومسيرته ومنتهاه في مشاهد الكون والإنسان والنبات يوصل العقل إلى القاعدة الكلية التي تحكم مصير الكون الإنسان والحيوان، وهي أن

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 239/20.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لكل حياة نهاية، ولكل أمة أجل، فالإنسان مهما طال عمره فإن مصيره أن يصير مصفر اللون منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت[1].

ويوصل العقل أيضاً في تتبعه إلى قاعدة كبرى تتعلق بأسماء الله وصفاته، وهي الإيمان بأن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأن أحداث الكون لا تجري عبثاً، بل يسيرها الحكيم العليم، وأما وأطوار خلق الإنسان في رحم أمه، ثم خروجه إلى الدنيا بمراحل عمره، فإنه يربي في عقل الإنسان الافتقار إلى علم الله ورحمته ورعايته، واللجوء إليه وتوحيده، وطلب رجائه لأنه هو الخالق وهو المبتدئ والمعيد.

2- استقراء آيات الله السماوية والأرضية ومقاصد خلقها:

لقد دعما الله عز وجل عبادة إلى تتبع آياته السماوية والأرضية بكل طاقتهم الحسية لكثرة أسرارها وقوة دلالتها على خالقها[2] قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (غافر: 57)، ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النازعات: 27 – 28)، وعظم الله عز وجل خلق السماء وبنائها، فجعلها سقفا محفوظا، وسبعا شدادا، وسبعا طباقا [3]، وأقسم بها في أكثر من موضع في القرآن الكريم قَالَ

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص278.

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 339/2-340.

([3]) انظر: المرجع السابق، 237/2.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ (البروج: 1)، ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ (الطارق: 1)، ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الشمس: 5)[1] .

وأمر رب العزة بتتبع عظمة خلقها في سعتها، وعلوها بغير عمد ورفعتها، وحسن بنائها، وجمال زينتها، وقوة تماسكها واستوائها بلا فطور ولا شقوق وعظمة الممسك بها، حيث جعلها سقفاً محفوظاً للعالم، ثم أمر بالتفكر في عجائب شمسها وقمرها وكواكبها ونجومها، وكلها من المخلوقات التي أقسم الله بها لعظم دلالتها على خالقها ومدبرها وكمال حكمته وقدرته [2].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ (ق: ٦)، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ (الفرقان: 61)، ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ (الصافات: 6).

ومن أعظم الآيات السماوية السحاب وما فيه من ماء وغيث وخير، فأخبر الله عز وجل أنه يرسل رياح الرحمة التي تثير السحاب وتجمعه وتلقحه وتسوقه وتفرقه، وهي آيات متتالية قد ذكرها الله عز وجل في أكثر من موضع بشكل متتابع للدلالة على كمال قدرة الله ورحمته بعباده وتدبيره لخلقه [3] .

([1]) انظر: ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص 274.

([2]) انظر: ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص 273- 275، 289-293؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 1/25-26.

([3]) انظر: ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص 280-281.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النور: 43)، ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الروم: 48).

وأما آيات الله الأرضية فقد أكثر الله عز جل من ذكرها في القرآن الكريم، ودعا عبادة للتفكر والنظر فيها، وتتبع نعمه عليهم في تمكينهم فيها، وتسهيل العيش عليها، وشكره وحسن عبادته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأعراف: 10)، حيث جعل الأرض مهادا وفراشا وبساطا، ثم ثبتها بالجبال الشامخة والرواسي لاستقرارها، وشق فيها السبل، وأنبت فيها الحب والثمار والزروع المختلفة الألوان والأطعمة، وجعل فيها البحار والأنهار، وجعل فيها المعايش والأقوات والأرزاق ومن كل شيء موزون. وسخر فيها الدواب والأنعام، للانتفاع بالأكل والحمل والتنقل والترحال[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ (ق: 7)، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الغاشية: 17 – 21)، ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (النحل: 5 – 7)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي

---

(1) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 2/337-338؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص278-279.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النحل: 14).

ثانياً: الاستقراء التاريخي:

والاستقراء التاريخي هو تتبع القصص القرآني، والاعتبار بالتاريخ الإنساني، فالقرآن يحكي قصة خلق الإنسان ومصيره وبداية مكر الشيطان، وقصص الأمم مع أنبيائهم، وموقفهم من رسالة السماء، ومسيرة الإنسان إلى قيام الساعة وأهوالها، وانقسام الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير تبعا لأعمالهم في الدنيا.

فالله عز وجل يدعو إلى الاعتبار بأفعاله وأقداره المتجددة في أحوال الأمم عبر التاريخ والحاضر، ليستدلوا على القواعد والقوانين الكلية التي تحكم حركة التاريخ وسير الأمم فيه، فيتجنبوا سخطه، ويفوزوا ببركة طاعته، واتباع رسله، وتحكيم شرعه، ثم ليصلوا بعد هذا التتبع بفطرتهم وعقولهم وقلوبهم وحواسهم إلى القاعدة الكبرى التي يقوم الكون والحياة والإنسان، وهي وحدانية الله في الخلق والأمر، وأن المدبر واحد، والملك واحد، والرب واحد، والمعبود واحد.

1- استقراء تاريخ دعوات الأنبياء والمرسلين والصالحين وأحوالهم مع أقوامهم

نجد في أكثر من سورة في القرآن الكريم أن الله عز وجل يتتبع تاريخ دعوات الأنبياء لأقوامهم على مر القرون من نوح عليه السلام إلى موسى مرورا بهود وصالح ولوط وشعيب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليهم السلام[1]، ويلاحظ أن كل نبي يستفتح دعوته بقضية واحدة، وهي الدعوة إلى عبوديـــة الله وحده بمعناها الشامل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعـراف: 59)، ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعـــراف: 65)، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف: 73)، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الأعراف: 85).

ثم يثني بالحديث عن مقتضيات العبودية في القلب والسلوك، فيذكرهم بنعم الله عليهم، ويحذرهم من الكبر والاعتزاز بالمال والقوة، وينهاهم عن الفساد والانحراف الاجتمـــاعي أو الاقتصادي أو السياسي الذي يخصهم ويمثل ظاهرة قوية في مجتمعهم. قال تعالى على ألسنة رسله.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ (الشعراء: 114 – 115)، ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الشعراء: 128 – 129)، ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الـــشعراء: 150 – 151)، ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الشعراء: 165)، ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ (الشعراء: 181).

([1]) انظر: سورة الأعراف، هود، الشعراء.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكل ذلك يتم بالحوار والجدال بالحجة والبينة والمنطق حتى يعلن الملأ – وهم أشراف القوم ومن لهم مكانة وهيبة وتعظيم [1] – العناد والصد والإعراض، والاستهزاء والتهديد للأنبياء ويطلبوا المعجزات فيؤيد الله رسله بالمعجزات والبينات الواضحة، وبعد الإصرار على التكذيب والكفر ينزل عليه العذاب والهلاك بالرجفة أو الصيحة أو الريح العاتية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: 40).

والقصد أن هذه الطريقة الاستقرائية في التتبع والعرض المتسلسل لمجموعة من القصص القرآنية تنمي في العقل قاعدة كلية يندرج تحتها قواعد كثيرة، وهي أن الله عز وجل أنزل كتبه وأرسل رسله من أجل قضية كبرى، وهي تحقيق العبودية الشاملة لله عز جل، وذلك بالخضوع لله، واتباع ما انزل الله، وتحرير العقول من التلقي عن غير الله، وبيان أن دعوة الأنبياء واحدة ولو افترقت عصورهم، وأن موقف الملأ واحد عبر القرون، وهو الصد والعناد والإعراض تمسكا بالسلطة والشهوة التي يستعبدون الناس بواسطتها، ثم بيان نصرة الله لأنبيائه ورسله، وتأييدهم بالمعجزات، وإهلاك الظالمين والمفسدين، مهما طال أمدهم، واستقر ظلمهم فإن الله يمهل ولا يهمل[2].

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص776.

([2]) انظر: محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1408-1988، ص25-29.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي ذلك أيضا مواساة وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجه في تكذيب قومه له، وحزنه على حالهم، فالله يذكّره بأن التكذيب لا يخصك وحدك، بل هي سنة الأنبياء من قبلك مع أقوامهم فلا تحزن ولا تيأس[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: 6)، ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج: 42 – 44).

2- استقراء مقصد خلق الإنسان وعلاقته بالوجود:

لقد دعا الله عز وجل في كتابه الكريم إلى تتبع مقصد خلق الإنسان، والتفكر في علاقته بمقصد خلق السموات والأرض، ومقصد خلق الموت والحياة، ومقاصد حركة التاريخ في الأمم والمجتمعات، ومقصد الإيمان باليوم الآخر، ليصل بعقله إلى القاعدة الكبرى لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ومركزه ودوره في الوجود، وأنه لم يخلق عبثا أو سدى، فقد نزه الله عز وجل عن نفسه العبث في الخلق والأمر، فهو مخلوق لغاية عظيمة وهي تحقيق العبودية الشاملة لله، وقد سخر الله له ما في السموات وما الأرض لتحقيق هذه الغاية، والحياة هي الفترة الزمنية التي سيختبر فيها عبوديته لله، وسوف يحاسب يوم القيامة على حظه من هذه الغاية، وبذلك تصبح علاقته بالحياة علاقة ابتلاء، وعلاقته بالآخرة علاقة جزاء، وعلاقته بالكون علاقة تسخير. [2]

([1]) انظر: الرازي: محمد بن الحسين: مفاتيح الغيب، 133/24.

([2]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص85.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الدخان: 38 - 39)، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المؤمنون: 115-116)، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الذاريات: 56 – 57)، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الملك: 2).

لقد كان من آثار الطريقة الاستقرائية في تتبع مقاصد خلق الإنسان وعلاقته بالوجود نشأة المنهج المقاصدي في العلوم الشرعية، فعلماء العقائد تفكروا في مقاصد خلق الإنسان، وحقيقة العبودية التي دعا الله الخلق إليها، وحافظوا على نقائها وصفائها على مدار التاريخ، بالحديث عن إخلاص القصد، وإخلاص الإتباع، وعلماء التاريخ والاجتماع تفكروا في حركة التاريخ، وتتابع الأمم وعوامل الاستقرار والأمن والاطمئنان، فكتبوا في أسباب التقدم والازدهار، وعوامل الشيخوخة والانهيار، وعلماء الأصول والفقه تدبروا مقاصد الأحكام التشريعية، ودونوا من القواعد والأصول ما يحفظ امتداد تشريعات الله ورحمته وحكمته في كل عصر، وعلماء التربية تفكروا عبر كل العلوم في العلاقات التي تربط الإنسان بخالقه وبالكون والإنسان والحياة والآخرة، ودونوا أثر هذه العلوم على الإنسان والمجتمع، وذكروا عوامل رقي الإنسان وبقائه، محافظا على عقله وفطرته ورسالته.

ثالثاً: الاستقراء التشريعي:

لقد دعا الله عز جل إلى تتبع الأحكام الشرعية المنزلة في كتابه الكريم، والتدبر في أوامرها ونواهيها، وما في أسرارها وعللها من مقاصد تدل على حكمة الله ورحمته وعدله في تشريعاته، ورعايته لمصالح عباده في العاجل والآجل، وذلك للوصول إلى قواعد كلية ومقاصد

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كبرى، تحقق للناس استسلامهم لله في الوقائع والنوازل التي تستجد لهم في أحوالهم، وشؤون حياتهم، فالأحكام الشرعية مقررة لعبودية الله في الجانب العملي، ومعللة برعاية مصالح العباد، وهذا التعليل يعد أثرا من آثار أسماء الله الحسنى العليم الحكيم العدل الرحيم التي غالبا ما تختتم فيها آيات الأحكام والتشريع[1].

لذلك اجتهد جمهور العلماء في استقراء مقاصد أحكام الله وتشريعاته على التفصيل فوجدوا أن أصول أحكامها راجعة إلى حفظ مقاصدها الكلية الكبرى، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذه الأمور الخمسة تعد وسيلة لتحقيق الغاية العظمى التي خلق الله الخلق لأجلها، وهي تحقيق عبوديتهم لربهم، في صورة أمة وحضارة تنطلق في تنظيم جوانب حياتها المختلفة على هدى من الله ونور وبرهان مبين. [2]

أ- فأصول أحكام العبادات راجعة إلى حفظ الدين.

ب- وأصول أحكام العادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل.

ج- وأصول أحكام المعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال [3]

كما أن وسائل حفظ المقاصد الشرعية الكبرى يتدرج على ثلاثة مراتب بحسب أهميتها: مرتبة الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينات[4].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص454

([2]) انظر: البوطي، محمد رمضان: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1421- 200، ص112.

([3]) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفان، الرياض، 1417-1997، ص18-19.

([4]) **الضروريات**: هي التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة وهي حفظ الدين والنفس والمال والعرض والعقل وهي مراعاة في كل ملة. ووسائل حفظها الضرورية، هي كل وسيلة تصل الحاجة إليها حد الضرورة بحيث لو فقدت لم يبق دين ولا نفس ولا عقل ولا عرض ولا نسل، كتعين شرب الخمر أو أكل الميتة عند الاضطرار، وتعين الجهاد لدفع العدو الصائل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جاءت مراعاة الأحكام الشرعية لمقاصدها الكبرى من جانبين:

الأول: مراعاتها من جانب الإيجاد: وذلك بالدعوة إلى إقامة أركانها وتثبيت قواعدها وفتح الوسائل الضرورية والحاجية والتحسينية المفضية إلى العمل بها والمحافظة عليها وحمايتها[1].

أ- **ففي العبادات التي يحفظ بها الدين:** الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل، وتحقيق مقتضى النطق بالشهادتين، وإقامة الصلاة والزكاة والحج والصيام وما شابه ذلك في أصول العبادات التي لو ذهبت لم يبق بعدها دين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة: 285)، ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (النور: 56)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (البقرة: 183)، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (آل عمران: 97).

الحاجيات: هي المفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج ومثالها في العبادات التي يحفظ بها الدين: الرخص المخففة، وفي العاديات التي تحفظ بها النفس والعقل: إباحة صيد البر والبحر والتمتع بالطيبات مأكلا ومشربا ومسكنا، وفي باب المعاملات التي يحفظ بها النسل والمال: إباحة التعدد وإباحة الطلاق، الإجارة، السلم، القرض.

التحسينات: وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، ومثالها في باب العبادات: التقرب إلى الله بنوافل الخيرات، ستر العورة، إزالة النجاسات، وفي العادات التي يحفظ بها النفس والعقل: التأدب بآداب المأكل والمشرب، وتجنب الإسراف، والندب للضيافة، وفي باب المعاملات التي يحفظ بها النسل والمال: إباحة نكاح الأمة عند العجز عن الحرة، فرض مهر المثل، العدل بين الزوجات في المبيت وما سواه، منع بيع النجاسات وبيع فضل الماء والكلأ وأشباه ذلك. انظر: الشاطبي: إبراهيم بن موسى: الموافقات، 2/18-19.

([1]) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، 2/18-19

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب–**وفي العادات التي تحفظ بها النفس والعقل:** الدعوة إلى تناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات في حدها الأدنى بحيث يتعذر بعده وجود حياة بدنية أو عقلية[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ (الأعراف: 31)، ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ ﴾ (النحل: 115).

ج–**وفي المعاملات التي يحفظ بها النسب والمال:** الدعوة إلى إقامة أحكام النكاح والبيوع في حدها الأدنى بحيث لو عطلت لم يبق نسل ولا مال[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ (النساء: 3)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ (النساء: 29).

الثاني: مراعاتها من جانب العدم: وذلك بدرء الاختلال الواقع أو المتوقع فيها من خلال الدعوة إلى إقامة أصول أحكام الجنايات من حدود وديات وضمانات في العبادات والعادات والمعاملات، وسد الذرائع المفضية إلى تعطيلها أو التهاون في إقامتها' ففي إقامة حد الردة يُحفظ الدين، وفي إقامة حد الخمر يُحفظ العقل، وفي إقامة حد الزنا والقذف واللعان يُحفظ النسل، وفي إقامة حد السرقة وضمان قيم المتلفات يُحفظ المال وفي إقامة عقوبة القصاص تُحفظ النفوس.[3]

---

(1) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، 19/2.

(2) انظر: المرجع السابق، 19/2-20.

(3) انظر: المرجع السابق، 18/2-20.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (البقرة: 178)، ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المائـــدة: 38)، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴿٢﴾ ﴾ (النـــور: 2)، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النور: 4).

(وإذا استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنـــا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرأة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظـــام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العلم الذي يعيش فيه)[1].

المطلب الثالث: أثر الطريقة الاستقرائية في نشأة التفكير المقاصدي

لقد بذل علماء الأمة في كل زمان جهوداً علمية جبارة في اســـتقراء وتتبـــع المـــسائل العلمية المختلفة للوصول إلى قواعد كلية كبرى تسهم في بناء وتشكيل أصول العلوم الإسلامية التي تضبط عقل المسلم في تفكيره واجتهاده ورؤيته، وذلك احتياطا لصفاء ووضوح مقـــصد التربية الإسلامية في إخلاص العبودية لله، بدءاً بالعناية بوسائل حفظ الشريعة، كعلوم اللغـــة العربية وعلوم الحديث، وانتهاء بطرائق فهمها، كعلم أصول الدين المتعلق في الجانب الغيبي، وعلم أصول الفقه المتعلق بالجانب العملي، فأبدعوا من فنون العلم ما يعـــين المجتهـــد علـــى

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص63.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

استنباط حكم شرعي لكل وسيلة عصرية مستجدة بما يحافظ على مقاصد الشريعة وقواعدها العامة.

ولا زالت العلوم تتلاقح أفكارها، وتتداخل مباحثها، وتتعدد ميادينها حتى نضجت مباحث علم المقاصد، التي تعبر عن منهج شمولي في فهم الإسلام، ومنحى تكاملي في الجمع بين العقائد والأحكام، من خلال استقراء العلل والحكم والغايات التي أنزلت الشريعة لتحقيقها بما يصلح شأن الخلق، ويحافظ على طريق العبودية في جانبه التشريعي والعقائدي كي يسيروا على خطاه، وبذلك اتسعت مصادر المنهج التربوي الإسلامي في النظر والاستدلال والاستنباط من الاجتهاد الجزئي الفرعي إلى الاجتهاد الكلي المقاصدي[1].

وقد كان من جهود العلماء المحققين في تقريب مقاصد الدين، وضبط وسائل تعبدهم العملية استقراؤهم لفروع الأحكام الشرعية العملية المتناثرة والمستغرقة لكل نشاطاتهم وتصرفاتهم وردها إلى ضوابط وقواعد كلية عامة، تعبر عن حكم أغلبي لفروع هذه الأحكام، بحيث تقرّب وتسهّل فهم تفاصيل مقاصد الشرع في أحكامه، وتضبط عقل المجتهد وفكره واستنباطه للأحكام الشرعية في كل نازلة بما يوافق روح الشريعة ومقاصدها العامة، مما يجعل المؤمن على يقين وثقة بربه، أنه لا يأمر إلا بما يصلح خلقه، ولا ينهى إلا عما يضرهم في حياتهم الأولى والآخرة ومن هذه القواعد: قواعد التيسير ورفع الحرج، وقواعد إزالة

([1]) رشدي، مروان محمد: قاعدة سد الذرائع وآثارها التربوية في تحقيق العبودية وحفظ مقاصد التربية الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2011، ص98.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضرر، وقواعد اعتبار المقاصد في الأفعال والأقوال، وقواعد تحكيم العوائد، وقواعد فقه الأولويات عند تزاحم المصالح والمفاسد[1].

ورغم أن هذه القواعد فقهية بحكم غلبة التسمية وغلبت الاستشهاد عليها بالتطبيقات الفقهية إلا أنها تصلح أن تكون قواعد في التربية وعلم النفس والاجتماع، والسياسية الشرعية، والاقتصاد، والدعوة والفتوى والاجتهاد، إذا غلب الاستشهاد بها على كل ذلك. فشموليتها لجوانب الحياة المختلفة نابع من شمولية المنهج التربوي الإسلامي للحياة كلها[2].

إن المتتبع لمقاصد الأحكام الشرعية في فروعها وأصولها، يجد أن احتياط الشريعة الإسلامية للوسائل المفضية إلى الإخلال بالضروري من مقاصدها الكبرى يعد احتياطا خفيا وقويا وحازما، مما يؤكد هيمنة الشريعة على الحياة، وحكمتها، ورحمتها، وعدلها، ورسالتها التربوية في تعبيد الخلق لربهم، ومحافظتها على فطرهم وعقلهم على اختلاف الزمان والمكان والحال، فقد حسمت الشريعة مادة الإخلال بكل مقاصدها.

فسدت أصول أحكامها وفروعها ذرائع الكفر حفاظا على الدين، وذرائع القتل بغير حق حفاظا على النفس، وذرائع شرب الخمر حفاظا على العقل، وذرائع الزنا حفاظا على النسل،

([1]) ومن أمثلة هذه القواعد على الترتيب (فالمشقة تجلب التيسير)، (لا ضرر ولا ضرار)، (الأمور بمقاصدها)، (العادة محكمة)، (دَرْءُ المَفاسِدِ مقدم على جَلبِ المَصَالِح)، (وإذا تزاحمت المصالح قدم أعظمها بتفويت أخفها)، (وإذا تزاحمت المفاسد دفع أفسدها بارتكاب أخفها). انظر: العز بن عبد السلام السلمي: قواعد الأحكام في مصالح الأنام؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الأشباه والنظائر؛ البورنو، صدقي محمد: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية؛ الزرقا، أحمد محمد: شرح القواعد الفقهية.

([2]) انظر: يالجن، مقداد: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض 1999، ص45-82، البيانوني، محمد أبو الفتح: القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي: كتاب الأمة، عدد (82) /1422.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذرائع الربا والغرر والجهالة حفاظا على المال، وذرائع الفرقة والاختلاف حفاظا على الوحدة والاجتماع، أخيراً سدت ذرائع التحايل على دين الله حفاظاً على مقاصدها الكبرى[1].

وبذلك يسهم التفكير المقاصدي في توسيع أسلوب تدوين علم العقائد من عصر لآخر، لتشمل ميادينه جهود الخلفاء الراشدين في سياستهم الشرعية، والعلماء الربانيين في الدفاع عن كمال هذا الدين في كل عصر، بدءاً بمنع الزكاة، ومروراً باختلال مفهوم الإيمان، وانتهاء بتعطيل شرع الله، وبيان خصائص التشريع الإسلامي، وشموليته للحياة، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ولتشمل مادته أيضاً كل ما استُجِدّ من علوم كونية وسياسة شرعية، وكل ما دوّن من علوم متعلقة بالدفاع عن الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، توضيحاً وبياناً، رداً وتقريراً، دعوة وجهاداً، ممارسة وتطبيقاً بحيث تستمر الأمة الإسلامية متميزة في عطائها بارتباطها بربها في كل شؤون حياتها، وليبق الله عز وجل وحده المعبود المرغوب المطلوب المسؤول، المستعان به المتوكل عليه، والمتحاكم إلى شرعه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا إلى يوم الدين، وقوله وهديه هو الحكم والفيصل في رفع الخلاف وحسم النزاع، ومنهج أصحابه من بعده هو الأصل في الفهم والإتباع، والعبودية لله هي المنهج الصحيح الدقيق في تفسير الأحداث الكونية وتحليل حركة التاريخ[2].

([1]) رشدي، مروان محمد: قاعدة سد الذرائع وآثارها التربوية في تحقيق العبودية وحفظ مقاصد التربية الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2011.

([2]) انظر: السلمي، محمد صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص190-235؛ رشدي، مروان محمد: قاعدة سد الذرائع وآثارها التربوية في تحقيق العبودية وحفظ مقاصد التربية الإسلامية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

الطريقة القياسية مفهومها وأهميتها وأساليبها وأثرها في تنمية التفكير

المطلب الأول: مفهوم الطريقة القياسية وأهميتها في تنمية التفكير

1- تعريف القياس في اللغة:

القياس لغة: التقدير.

قال صاحب المصباح المنير (وَقَايَسْتُهُ بِالشَّيْءِ مُقَايَسَةً وَقِيَاسًا وَهُوَ تَقْدِيرُهُ بِهِ وَالْمِقْيَاسُ الْمِقْدَارُ)[1].

2- تعريف القياس في اصطلاح الأصوليين:

لما كانت الطريقة القياسية منسوبة للقياس، والقياس من المصطلحات الأصولية، فإن الأصوليين، يبحثونه في باب أدلة الأحكام الشرعية ويعرفونه بقولهم (ردُّ فرع إلى أصل بعلة جامعة)[2].

ب- تعريف الطريقة القياسية في الاصطلاح التربوي

يعرفها التربويون على أنها طريقة (ينتقل المعلم فيها من العام إلى الخاص ومن القاعدة إلى الأمثلة ومن الكليات إلى الجزئيات)[3].

فالطريقة القياسية هي عكس الطريقة الاستقرائية، وتسمى بالطريقة الكلية[4]، إذ بينما يتم في الاستقراء تتبع الجزئيات للتوصل للقواعد والقوانين العامة التي تربط بين الأشياء،

([1]) الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 2/ 521.

([2]) ابن النجار، محمد بن أحمد: شرح الكوكب المنير، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 1418- 1997، 6/4.

([3]) الإبراشي، محمد عطية: الاتجاهات الحديثة في التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص252.

([4]) انظر: الخوالدة، ناصر ويحيى عيد: طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، ص212.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالقياس يتم فيه إثبات الحقائق والقواعد العامة، والتحقق من صدقها بالأمثلة الجزئية، أي أن المعلم يأتي بالنظرية الكبرى أو القاعدة الكلية أو القانون العام، ثم يطلب من الطلاب أن يأتوا بالأمثلة التي تبرهن على صدق هذه القاعدة [1]، وتصنف من الطرق التي يشترك فيها المعلم والمتعلم في إدارة العملية التعليمية[2].

ج- أهمية الطريقة القياسية في تنمية التفكير:

لا شك أن تنمية التفكير بالطريقة القياسية يعد توافقا وانسجاما للنفس مع فطرتها، ذلك أن الطريقة القياسية في المعنى والسياق القرآني طريقة عقلية فطرية، وأصلها أن الله عز وجل فطر عباده على التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين، وهذا من الميزان الذي أنزله الله في قلوب العباد[3]، أي لا يستوي العدل والظلم، ولا الصدق والكذب، ولا الإحسان والإساءة، ولا الفجور والعفة، ولا البذل والبخل في الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وهذا يعني إلحاق النظير بالنظير في الحكم والمآل والمصير، فالعقل مفطور على أن الشيء له حكم مثله[4].

ولم يرد مصطلح القياس في القرآن الكريم بلفظه، ولكن القرآن يستعمل مقاييس عقلية فطرية، تدل على القياس والاعتبار، ففي آيات كثيرة يقيس الله النشأة الثانية وهي البعث على النشأة الأولى، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ

([1]) انظر: محمد صالح جان: المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس ص 523 ؛عبد الحميد الصيادي: أسس التربية في السنة النبوية، طرابلس، ط7، 1989، ص470.

([2]) انظر: الصيادي، عبد الحميد: أسس التربية في السنة النبوية، طرابلس، ط7، 1989، ص470.

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص 455-456

([4]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى 237/9

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنبياء: 104)، وقاس في آيات كثيرة حياة الأموات وقيامهم بعد الموت على حياة الأرض الميتة المجدبة عند نزول الماء، واخضرارها بالزروع والنبات قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (فصلت: 39)، وجادل المشركين على أمر مستقر في نفوسهم وفطرهم، وهو استحالة الجمع بين المختلفين والتفريق بين المتماثلين في الحكم والحال والمآل فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (القلم: 35)، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ (السجدة: 18)، وهذا من الميزان والعدل الذي أنزله الله في كتابه[1].

ومن أوضح المقاييس العقلية التي استعملها القرآن الكريم، ضرب الأمثلة الحسية، والدعوة إلى تتبع السنن الكونية والاجتماعية في مسيرة الحياة الإنسانية، وهي قواعد وقوانين كلية تدل على خلاصة علم الله وحكمة وعدله وعادته في أمره ونهيه وشرعه وقدره في تسيير شؤون خلقه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف: 45) ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (آل عمران: 137).

أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم، فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك هو التكذيب والظلم والكبر، فالأمم السابقة هي الأصل، وأنتم الفرع، والتكذيب والعصيان هو العلة الجامعة بينكم، والهلاك والدمار هو الحكم المستنبط، وهو إلحاق نظير بنظيره[2].

([1]) انظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق:عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت، 179/1، 253؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص440.

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 177/1-181

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: أساليب الطريقة القياسية في تنمية التفكير

أولا: ضرب الأمثال الحسية الحية

1-تعريف الأمثال:

الأمثال جمع مثل، والمثل (تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر)[1].

2- أهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

لقد أكثر الله عز جل من ذكر الأمثال في القرآن الكريم، وحث على التفكر بها، وجعلها ميدانا للعمليات العقلية، ومدح من يعقلها ويدرك فوائدها وأسرارها بالعلم والفهم الدقيق[2]، ونوع مقاصدها، لتقريب فهم المعاني العقلية وتشخيصها وضبطها واستحضارها، وحسن تصويرها وبيانها وإيصالها إلى ذهن السامع، وذلك بربطها بنظائرها وأشباهها من المعاني الحسية الظاهرة[3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: 176)، ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (العنكبوت: 43)، ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر: 21).

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين 200/1

([2]) انظر: الرازي، محمد بن عمر مفاتيح الغيب 25/ 62 وقال (وفيه معنى حكمي: وهو أن العلم الحدسي يعلمه العاقل، والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم).

([3]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقيين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت، 306/1؛ السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1408-1988، 38/4.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

3- أبرز مضامين الأمثال القرآنية:

إن المتأمل في الأمثال القرآنية التي ضربها الله عز جل يجد أن أكثرها وردت في سياق الدعوة إلى التفكر والتأمل في شناعة، الشرك، والكفر، واتخاذ أولياء وشركاء من دون الله يسألونهم ويدعونهم، وفي سياق إقامة الحجة على الكفار، وبيان ضعف معبوداتهم، وخفة عقولهم، وعظم كفرهم، وهذا من باب توضيح وبيان حقيقة التوحيد، وقيمته في تصور وفهم حقيقة العبودية وحقيقة الإلوهية في الوجود، وأثرها في انضباط الموحد في سلوكه وغايته لأن قبلة قلبه واحده، وهي إرضاء الله عز وجل، ومعيار قيمه وتلقيه واتباعه جهة واحدة، هي شرع الله، وبقية الأمثال القرآنية في بيان وتوضيح مثل المؤمن ونور الله في قلبه، ومثل الكافر والظلمات المحيطة به، ومثل المنافق والحيرة والشك التي في قلبه، ومثل الأعمال الصالحة، كالكلمة الطيبة، الإنفاق في سبيل الله، وتصوير بشاعة بعض المعاصي كالقتل، والغيبة، الكلمة الخبيثة، واتباع الهوى، وتصوير لطبيعة النفس البشرية في تفكيرها وسلوكها واستجابتها للفتن، وفي وصف الحياة الدنيا، وقصر لذتها وسرعة ذهابها، ووصف الآخرة، ودوام نعيمها وبقائه.

فالأمثال توضح ذلك كله بأبسط عبارة، وأبلغ كلمة، وتدخل إلى عقولهم بأسرع طريق وتشبه أحوالهم بأمر يحسونه ويشاهدونه ويتعاملون معه دائما، فيبقى المثل راسخا في عقولهم حيا في أفهمهم، وهذا أبلغ أسلوب لإثارة تفكيرهم، وبقاء التذكير على الدوام[1].

([1]) وقد ذكر الإمام ابن القيم أن الأمثال في القرآن تبلغ بضعة وأربعين، انظر حول معاني الأمثال القرآنية وتفاصيلها، ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين 1/200-254؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن4/39-43؛الميداني: عبد الرحمن حبنكة: الأمثال القرآنية دارسة وتحليل ورسم لأسرارها وقواعدها ومناهجها، دار القلم، دمشق، ط1، 1980-1400؛ محمد جابر فياض: الأمثال في القرآن الكريم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401-1981.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (الحج: 31)، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (العنكبوت: 41)، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الزمر: 29)، ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يونس: 24).

وقد عاش الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن مع الأمثال القرآنية، وحاول أن يتذوق ويكتشف معالم عامة لطريقة عرض القرآن الكريم للحقائق العقدية والنفسية والاجتماعية وهو يتدبر ويتفكر آيات الذكر الحكيم، بلسان عربي مبين، فشعر بالحياة، والجاذبية والجمال، في أسلوب القرآن الكريم وطريقة عرضه للأمثلة، وقد عاش معه بقلبه وفكره ودمه، وهو يتفيأ ظلال لغته وتعبيره، فأحس بالهمس والصوت والصورة والحركة، تتجلى في أمثلة القرآن وتصويره وتشبيهاته ونظمه وقوالب معانيه، وحاول تقريب هذه المشاعر والأحاسيس في سر جاذبية القرآن الكريم، وقد عبر عن ذلك بمعالم اجتهادية أطلق عليها لفظ التصوير الفني، وقد كانت أمثلة القرآن الكريم بجمالها وفنون تعبيرها هي مفتاح هذا التفكر والإحساس وتذوق المعاني، ورسم الحقيقة بالصورة البياني[1] يقول وهو يشرح نظريته ورؤيته.

([1]) راجع: الخالدي: صلاح عبد الفتاح: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، عمان، ط3، 1983، ص10.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية)[1].

ثانيا : تعليل أحكام الله الشرعية وأفعاله الكونية

فالله عز وجل في أحكامه الشرعية والجزائية وأفعاله الكونية يعلل أسباب تشريعاته، ومآخذ أحكامه، وتقديرات أفعاله، بمعاني معتبرة، وأوصاف مؤثرة، مرتبطة بالأحكام وجودا وعدماً واستدلالاً، ويترتب عليها كثيرا من الحِكم ومصالح العباد، وكلها مناسبة لما فطر الله عز وجل عليه الناس من حب للخير والأخلاق الطيبة وبغض للشر والأخلاق الخبيثة لأنها تنزيل العليم الحكيم، وحيثما وجدت هذه الأوصاف المؤثرة، والمعاني المعتبرة، والمصالح المنضبطة، وجد الحكم الشرعي والكوني، وتعدى استدلالا وقياسا لكل مجالات الحياة ما لم يوجد مانع [2].

وهذا التعليل لأفعال الله وتشريعاته له أساليبه الصريحة وغير الصريحة المليئة في القرآن الكريم [3]، وكلها تجتمع في تنمية التفكير الأصولي القياسي من خلال حث العقل على

([1]) قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط5، 2006، ص15.

([2]) انظر: ابن القيم،محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 247/1، 256.

([3]) يقول الإمام ابن القيم ((والقرآن والسنة مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، ولو كان هذا في نحو مئة موضع أو مئتين لستناهما، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة)) انظر: مفتاح دار السعادة، ص 455.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النظر والتأمل في المعاني والأوصاف التي وضعها الله علامة على أحكامه كالسبب والشرط والمانع والعلة، ثم التأمل في الوقائع والمستجدات لتنزيل حكم الله على نوازل الحياة، وتحكيم شرع في كل زمان ومكان، ومن الأساليب الصريحة في تعليل الأحكام الشرعية وتنمية التفكير القياسي ما يلي.[1]

- (لام التعليل) كقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ (المائدة: 97).

- (كي) كقوله تعالى: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: 7).

- (من أجل) كقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (المائدة: 32).

- (لعل) كقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (البقرة: 73)، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام: 152).

- (الباء) و (الفاء) كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ (محمد: 28)[2].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 1/254-256.

([2]) انظر: المرجع السابق، 1/254-256.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما أحكام الله الكونية وهي سننه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يجريها الله عز وجل بحكمته وعلمه في خلقه منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، فهي لا تخرج عن معنى القياس الأصولي من حيث الإجمال، ولكنها تتعلق بحياة الأمم ومسيرتها الكاملة مع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان عبر أجيال، فكل نبي أرسله الله عز وجل لدعوة قومه إلى توحيد الله، أمره أن يذكر قومه باتباع ما أنزل الله، والكف عن الذنوب والمعاصي المتعلقة بالجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وقصص الأنبياء مع أقوامهم محل قياس واعتبار وعظة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: 111)، فهي تذكر الناس على مر الزمان بأن الأوصاف والمعاني والأحوال التي وجدت في الأمم السابقة إذا تكررت في أمم لاحقة، فإن العذاب سيقع كما وقع لغيرهم بمقتضى حكمة الله وعدله، وهذا من قياس الطرد، والعكس لو لم تكذب الأمم رسلها فإن العذاب لن يصلها وهذا من قياس العكس[1] (فالاتعاظ يسمى اعتبارا وعبرة، لعبور المتعظ من النظير إلى نظيره، ولولا أن حكم الشيء حكم مثله، وحكم النظير حكم نظيره، لبطل هذا التعبير والاعتبار، ولما وجد إليه سبيل)[2].

وقد كانت دعوة الأنبياء لأقوامهم فيها تذكير بما حل على من قلبهم من عذاب وهلاك، ممن كذب وتولى، لئلا يصيبهم ما أصاب من قبلهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأعراف: 74).

([1]) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، 237/9

([2]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 257/1

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن الأساليب غير الصريح في تعليل أحكام الله الكونيـــة وتنميـــة التفكيـــر الـــسنني الاجتماعي.

- الإنكار على من ظن أن الله خلق الخلق عبثا وسدى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المؤمنون: 115 – 116)، ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ (القيامة: 36).

- الإنكار على من ظن أن الله يسوي بين المختلفين ويفرق بين متماثلين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية: 21).

- الدعوة إلى التفكر والتأمل والتعقل لحسن ما شرعه الله لعباده

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: 90).

- الدعوة إلى التفكر في مخلوقات الله وما فيها من المصالح والمنـــافع الدالـــة علـــى علمـــه وحكمته

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنعام: 97) [1].

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ص455

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً: تتبع السنن الكونية والاجتماعية

1- تعريف السنن الإلهية لغةً واصطلاحاً

السنن لغة: جمع سنة، والسنة: هي الطريقة، وسنة الله: أي طريقة حكمته وطريقة طاعته[1].

وسنن الله: هي قوانين إلهية محكمة تسري فاعليتها عبر الأزمنة والأمكنة وتتغلغل في تكوين الأفراد ورحلتهم عبر محطات الحياة والمصير[2].

2- أهمية السنن الكونية والاجتماعية وشمولها

أ-معرفة السنن الكونية مقدمة لفهم لغة الكون

لقد أمتن الله عز وجل على الإنسان بتسخير ما في السموات والأرض لقيام مصالحه، وأودع في هذا الكون القوانين والسنن الثابتة لكي يسخر الكون لخدمته ومنفعته، ووهب له العقل والسمع والبصر، ودعاه للتفكر والبحث عن هذه السنن والقوانين، التي يسيرها الله بعلمه وحكمته لينتظم أمر الكون ويحصل التوازن بكل ما فيه تأكيدا على عبوديته لله، فهي لغة الكون، وكل العلوم الكونية والاجتماعية هي محاولات لفهم واكتشاف هذه القوانين التي تحكم الحياة والمادة.[3]

ب- معرفة السنن الاجتماعية مقدمة لفهم حركة التاريخ

لقد ذكر الله عز جل في كتابه الكريم كثيرا من قصص الأنبياء والصالحين أفراد وأمما وحضارات، وذكر عاقبة من ابتلاهم بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، ومن جادلهم الأنبياء

([1]) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412، 429/1.

([2]) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: أصول التربية الإسلامية، ص 207.

([3]) انظر: المرجع السابق، ص 128-129.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالحجة والسلطان، وخاضوا معهم المعارك والقتال، ثم عقب عليها بسنن اجتماعية في آيات موجزة دقيقة، ولكنها شاملة ومطردة لمسيرة كل فرد وأمة وحضارة في التاريخ. قال تعالى معقبا على فصول من قصة يوسف عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (يوسف: 90).

وقد أمر رب العزة بتدبر مصير وتقلبات الأفراد والأمم والحضارات، وأخذ العبرة والعظة والنظر في السنن التي حكمت أفعالهم، فهي ليست سنن عشوائية، وأقدار عمياء، بل تعمل بانتظام وتسيير على مدى طويل، ليعلم الناس عاقبة الصابرين والشاكرين والمستقيمين على أمر الله، من عز وأمان، وبركة ورخاء، واستقرار وعاقبة الجاحدين والظالمين والمفسدين، من عذاب ودمار، وخراب وخزي وعار، فيتعظوا ولا يسيروا سيرة من أهلكهم الله بالذنوب والمعاصي والكفر والطغيان. [1]

(من أجل ذلك وجهنا الله في كتابه المنزل إلى دراسة التاريخ، لأن التاريخ الذي مضى هو تجربة تامة منتهية، واضحة المعالم من ثم، وواضحة الدلالة، ثم أمرنا أن نتدبر الحاضر على هدي دراسة التاريخ، فنكمل الصورة التي لم تتم بعد في حاضرنا الذي نعيش على ضوء الصور الماضية المكتملة، فيتضح لنا ما لم يكمل بعد من معالم صورتنا الحاضرة) [2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (آل عمران: 137)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ (غافر: 21)

([1]) انظر: قطب، محمد: دراسات قرآنية، ص498-499

([2]) المرجع السابق، ص499

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (إبراهيم: 45).

وهذه السنن هي آثار أسمائه وصفاته في خلقه من عدل وعلم ورحمة وحكمة، فحيثما وجد السبب لحقته النتيجة، فالظلم والكبر منذر بالخراب والدمار، والصبر والتقوى مبشر بالنصر والتمكين، والتغيير لا بدأ أن يبدأ أولا من الأنفس، في الأفكار والأفهام والعقائد،،وهي شاملة لمجالات الحياة كلها شمولية القرآن لنشاط الإنسان

3-نماذج من السنن التي ذكرها الله عز وجل في كتابه

أولا: سنن التغيير في الجانب الاجتماعي

لقد ربط الله عز وجل بين الأمن والاستقرار وسلوك التقوى والاستقامة، ذلك أن الحفاظ على نعم الله وشكره، يديم النعم، ويحفظ العباد ويعمر البلاد، والتكذيب والجحود منذر بالوباء والجوع والخراب، لأن شكر المنعم اعترافا بالقلب، وحمدا باللسان، واستعمالا للنعم في طاعة الله[1] يؤدي إلى مزيد من العطاء والكرم والرضا الإلهي، وإن تبدل الأحوال في المجتمعات من عسر إلى يسر، ومن صحة إلى مرض، أو من مذلّة إلى معزّة، أومن فقر إلى غنى، مرتبط بإرادة التغيير لدى الناس، وسلوكهم تجاه نعم الله عليهم، وهذه السنة يمكن من خلالها استشراف أسباب سقوط المجتمعات وخرابها، وذهاب ثرواتها.[2]

وإلى هذه السنن تشير الآيات التالية:

1-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص190.

([2]) انظر: السلمي، محمد صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 67؛ الحدري، عبد الله: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، ص168.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف: 96).

4- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنعام: (42 – 44).

ثانيا: سنن النصر والتمكين

وهي السنن المتعلقة بالنصر والتمكين لأهل الحق، وهي خلاصة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل على مدار التاريخ، وكيف يديل الله الباطل مرة، والحق مرات، والعاقبة للمتقين، وهذه السنن بعضها يتعلق بالتربية، وبعضها بالإعداد، وبعضها بالميدان، وبعضها في النفس، فإيمان أهل الحق وقلتهم يغلب كثرة أهل الباطل وعدتهم، والميزان العسكري في معارك أهل الحق يدور مع الإيمان وليس مع العدة والعتاد، ونصر دين الله أولا ثم يأتي النصر من الله لاحقا، والتنازع والشقاق يسبب الفشل والخذلان، وقد جرت عادة الله أن الابتلاء يسبق التمكين، وهذه السنن وغيرها تجعل عقل المسلم لا يتفاجأ بوقوع البلاء أو تأخر النصر، وتجعل الأمة تراجع حساباتها عند الإخفاق، وتعمل بأسباب النصر وفق رؤية القرآن.[1]

وإلى هذه السنن تشير الآيات التالية:

([1]) انظر: الجليل، عبد العزيز بن ناصر: متى نصر الله ، دار طيبة، الرياض، 1415، ص70.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ (البقرة: 249).

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد: 7).

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال: 45).

4- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (آل عمران: 140).

5- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (البقرة: 214).

ثالثا: سنن التغيير في الجانب السياسي

لا شك أن تحكيم شرع الله هو نشر لرحمة الله وعدالته بين خلقه، وهي شهادة على وحدانية الله في استسلام الناس لرب العالمين في فكرهم وسلوكهم وأنشطتهم على مستوى الفرد والأمة، وهذا لا يأتي إلا عبر إمارة عادلة أو خلافة راشدة، فينتشر الأمان والاطمئنان وتحل البركات، ولكن إذا تسلط الفساق والمترفون- وهم الخارجون على طاعة الله والمسرفون

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتوسعون في النعم[1] – على إدارة البلاد وتوجيه العباد، فهذا مؤذن ومنذر بالخراب والدمار كما أخبر الله تعالى، لأنهم سوف يسيرون في البلاد بعيدا عن رحمته الله وهدايته.[2]

وإلى هذه السنن تشير الآيات التالية:

1- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: 24).

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (المائدة: 66).

رابعا: سنن تتعلق بطبيعة أعداء الدين وطريقة التعامل معهم

لقد ذكر الله عز جل صفات الكفار على اختلاف مللهم ومعبوداتهم، ودرجات عداوتهم لأهل الإيمان من منافقين، وأهل كتاب، ومشركين، وفضح ما تكنه قلوبهم، وما تخفيه صدورهم وبين تاريخهم مع أنبيائهم، ومكرهم وتحايلهم على دين الله، وقد أمر بالعدل والقسط في التعامل مع الجميع، وهذه سنن ربانية صادقة لا تتبدل ولا تتغير على مر الزمان، لأن الله أعلم وأخبر بما خلق وقدر، وهذه السنن تربي في عقل المؤمن الحذر والحيطة والعمق في التحليل والدراسة، وسعة الرؤية والقياس الصحيح عند اتخاذ القرار، والتعبير عن الآراء.[3]

وإلى هذه السنن تشير الآيات التالية:

([1]) انظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412، 166/1، 1/ 636.

([2]) انظر: رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، 380/6 ؛ السلمي، محمد صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص69.

([3]) انظر: قطب، محمد: دراسات قرآنية، ص 504.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (البقرة: 8 – 11).

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (البقرة: 105).

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة: 109).

4- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (آل عمران: 112).

المطلب الثالث: أثر الطريقة القياسية في تنمية التفكير

1- أثر الأمثال القرآنية في تنمية التفكير

لا شك أن الأمثال القرآنية، هي موازين ربانية، وأقيسة عقلية، تحرك العقل للتفكير بحقيقة الشيء المضروب كي ينظر فيه، ويتأمله ويقيس عليه، فهي تنمي في العقل التفكير القياسي، وهو إعطاء الشيء حكم مثله، وإلحاق النظير بنظيره، واعتبار الشيء بمثله في كل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مجالات الحياة الإنسانية، وهو تفكير يبحث عن وجه الشبه بين أمرين متماثلين، ليلحق أحدهما في الآخر، بجامع العلة المشتركة بينهما كما هو معروف عند الأصوليين.

ولا شك أن أصل التفكير القياسي مبني على ما فطره الله في القلوب والعقول من التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين، ولذلك خاطب الله الكفار وحاججهم وجادلهم، بما هو مستقر في فطرهم وعقولهم من استحالة الجمع بين المختلفين والتفريق بين المتماثلين، فهذا ينافي كمال حكمة الله، وعدله، ورحمته بين خلقه، فقد أنزل الله الكتاب والميزان بالحق ليقوم الناس بالقسط[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القلم: 35 – 36)، ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية: 21)، ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحشر: 20)، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: 25).

وقد قصر الأصوليون والفقهاء في كتبهم استعمال التفكير القياسي على استنباط الأحكام الشرعة الفرعية بحكم التخصص، ولكن القرآن الكريم توسع في استعمال القياس ليشمل، السنن الاجتماعية، وأحوال الخلق، ومسيرة الأمم مع أنبيائهم، وطبيعة العمران وأسباب استقراره وخرابه، وعاقبة الكفر والتكذيب والذنوب، والظلم والعصيان، وعاقبة الكبر والاعتزاز بالأموال والأولاد والقوة والسلطان، والجموع والجنود، وهذا التوسع قد جعل عقل

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، 177/1، 253.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المسلم أنضج العقول، وأعمقها تفكيرا، وأشملها رؤية، وأوسعها استقراء، وأدقها اجتهادا في تحليل الأحداث، لأنه ينظر لأحوال الخلق ولأحداث الكون، نظرة سننية ربانية من خالقها، الذي أبدع الكون، وأودع فيه السنن والقوانين ويعلم أحوال الأمم وعملها، وقد ذكر أسباب هلاكها وأسباب استقرارها، ونص عليه في سنن وقوانين ثابتة لا تتبدل، عبر استقراء رباني من الخبير العليم لمسيرة الإنسان في الكون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الإسراء: 77)، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (فاطر: 42 – 44).

فكل آية أمر الله عز جل فيها بالسير في الأرض، فإن المقصود هو السير الحسي والسير المعنوي في التفكر والاعتبار في أن يحل بهم ما حل بمن سبقهم [1].

ولعل علم الاجتماع والعمران، الذي أسس قواعده الإمام المؤرخ ابن خلدون رحمه الله في مقدمته أصدق مثال على فهم التاريخ وعبره، وتحليل أحداثه وفق منظور قرآني سنني.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾(الإسراء: 89).

([1]) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: أعلام الموقعين، 179/1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أخبر الله عز وجل أنه ضرب الأمثال للناس، وشرح وبين لهم عاقبة طغيان من سبقهم من الأمم الهالكة مراراً وأطواراً، ولكن لم ينتفعوا بهذا البيان، وبقوا مصرين على كفرهم وعنادهم[1].

وقد ذكر الله عز جل في قصص السابقين أنواعا من الطغيان على مدار التاريخ، ونوع مصارع أصحابها تذكرة وعبرة لكل من يطغي، فقد مثل بالطغيان المالي في قصة قارون، والطغيان السياسي في قصة فرعون، والطغيان المادي في عاد وثمود، ثم ذكر اختلاف مصارعهم، وحث على الاعتبار بأحوالهم والتفكير في سبب ما حاق بهم من الظلم والطغيان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: 40).

2- أثر السنن الكونية والاجتماعية في تنمية التفكير

لقد ارتبطت السنن الكونية بالله وأضافها الله عز وجل لنفسه في أكثر من آية، وهذا يعني أنها سنن حكيمة وعادلة ومطردة وثابتة وباقية تتناسب مع صفات الله الحي القيوم، فالله هو الذي خلق الكون بقوانينه، وأودع فيه خصائص الأشياء، ورتب العلاقات بين السبب والمسبب، والمقدمة والنتيجة، في مواده وظواهره الاجتماعية، ولا شك أن انتظام هذه العلاقات

([1]) انظر: الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، 47/21.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وثباتها واطرادها يعطي العقل قدرة على القياس والاعتبار، لوجود العلة أو السبب أو المقدمة وتوقع تكرار الأحداث، إذا انتفت الموانع[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب: 62)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (فاطر: 43).

وقد دعا الله عز وجل للتفكر في هذه السنن والبحث والسير في الأرض لمعرفة القوانين التي تسير الأشياء وتضبط حركتها لتربية عقل المسلم على قواعد كلية مطردة، يستطيع من خلالها تفسير حركة التاريخ، وتحليل أحداثه، ومعرفة عوامل قيام الأمم، وعوامل سقوطها، وعوامل الأمن والاطمئنان، وعوامل الخراب والدمار، والقدرة على قراءة المستقبل، والتنبؤ بحال البشرية وفق معطيات سنن الله الكونية، وهي سنن ثابتة لا تتخلف ولا تتبدل؛ لأنها من صنع العليم الحكيم الخبير قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: 14)[2].

والمقصود أن السنن الإلهية هي قواعد كونية واجتماعية كبرى، تنمي في عقل الأمة التفكير المستقبلي عبر القياس الصحيح، والميزان العادل، الذي يستطيع المسلم من خلاله فهم الأحداث، والتنبؤ بمآلات أفعال الأمم من دمار أو انهيار، أو رخاء أو بركات، لأنها تذكّر بالعلل والأسباب التي ألحقت بالأمم السابقة الخراب والعذاب، رغم قوة بأسها، وكثرة جموعها وأموالها، وهذه السنن متزنة مسيرة بحكمة وعدالة ورحمة، لا تحابي أحدا حتى لو كان نبيا

([1]) انظر: السلمي، محمد صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص62.

([2]) انظر: قطب، محمد: لا يأتون بمثله، ص152.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مرسلا قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ (آل عمران: 165)[1].

والسنن الربانية كما تقدم تغطي جوانب كثيرة في الحياة، حتى النفسية والاقتصادية والتربوية، وتسير بالنفس البشرية نحو التوازن مع الكون، والتوافق مع الفطرة، والتلقي من الله والثقة بوعده، والثبات على الحق، والبحث المستمر في تتبع هذا الانتظام في كل شيء، والتفكير العميق في الواقع والمستقبل من خلال القرآن الكريم.

1- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه: 124).

2- قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ (الأنعام: 125).

([1]) انظر: الحدري، عبد الله: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، ص166

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولا: الاستنتاجات

1- يعتبر القرآن الكريم الكتاب الأول في تعليم مبادئ التفكير، وطرائقه ومجالاته وغاياته، وقد انطلقت أصول التفكير في العلوم الاجتماعية والكونية في التاريخ الإسلامي من دعوته وحثه على التفكير في أحوال الخلق، والسنن التي تحكم مسيرة البشرية، من آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، ومن أمثلة هذه العلوم: مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع، ومعجم البلدان في علم الجغرافيا، وكتاب الموافقات في علم الأصول، وبقية علوم الحديث واللغة، وكتب الطب والحساب والفلك، وكلها تدل على تطبيق سلم من درجات التفكير وأهدافه كالفهم، والتحليل والتركيب والتقويم، والتطبيق كما تنادي به التربية الحديثة، ولكنها لم تدون كعلم يتعلق بمهارات التفكير وأهدافه في القرون المتأخرة.

2-التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية في منهج الطريقة القرآنية، فالقرآن الكريم يدعو إلى تدبر كتاب الله المقروء وكتابه المفتوح في آن واحد، وقد مدح الله أهل الإيمان الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض وأنهم أولو الألباب، ولا يجد الإنسان تناقضا في طريقة القرآن في جمعه بين كتاب الله المفتوح وكتابه المقروء، بل هما كتابان متكاملان في الدلالة على وحدانية الله، لأن مصدرهما واحد، فخالق الكون، وخالق الإنسان، ومنزل الكتاب هو فاطر السموات والأرض.

3- الطريقة القرآنية في تنمية التفكير تبدأ عملها من القلب أي من أغوار النفس الإنسانية، فالقلب مقر الفطرة، والإيمان، ومنبع السلوك، وعليه فإن القرآن يعالج السلوك الظاهري

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من خلال القلب، ففي دعوته للتفكر والتدبر يملأ القلب إيمانا ويقينا فتتجه الأفكار والخواطر في القلب نحو خالقها وفاطرها، ثم تتحرك الجوارح ويعتدل السلوك تبعا للغاية التي يتعبد لها القلب، فهي تنطلق من فطرة الإنسان وتنتهي إلى فاطر السموات والأرض.

4-تتناسب الطريقة القرآنية في تنمية التفكير مع طبيعة الخلقة الإنسانية، فالتفكير ليس نشاطا عقليا فقط، بل هو نشاط قلبي وفطري وعقلي وحسي في آن واحد، فما يحس به الإنسان سمعا وبصرا يجد أثره في قلبه، ويجد تفسيرا له في عقله، وإيقاظا وتذكرة لفطرته.

5-تنويع الطريقة القرآنية للأدلة والأساليب في دعوتها للتفكر والتدبر، بحسب طبائع الناس واختلاف أحوالهم، وتنوع مداركهم، وتغير أزمانهم، ما بين دلائل فطرية، ودلائل حسية، ودلائل عقلية، وأساليب لغوية، فنجد الجدال والحجاج، ونجد الدعوة للنظر والسير بالقلب والحواس، وهناك دعوة للتفكر في محاسن الأخلاق والآداب والأحكام في تشريعات القرآن التي تتوافق مع العقل الفطرة، ونجد أيضا ضرب الأمثال، والأقسام، والتدرج، وغيرها.

6- ضرورة الاهتمام باللغة العربية كونها مفتاح التدبر والتفكر والاستنباط في كتاب الله عز وجل مهما كان مستوى المتفكر، فاللغة العربية ببيانها ودقتها هي وسيلة التدبر وأداة الفهم، والرابط بين الأمة وكتاب هدايتها ونورها، وهي وعاء العلوم القرآنية، ومعجزة هذا الكتاب العظيم.

ثانيا: التوصيات

1- متابعة مشاريع التوجيه والتأصيل في كل تخصصات العلوم الاجتماعية والكونية من خلال عقد الدورات للطلبة غير المتخصصين في العلوم الشرعية، أو إدخال مادة تعنى بدراسة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقاصد الشريعة ومقاصد التفكير، لكي ينمو التفكير المقاصدي مبكرا عند الطلاب، وهو تفكير يعبر عن روح الشريعة الإسلامية في العلوم الاجتماعية والكونية لتحقيق مقاصد الخلق.

2- لا بد من إقامة مراكز متخصصة بتعليم كيفية تدبر القرآن الكريم، وليس مجرد تحفيظ القرآن وتعلم تلاوته. وعمل دورات وأبحاث متنوعة متخصصة في كيفية تحليل الآيات وجمع المفردات المختلفة، والدراسة الموضوعية للقرآن الكريم.

3- إقامة الرحلات إلى المتاحف العلمية، وعرض أحدث الأفلام وبأحدث التقنيات الصوتية والبصرية التي تبين عظمة الله، ودقة صنعه، وإبداعه في خلقه، وهو جزء من تربية الطلاب على عبادة التفكر، وتنمية تفكيرهم في الجمع بين قراءة كتاب الله المسطور وكتابه المفتوح.

4- إدخال مواد في المراحل الأساسية والثانوية تتعلق بالتفكير ومهاراته، وكيفية حل المشكلات وإعادة صياغة الأسئلة في الاختبارات التحصيلية بحيث تنمي مهارات التحليل، والتركيب، والفهم وحل المشكلات، وليس مجرد الحفظ والاستظهار

5-متابعة البحث حول العمليات العقلية وأسباب تنوعها، وعلاقته بالسياق الذي وردت فيه وأسرار هذا التنوع والتتابع في حشدها لمتابعة ظاهرة من الظواهر الكونية أو النفسية

6-إدخال مادة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في التدريس الجامعي لربط العلوم الكونية بخالقها، ولبيان عظمة كتاب الله وتجليات آياته في كل عصر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

7-الانطلاق في علاج المشاكل السلوكية والتحليلات الاجتماعية من معرفة الأفكار والهمـــوم التي تتحرك في القلب وتستقر وتولد السلوك، وعدم الاكتفاء بالعلاج الظاهر للمشكلة.

8- تبنى الطرق القرآنية وأساليبها في تنمية التفكير من خلال تدريب المعلمـــين، وصـــياغة المناهج والاختبارات التي تعنى بتنمية التفكير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات

الرقم	اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	البقرة	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾	269	
2		﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾	170	
3		﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ ﴿٢٢٠﴾ ﴾	220-219	
4		﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾	179	
5		﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	182	
6		﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾	164-163	
7		﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾	22-21	
8		﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	
9		﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾	243	
10		﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۖ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾	171	
11		﴿ الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾	2-1	
12		﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	38	
13		﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	
14		﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾	10	
15		﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴿١٤٠﴾ ﴾	140	
16		﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾	285	
17	آل عمران	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ	191-190	

© Al-Azhar Library-Yarmouk University

		﴿ ١٩١ ﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾		
18		﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾	13	
19		﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم	13	
20		﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ	110	
21		﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾:	137	
22		﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ	83	
23		﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ	75	
24		﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾	113	
25		﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	79	
26		﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	118	
	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾	82	
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ	135	
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾	174	
		﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾	83	
	المائدة	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ	8	
		﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ﴾	82	
		﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ ﴾	75	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	الأنعام	﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾	151	
		﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	152	
		﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾	98	
		﴿ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾	4	
		﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾	104	
		﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ ﴿١٠٢﴾ ﴾	102	
		﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾	106	
		﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾	121	
		﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾	162	
		﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾	67	
		﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	
		﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ۗ ﴾	46	
		﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾	151	
		﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	17	
		﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	122	
		﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٦﴾ ﴾	116	
		﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾	110	
		﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	50	
	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾	179	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	
		﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾	3	
		﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	96	
		﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾:	3-2	
		﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾	172	
		﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾	176	
الأنفال		﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	
		﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾	2	
التوبة		﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	126	
		﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	
يونس		﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾	3	
		﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾	53	
		﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	
		﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾	101	
		﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾	59	
		﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ	24	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		﴿ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾		
	1	﴿ الٓرٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾		
	38	﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨ ﴾		
هود	24	﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤ ﴾		
	17	﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧ ﴾		
	120	﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾		
	13	﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣ ﴾		
يوسف	21	﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١ ﴾		
	111	﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾		
	2-1	﴿ الٓرٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾		
	90	﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ ﴾:		
الرعد	3	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾:		
	11	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۝١١ ﴾		
	28	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾		
إبراهيم	1	﴿ الٓرٓ ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾		
	5	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾		
	18	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ۝١٨ ﴾		
الحجر	9	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾		
النحل	44	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾		
	89	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ		

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		﴿لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾		
		﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾	69-66	
		﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾	79	
		﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ	14-10	
		﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾	78	
		﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾	18-17	
		﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾	90	
الإسراء		﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾	88	
		﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾:	77	
		﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾:	9	
		﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾:	32	
		﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾:	105	
		﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾:	44	
		﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾	89	
		﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾	38	
		﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾	36	
		﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾	106	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	الكهف	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾	54	
	مريم	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾:	91-88	
		﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾	2-1	
	طه	﴿ الَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾	50	
		﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾	113	
	الأنبياء	﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾:	67	
		﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾:	10	
		﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	25	
		﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	107	
	الحج	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ..... ﴾	6-5	
		﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾	18	
		﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾	31	
	المؤمنون	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾	116	
		﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً..... ﴾	14-12	
		﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾	68	
		﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	
	النور	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	41	
		﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	الفرقان	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾	31	
		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالَ ..... ﴾	5-4	
		﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾	45	
		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾	32	
	الشعراء	﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	195-192	
	النمل	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾	6	
	القصص	﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	
		﴿ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	102	
		﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴿٧٧﴾ ﴾	77	
	العنكبوت	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	63	
		﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	
		﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾	40	
		﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ ﴾	41	
	الروم	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	
		﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ..... ﴾	28	
		﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ..... ﴾	30	
	السجدة	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ	27	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		﴿ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾		
	18	﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾		
	46	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ..... ﴾	سبأ	
	43	﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾	فاطر	
	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾		
	44-42	﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ..... ﴾		
	2-1	﴿ يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾	يس	
	70-69	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾		
	78-77	﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾		
	61-60	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾		
	4-1	﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾	الصافات	
	29	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾	ص	
	28-27	﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾		
	72-71	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾		
	1	﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾		
	29	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾	الزمر	
	27	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾		

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	غافر	﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴾	54	
		﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا	67	
	فصلت	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾	53	
		﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾	3-1	
		قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	42-41	
		﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ	44	
		﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾	29	
	الشورى	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾	52	
		﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾	7	
	الزخرف	﴿ حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	3-1	
		﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	
	الجاثية	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	23	
		﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ لَآيَاتٍ ..... ﴾	6-3	
		﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ..... ﴾	21	
	الأحقاف	﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	26	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	محمد	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾	24	
	الفتح	﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾	23	
	الحجرات	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾	6	
	ق	﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾:	1	
		﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	
		﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ هَذَا .... ﴾	8-6	
	الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾	56	
		﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾	7	
		﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21-20	
	الطور	﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	35	
		﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	34-33	
	النجم	﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ ﴾:	23	
		﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾	1	
		﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾	11	
	القمر	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾	17	
		﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	51	
	الحديد	﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	
		﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	
	الحشر	﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾	2	
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	
		﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	
		﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	20	
	الجمعة	﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ	2	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ		
	المنافقون	﴿ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾	7	
	التغابن	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	7	
	الملك	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾	14	
		﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾	10	
		﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	
	القلم	﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾:	36-35	
	الحاقة	﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	48	
	المدثر	﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	
		﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾	19-18	
	المرسلات	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾	4-1	
	النازعات	﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾	5-1	
		﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾	26	
	عبس	﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾:	32-24	
	التكوير	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾	18-17	
	البروج	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾	1	
	الطارق	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾	1	
		﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾	8-5	
		﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾	11	
	الغاشية	﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾	17	
		﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾	21	
	الفجر	﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾	2-1	
		﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾:	6	
	البلد	﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾	10-8	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	الشمس	﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾	5-1	
	الليل	﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾	2-1	
	الضحى	﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾	2-1	
	العلق	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾	5-1	
		﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ ﴾	8-6	
	العصر	﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾	1	
	الفيل	﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ ﴾	1	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المصادر والمراجع

- ابتسام محمد: **الفكر التربوي الإسلامي لبعض الفلاسفة العرب المسلين بين القرنين الرابع والسادس الهجريين**، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 1995، (غير مطبوعة).
- الأشقر، محمد سليمان: **زبدة التفسير**، دار النفائس، عمان، ط5، 1427-2006.
- الباني، عبد الرحمن: **مدخل إلى التربة في ضوء الإسلام**، المكتب الإسلامي، دم، ط2، 1983.
- بدري، مالك: **التفكر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط 2، 1413-1992.
- بركات، صالح سلامة، **العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية والقانون، 1995.
- بكار، عبد الكريم: **البناء في القرآن الكريم**، دار الفكر، دمشق، 1428-2008.
- ابن بلبان: علاء الدين علي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1414هـ- 1993م.
- **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط 2، 1427-2007.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، جمع: محمد بن القاسم، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، (د. ت).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **رسالة في العقل والروح**، دار الهجرة، بيروت، (د. ت)، (د. ن).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- الجرجاني، عبد القاهر، **كتاب دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992.
- جروان، فتحي عبد الرحمن: **تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات**، دار الكتاب الجامعي، العين، 1999.
- الجليل، عبد العزيز بن ناصر: **أفلا تتفكرون**، دار طيبة، الرياض، ط2، 1429- 2008.
- الجوزو، محمد علي: **مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة**، دار العلم للملايين، لبنان _ بيروت، 1980.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصحاح**، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ.
- الحاج، أحمد علي: **العولمة والتربية آفاق مستقبلية**، القطرية للطباعة، الدوحة، 1432هـ، كتاب الأمة، ع 4.
- ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، أشرف على الطبع: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، المكتبة السلفية.
- الحدري، خليل عبد الله: **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، دار عالم الفوائد، مكة، 1425-2005.
- حسن حسين زيتون، **تعليم التفكير رؤية تطبيقية في تنمية العقول المفكرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 2008.
- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الحوالي، سفر: **الأشاعرة عرض ونقض: كتاب البيان 3**، مجلة البيان، الرياض، 1430هـ.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، دار الفرقان، عمان، ط3، 1983.
- خضر، محمد زكي محمد: **معجم كلمات القرآن الكريم**، 1426 – 2005.
- الخطيب، عبد الله عبد الرحمن، **وسائل المعرفة الإنسانية العقل والسمع والبصر وهدي القرآن في توجيهها**، مؤتة للبحوث وللدراسات، 7/ ع8، 2002.
- الخوالدة: ناصر أحمد، وعيد، يحيى إسماعيل: **طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية**، دار حنين، عمان، 2001.
- الدريني، فتحي: **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط3، 1429–2008.
- داود، ماهر محمد، مجيد مهدي محمد: **أساسيات في طرائق التدريس العامة**، دار الحكمة، الموصل، 1991.
- دروزة، أفنان نظير: **النظرية في التدريس وترجمتها عملياً**، دار الشروق، عمان، ط1، 2000.
- ذي النورين، أحمد ولد محمد، **كيف تنمي ملكتك الفقهية**، كتاب البيان (54)، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 1433هـ.
- الرازي، محمد بن حسين التميمي: **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421– 2000.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1418- 1998.
- السرجاني، راغب: **ماذا قدم المسلمون للعالم إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية**، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط2، 1430-2009.
- رشيد رضا: **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- رمزي، عبد القادر: **النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية**، دار الثقافة، الدوحة، 1404- 1984.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: أحمد حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1420-1999.
- بن سعدي، عبد الرحمن الناصر: **الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي**، مكتبة الرشد، الرياض، ط 2، 1403-1983.
- السيوطي، جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1408-1988.
- شديد، محمد: **منهج القرآن في التربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412-1991.
- الشرقاوي، محمد: **تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم**، دار عالم الكتب، الرياض، 1402-1982.
- الشنطي، محمد صالح: **المهارات اللغوية مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها**، دار الأندلس، حائل، ط 2، 1412-1994.
- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي: **القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان**، دار عالم الكتب، الرياض، 1414- 1993.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- **صحيح مسلم بشرح النووي، المسمى المنهاج**، شرح: صحيح مسلم ابن الحجاج. تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط1، 1994م.
- طالب، محمد: **الحواس الإنسانية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة صدام، 1999.
- الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط4، 1400–1980.
- الطنطاوي، علي: **تعريف عام بدين الإسلام**، دار المنارة، جدة، ط7، 1422–2001.
- الطيب، عصام علي: **أساليب التفكير: نظريات ودراسات وبحوث معاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، 1427– 2006.
- العاني، نزار: **الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي**، دار الفرقان، عمان، 1418–1998.
- ابن عبدالبر: **جامع بيان العلم وفضله**، دار ابن الجوزي، الدمام، ط4، 1412 –1992.
- عبدالله، عبد الرحمن صالح، فودة، حلمي محمود: **المرشد في كتابة البحوث التربوية**، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط5، 1408–1988.
- عبدالله، عبد الرحمن صالح: **طريقة التدريس رؤية تربوية معاصرة**، ضمن بحوث (مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات)، تحرير: فتحيى ملكاوي، محمد أبو سل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1995.
- عبد الهادي، محمد جمال: **منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين التوحيد والبعث والنبوة**، دار الإيمان، مصر، 1415– 1994.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- العقاد، عباد محمود: **اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960.
- العقاد، عباس محمود: **التفكير فريضة إسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- العودة، سلمان بن فهد: **ضوابط في الدراسات الفقهية المعاصرة**، دار الوطن، الرياض، 1415-1995.
- الغزالي: محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، 1985.
- فخرو، عبد الناصر: ثائر حسين: **دليل مهارات التفكير**، جهينة للنشر، عمان، 2002.
- فرحات، أحمد حسن: **فطرة الله التي فطر الناس عليها**، دار عمار، عمان، 1424-2004.
- فياض، محمد جابر: **الأمثال في القرآن الكريم**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401-1981.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب، القاهرة، 1985.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1992.
- قطب، سيد: **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1415-1995.
- قطب، محمد: **دراسات في النفس الإنسانية**، دار الشروق، القاهرة، 1394-1974.
- قطب، محمد: **حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، دار الشروق، القاهرة، 1418-1998.
- قطب، محمد: **دراسات قرآنية**، دار الشروق، القاهرة، 1415-1995.
- قطب، محمد: **دروس تربوية من القرآن الكريم**، المجموعة الإعلامية، جدة، ط4.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- قطب، محمد: **مغالطات**، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1427-2007.
- قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط 7، 1412-1992.
- قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة، 1415-1995.
- قطب، محمد: **لا يأتون بمثله القاهرة**، دار الشروق، 1422-2002.
- قنبر، محمود: **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، 1985.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، تحقيق: سعيد محمد اللحام، تقديم ومراجعة: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1409.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: بشر محمد عيون، دار البيان، دمشق، ط2، 1425-2004.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار التراث، القاهرة.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية أهل العلم والإرادة**، دار ابن حزم، بيروت، 1424-2003.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد فقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1992.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1408-1998.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **الفوائد**، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط7، 1406-1986.
- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، 1430- 2009.
- الكيلاني، ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، مؤسسة الريان، 1419- 1998.
- الكيلاني ماجد عرسان: **أصول التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة**، دار القلم، دبي، ط1، 1427-2006.
- الكيلاني، ماجد عرسان: **العولمة والتربية**، مذكرة (دم – دت).
- الماوردي، على ين محمد بن حبيب: **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: محمد أبو بكر، دار الريان للتراث، 1408-1988.
- المبروك، عثمان أحمد: **طرق التدريس وفق المناهج الحديثة**، كلية الدعوة، طرابلس، (د.ت).
- مجدي، عزيز إبراهيم، **تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين**، عالم الكتب، القاهرة، 1427-2006.
- محب الدين، أحمد وآخرون: **مذكرة موجزة في التربية الإسلامية وطرق تدريس العلوم الدينية والعربية**، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1415.
- مدكور، على أحمد: **منهج التربية في التصور الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422-2002.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- معمار، صلاح صالح، **علم التفكير**، ديبونو للطباعة النشر، عمان، 2006.
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي: **إسلامية المعرفة**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1413-1992.
- ملكاوي، فتحي حسن: **منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 1432-2011.
- ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق: عبد على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1401-1981.
- الميداني، عبدالرحمن حبنكة: **الأمثال القرآنية دارسة وتحليل ورسم لأسرارها وقواعدها ومناهجها**، دار القلم، دمشق، ط1، 1980-1400.
- المودودي، أبو الأعلى: **منهج جديد في التربية والتعليم**، دار النداء، (د. م)، 1393.
- النابلسي، محمد راتب: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان**، دار المكتبي، دمشق، ط5، 1431-2010.
- النابلسي، محمد راتب: **مقومات التكليف**، دار المكتبي، دمشق، 1426-2005.
- بن نبي، مالك: **الظاهرة القرآنية**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- النحوي، عدنان: **التفكير الإيماني**، دار النحوي، 2006.
- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، دار الخير، ط4، 1999، بيروت - لبنان.
- هندي، صالح: طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، عمان، 1430-2009.
- ياسين، محمد نعيم: **مباحث في العقل**، دار النفائس، عمان، 1432-2011.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• يالجن، مقداد: **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون**، دار عـالم الكتب، الرياض، 1416-1996.

• يالجن، مقداد: **مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية**، دار عالم الكتب، الريـاض، 1419-1999.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Marwan Mohammad Rushdi Sharif. Methods of Thought Development in the Holy Quran. PhD Dissertation. Yarmouk University. 2014.

Supervisor: Prof. Majed Zaki Mohammad Al-jallad

The researcher discussed the methods of developing thinking in the Holy Quran. The aim of this study is to identify the Quran method in developing thinking, as this study explored the concept of method, the concept of development and the concept of thinking in the holy Quran.

The study dealt with the importance of developing thinking and its domains in the Holy Quran. Additionally, the role of Quran methods in directing the mental processes in heart, the types of mental processes and its relation to heart and thinking then the objectives of developing thinking in the holy Quran as its is the way to achieve those methods, as knowing God and increasing faith, freeing mind, and providing a comprehensive perspective for humans earth and life. The study presented the characteristics of the Quran method in developing thinking such as (God) issues, comprehensively, clarity and objectivity. The study discussed the tools of the Quran method within its integration in mind and heart as well as in initiative, the there was the presentation through acting as a model for one method to develop thinking.

The study concluded that the Holy Quran is the first book in teaching the principles of thinking and its ways and the holy Quran made a clear and comprehensive method in developing humans' thinking that goes with initiative, hear and mind, through this an integration occurs in the mind of believers between Gods open book and his read book then the behavior is modified to achieve the aim of humans' creation.

© Arabic Digital Library Yarmouk University